الطبعة الثانية

الإفادات على كتاب التوحيد

للإمام المجدد شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

قيدها

د. محمد بن سرار اليامي

دار الظاهرية

الإفادات
على كتاب التوحيد

المكتب العلمي الخاص

الطبعة الثانية

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

©جميع الحقوق محفوظة

دار الظاهرية

الكويت- الجهراء- القيصرية القديمة

كابيتول مول- السرداب محل ٢٤

الموقع الإلكتروني: www .daradahriah .com

البريدالإلكتروني: daradahriah@gmail .com

هاتف: +965 99627333 - +965 51155398

الموزعون المعتمدون

الكويت: دار أندلسية للنشر والتوزيع - 94747176 (965+) - darandalusia@hotmail.com

الكويت: مركز طروس للنشر والتوزيع - 90090146 (965+) - torousq8@gmail.com

الرياض: دار التدمرية للنشر والتوزيع - 114925192 (966+) - tadmoria@hotmail.com

المدينة المنورة: مكتبة الميمنة المدنية - 558343947 (966+) - daralmimna@gmail.com

جدة: مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع - 504395716 (966+) - hassan_hyge@hotmail.com

مكة المكرمة: المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع - 125273037 (966+) - alasadi2000@hotmail.com

مصر الجديدة: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع - 01110117447 (2+) - mofakroun@gmail.com

اسطنبول (منطقة الفاتح): دار الأصالة - 2125118547 (90+) - asalet@asaletyayinlari.com.tr

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو واسطة -أو أي جزء منه-، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي) أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من دار الظاهرية للنشر والتوزيع.

الإفادات على كتاب التوحيد

للإمام المجدد شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

قيدها

د. محمد بن سرار اليامي

دار الظاهرية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحیم

المقدمة

كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد هو منهج علمي وخارطة طريق للتجديد وقد بين فيه الإمام -رحمه الله- معنى التوحيد وكيفية تحقيقه وفضائله، ووجوب الخوف والحذر من ضده، ووجوب الدعوة إليه وأنه هو معنى مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

وبيَّن جملاً من خصاله، وشعبه ومكملاته، ونبه على الشرك الأكبر الذي هو ضد التوحيد وينافي التوحيد بالكلية، ثم الشرك الأصغر الذي ينقص كمال التوحيد الواجب ويضعفه، ثم البدع التي تقدح في التوحيد، وتهون من شأنه، ثم كبائر الذنوب التي تضعف التوحيد وتصد عنه.

فتكلم الإمام -رحمه الله- عن خصال التوحيد التي هي أنواع العبادة بالتفصيل، ونبه على الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر الجلي منهما والخفي، وتكلم عن جمل من البدع وجمل من أمور الجاهلية، وذكر جملا من كبائر الذنوب، كل هذا بالتفصيل، وبالأدلة من المحكم من كلام الله جل وعز ومن السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن الأحاديث التي تدخل تحت الأصل العام، ومن مأثور كلام السلف الصالح -رحمهم الله-.

واستنبط من النصوص من الآيات والأحاديث وكلام السلف

استنباطات دقيقة ومفيدة تدل على سعة فقهه وعن سلامة قصده وعن معرفته بأحوال أهل زمانه، ولذلك ذكر المسائل لينبه فيها على ما وقع من المخالفات وعلى دلالة المحكم من الآيات الأحاديث الصحيحة، وقد ينبه أحيانا فيقول:

وقد خالف في هذا من خالف، فهذا الكتاب المبارك خارطة طريق الموحد ومفتاح سلامة من الشرك والخرافة..

وإن كتابًا هذا حاله لحقيق ببيان شأنه.

وتنوعت المؤلفات في بيانه، فمنهم من شرح أدلة الكتاب وبين دلالاتها ومقاصدها، ومن ذلك كتاب تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، حفيد الشيخ محمد رحمة الله عليهم، وقتل -نحسبه شهيدًا- ولم يكمله فهذا الكتاب عني ببيان نصوص الكتاب ودلالاتها واستيفاء شرحها من كتب أهل العلم المعتمدة في تفسير كتاب الله وشرح سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن العلماء من اختصر هذا الشرح ونقل إشارات من الفوائد والمسائل التي استنبطها الإمام من أدلة كل باب، وعني بذلك، ومن ذلك كتاب فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد الإمام، ومن ذلك كتاب التنديد للشيخ سعد بن عتيق -رحمه الله-.

ومن أحسن ما أُلف في الكتاب في الإشارة إلى مقاصد التراجم والأبواب ثلاثة كتب لا يستغني عنها طالب العلم:

الأول: حاشية كتاب التوحيد: للشيخ عبد الرحمن بن قاسم،

العاصمي النجدي، جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فإن هذا العالم، استفاد من كلام شيخ الإسلام ونقل زبدًا من العلم علقها على أبواب الكتاب، وجعل منها في حاشيته على الكتاب.

الثاني: كتاب القول السديد للجهبذ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله-، فقد تكلم على مقاصد تراجم الكتاب وأجاد وأفاد.

ومن الشروح التي عنيت بذلك، كذلك الدر النضيد على كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن حمدان -رحمه الله-.

أما أقرب الشروح وأيسرها وأكثرها عندي نفعا فجملة منها:

كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد لشيخنا محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله-.

وكتاب شرح كتاب التوحيد الملخص لشيخنا العلامة صالح بن فوزان الفوزان متع الله بحياته ونفع بعلومه.

وكتاب المفيد على كتاب التوحيد لشيخنا ووالدنا العلامة عبد الله بن صالح القصير رفع الله درجته وأكرم منزلته، في الدارين.. وقد جمع فيه ما لم يجتمع في ما سواه من الفوائد والفرائد..

و كتاب التمهيد بشرح كتاب التوحيد لمعالي شيخنا الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ أمد الله في عمره ونسأ في أثره وبارك في حياته..

فهـذه المهمـات مـن الشـروحات ممـا ينبغـي أن يعتنـي بهـا طالب العلـم لفهم هـذا الكتاب المبـارك وهذه الخارطـة الجليلـة لطريق توحيد الألوهيـة فهـو أصـل الملـة وقاعـدة الشـريعة، وأسـاس صحـة العمـل، وقبولـه، وقـد جمـع ما يكـون كخلاصـة للكتـب الربانية المنزلـة من رب العالميـن وزبـدة الرسـالات الإلهية..

وصـدق الله جل وعز: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.

وفي الآيات فوائد منها:

بيـان معنـى التوحيـد، وملخصـه أن المـراد بـه هـو إفـراد اللـه جل وعـز بمـا يختـص بـه سـبحانه، وهـو أيضـا، عبـادة الله وحـده بما شـرع علـى الوجـه الـذي شـرع، ولا يتأتى ذلـك إلا باجتنـاب الشـرك والأهواء والبـدع، فهـذا معنـى التوحيد.

كذلك:

بيـان حكـم التوحيـد، وأنه أوجب شـيء على المكلفيـن، من الجن والإنـس بـل هو أوجـب الواجبات، وأحـق الحقوق، وأن ضـده الذي هو الشـرك أعظم المحرمـات وأظلم الظلم وأبطـل الباطل..

بقـي أن أشـير إلى هـذا التعليق، على هذا السـفر الجليل، والرسـالة

الشريفة، فقد عمدت في هذه الرسالة إلى تلخيص الفوائد وتكثيفها، وتقريبها، من كتب أئمة الشراح لهذا المتن الجليل، فكان كالخلاصة تعليقاً، وتدقيقاً، على جيد كتاب التوحيد، جمعته لنفسي، وذريتي، وطلابي، إبان شرحي لها، الذي تكرر مرات ومرات، في ما يقارب الربع قرن المنصرم، تحديثاً بعظيم نعم الله على العبد، وإلا فمنه القبول، وله الإخلاص، في القول والعمل والاعتقاد...

وقد اعتمدت نسخة محققة من المتن على ثلاثين نسخة، هي ما حققها أخي الشيخ المتقن، الدكتور دغش العجمي وفقه الله لكل خير، ليسهل التعامل مع المتن، حفظاً، وضبطاً، وتوثيقاً، وتعليقاً، ويكون بمثابة الزاد لطالب العلم، وبمثابة الكناشة للعالم، جمعت المسائل، والدلائل، والفضائل..

ثبتنا الله وإياكم على التوحيد الخالص حتى نلقاه، وجعلنا وإياكم دعاة هدى، وصلاح، ونفعنا ونفع بنا، وفق الله الجميع لصلاح النية والعمل وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

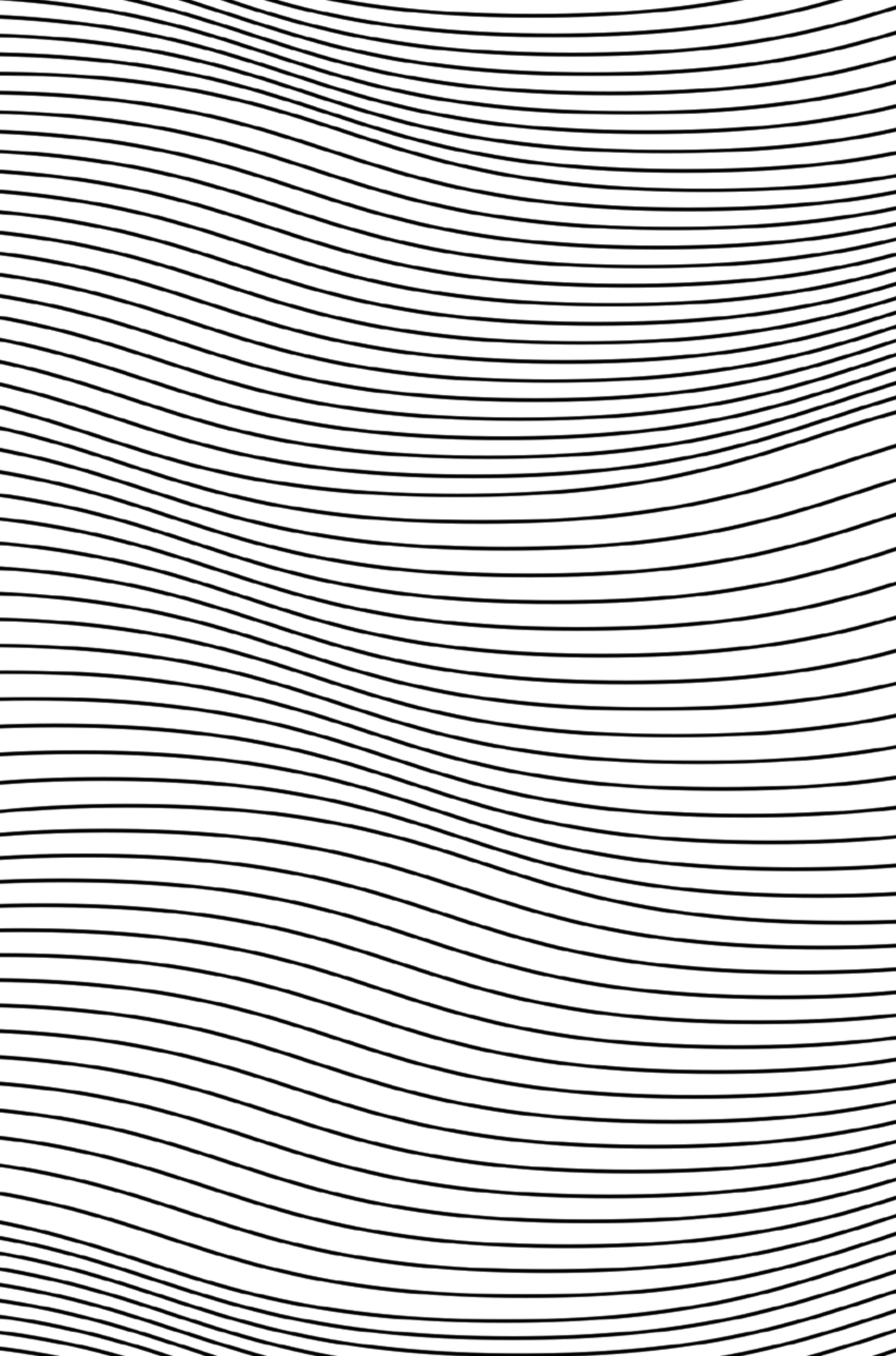

تمهيد

جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدوِّنوا مقدمة عن علم وفضله وثمراته وما يتعلق به في صدر مصنفاتهم؛ وذلك لفوائد، منها:

- أن يحصِّل طالب العلم بصيرة وتصوراً إجماليًّا للعلم قبل أن يدخل إلى تفاصيله، فيعرف الوحدة الجامعة لمسائل هذا العلم، فيأمن عندئذ من اشتباه مسائل العلوم عليه، ومن دخوله في مسائل ليست من مسائل العلم الذي عوّل عليه، وقصد إليه.

- أن يتحقق من فائدة العلم ونفعه؛ لينشط في طلبه وتحصيله؛ وليستعذب المشاق في سبيله؛ وليكون عند طلبه هذا العلم النافع المفيد مجتنباً للعبث والجهالة.

ثم إن كثيراً من المتأخرين وضعوا بعد ذلك كتباً في موضوعات العلوم ومبادئ الفنون، لعل من أجمعها وأشهرها كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» للشيخ أحمد بن مصطفى المعروف بـ «طاش كبرى زاده».

هذا وقد استقر عمل المصنفين على ذكر مبادئ عشرة لكل علم وفن، تمثِّل مدخلاً تعريفيًّا لطالب كل علم، وجمع بعضهم هذه المبادئ العشرة في قوله:

مبادئُ أيِّ علمٍ كانَ حدٌّ ... وموضوعٌ وغاية مستمدٌّ

وفضلٌ واضعٌ واسمٌ وحكمُ مســـــائلٌ نسبةٌ عشــــــر تُعدُّ

وهـذه المبـادئ العشـرة اسـم لمجموعـة مـن المعانـي والمعـارف يتوقـف عليهـا شـروع الطالـب والباحـث فـي طلـب العلـم وتحصيلـه، وبيانهـا كالتالـي:

- الحـد: ويقصـد بـه التعريـف الجامـع لمسـائل العلـم ومباحثـه، المانـع مـن دخـول غيـره فيه.

- الموضـوع: وهـو المجـال المحـدد الـذي يبحـث فيـه العلـم، والجهـة التـي تتوحـد فيهـا مسـائله.

- الغايـة أو الثمـرة: الفائـدة التي يحصِّلها دارس العلـم ومتعلمه في الدارين.

- الاسـتمداد: الروافـد والمصـادر والأسـباب العلمية التي يسـتقي منها العلـم مسـائله ومطالبه.

- الفضل: ما للعلم من منزلة وشرف وأهمية بين العلوم.

- الواضـع: أول مـن ابتـدأ التدويـن والتصنيـف في العلـم، ووضع أساسـه وأرسـى قواعده، كما يشـمل تطـور التأليـف في العلـم ومراحله.

- الاسـم: الألقـاب التـي أطلقها أهـل هذا العلـم عليـه لتمييزه عن غيـره، حتـى أصبحت أعلامـاً عليه.

- الحكـم: ويقصـد بـه الحكـم الشـرعي لتعلم هـذا العلم مـن بين الأحـكام التكليفية الخمسـة.

- المسائل: وهي المطالب التي يبحثها ويقررها العلم والتي تندرج تحت موضوعه.

- النسبة: صلة العلم وعلاقته بغيره من العلوم.

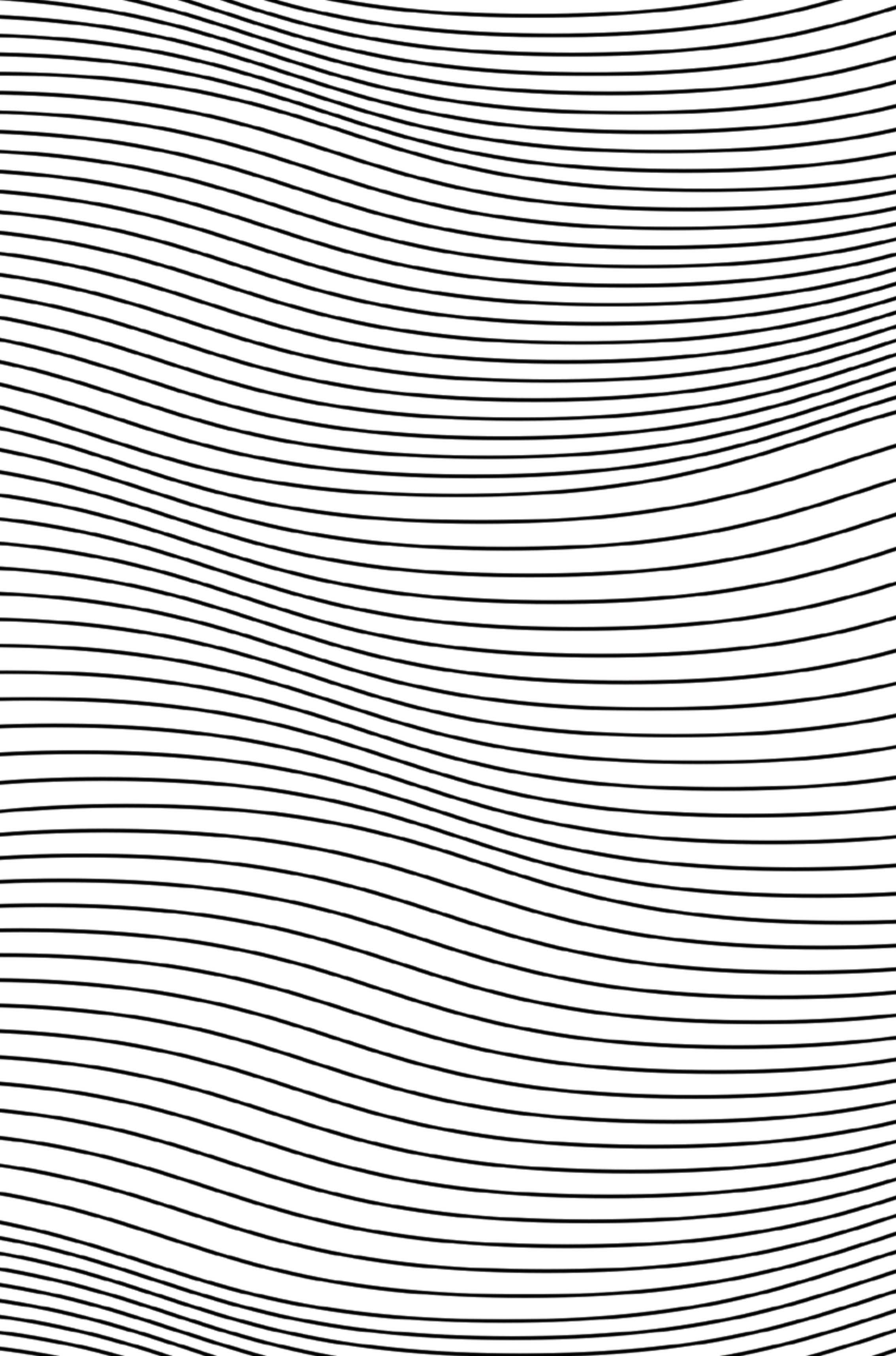

حد علم التوحيد

تعريف الحد:

لغة: المنع، ومنه الحدود؛ لأنها تمنع من العودة إلى المعاصي، ومنه إحداد المرأة في عدتها؛ لأنها تمنع من الطيب والزينة، وسمي التعريف حداً؛ لمنعه الداخل من الخروج، والخارج من الدخول[١].

اصطلاحاً: هو الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره[٢].

أو هو اللفظ المفسِّر لمعناه على وجه يجمع ويمنع[٣].

ويسمَّى عند بعضهم بـ «القول الشارح» أو «التعريف»، فإذا قيل: حد علم التوحيد، فإنه يراد به تعريف ذلك العلم الذي يحيط بمعناه ويجمع قضاياه، ويمنع من التباس غيرها بها، بعبارة ظاهرة بعيدة عن الألغاز، من غير اشتراك لفظي أو مجاز. والأصل في الحد أن يورث التمييز بين المحدود وغيره، أما تصوير المحدود وتعريف حقيقته على وجه التمام فهذا قد لا يتيسر في كل حدٍّ ولا يتحقق في كل محدود.

(١) ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٩٥)، تهذيب اللغة (٣/ ٢٧١)، الصحاح تاج اللغة (٢/ ٤٦٢)، مقاييس اللغة (٢/ ٣)، لسان العرب (٣/ ١٤٠)، المصباح المنير (١/ ١٢٤).

(٢) مختصر التحرير (١/ ٨٩).

(٣) المستصفى (ص: ١٨)، روضة الناظر (١/ ٦٦)، شرح تنقيح الفصول (ص: ٤).

أولاً: معنى التوحيد:

لغة: (وَحَدَ) تدور حول انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو أفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه[١].

والتوحيد مصدر وحَّده يوحده توحيداً[٢]، ومعناه حينئذ: «جعله واحداً»[٣].

التوحيد اصطلاحاً: للتوحيد اصطلاحاً إطلاق عام وذلك باعتباره فعلاً من أفعال القلوب، وآخر خاص باعتباره عَلَماً على علْم معَّين، وعلى هذا فالتوحيد بالمعنى المصدري العام هو: إفراد الله بالعبادة، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته، فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله[٤].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «هو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه»[٥].

ثانياً: معنى العلم:

يطلق العلم ويراد به: إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع[٦]، ويمكن تعريفه بتمثيل كأن يقال: العلم إدراك البصيرة المشابه لإدراك

---

(١) ينظر: العين (٣/ ٢٨١)، الصحاح تاج اللغة (٢/ ٥٤٧)، مجمل اللغة (ص: ٩١٨).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٠٩).

(٣) القاموس المحيط (ص: ٣٢٤)، تاج العروس (٩/ ٢٦٦).

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٤٤).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٤٦).

(٦) ينظر: التعريفات (ص: ١٥٥)، الكليات (ص: ٦١١).

الباصرة[١].

قال ابن القيم رحمه الله: «العلم: نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس.. فإن كان الثابت في النفس مطابقاً للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح»[٢].

ويطلق العلم على الظن الغالب، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾[الممتحنة: ١٠]، أي: غلب على ظنكم[٣]، قال النسفي: «العلم الذي تبلغه طاقتكم، وهو الظن الغالب بظهور الأمارات»[٤]، ثم قال معلقاً: «وفي تسمية الظن علماً إشارة إلى أن الظن وما يفضي إليه القياس جارٍ مجرى العلم»[٥]، كما يطلق الظن على العلم كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾[البقرة: ٤٦].

وعليه فإن العلم اصطلاحاً يطلق على مجموعة من المعارف الظنية الراجحة ومنها ما هو قطعي، بشرط أن تكون منظمة حول موضوع ما، كعلم التوحيد، وعلم الفقه، وعلم الطب ونحو ذلك[٦].

وبناء على ما تقدم، فإن المختار في تعريف العلم أنه:

الإدراك الحاصل بالدليل، الشامل لليقين الحازم والظن الغالب،

---

(١) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٢/ ٢٤٤).

(٢) الفوائد (ص: ٨٤).

(٣) الكليات (ص: ٩٤٣).

(٤) تفسير النسفي (٣/ ٤٧٠).

(٥) تفسير النسفي (٣/ ٤٧٠).

(٦) علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، ص ٧٧.

وما بينهما من درجات ومراتب.

وأخيراً فإن العلم -اصطلاحاً- قد يطلق ويراد به قواعد ومسائل العلم تارة، وإدراك هذه المسائل تارة أخرى، وملكة إدراك المسائل تارة ثالثة[١].

معنى المركب الإضافي:

فإذا أضيفت كلمة العلم إلى كلمة التوحيد، فإن معنى هذا المركب الإضافي هو: الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل بانفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، مع انفراده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

علم التوحيد باعتباره اللقبي:

الطور الأخير لهذا الاصطلاح وهو طور الاستقلال وصيرورته لقباً على فن مخصوص، وهو «علم التوحيد»، ويعرَّف بهذا الاعتبار على أنه: «العلم الذي يبحث عما يجب لله من صفات الجلال والكمال، وما يستحيل عليه من كل ما لا يليق به، وما يجوز من الأفعال، وعما يجب للرسل والأنبياء، وما يستحيل عليهم، وما يجوز في حقهم، وما يتصل بذلك من الإيمان بالكتب المنزلة، والملائكة الأطهار، ويوم البعث والجزاء، والقدر والقضاء»[٢].

وقد يقال اختصاراً هو: «العلم بالأحكام الشرعية العقدية

(١) ينظر: أبجد العلوم (ص: ٢٤).

(٢) مذكرة في علم التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي، ص ٣، ٤.

المكتسب من الأدلة اليقينية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية»[١].

وهذا التعريف يرجع إلى اعتبار هذا العلم ملكة يتمكن معها صاحبها من إيراد الحجج على العقائد ودفع الشبه عنها.

ويرد على هذا التعريف أن أحاديث الآحاد مما يحتج به في العقائد والأحكام سواء؛ فلو قيل «بالأدلة المرضية» لتشمل الأدلة اليقينية والظنية لكان أولى.

كما يمكن أن يعرَّف باعتبار موضوعه فيقال: علم التوحيد: هو العلم الذي يبحث في الله وما يجب له وما يجوز وما يمتنع، وهذا يشمل الأنواع الثلاثة من التوحيد: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

(١) المدخل لدارسة العقيدة الإسلامية للبريكان، ص ١٣.

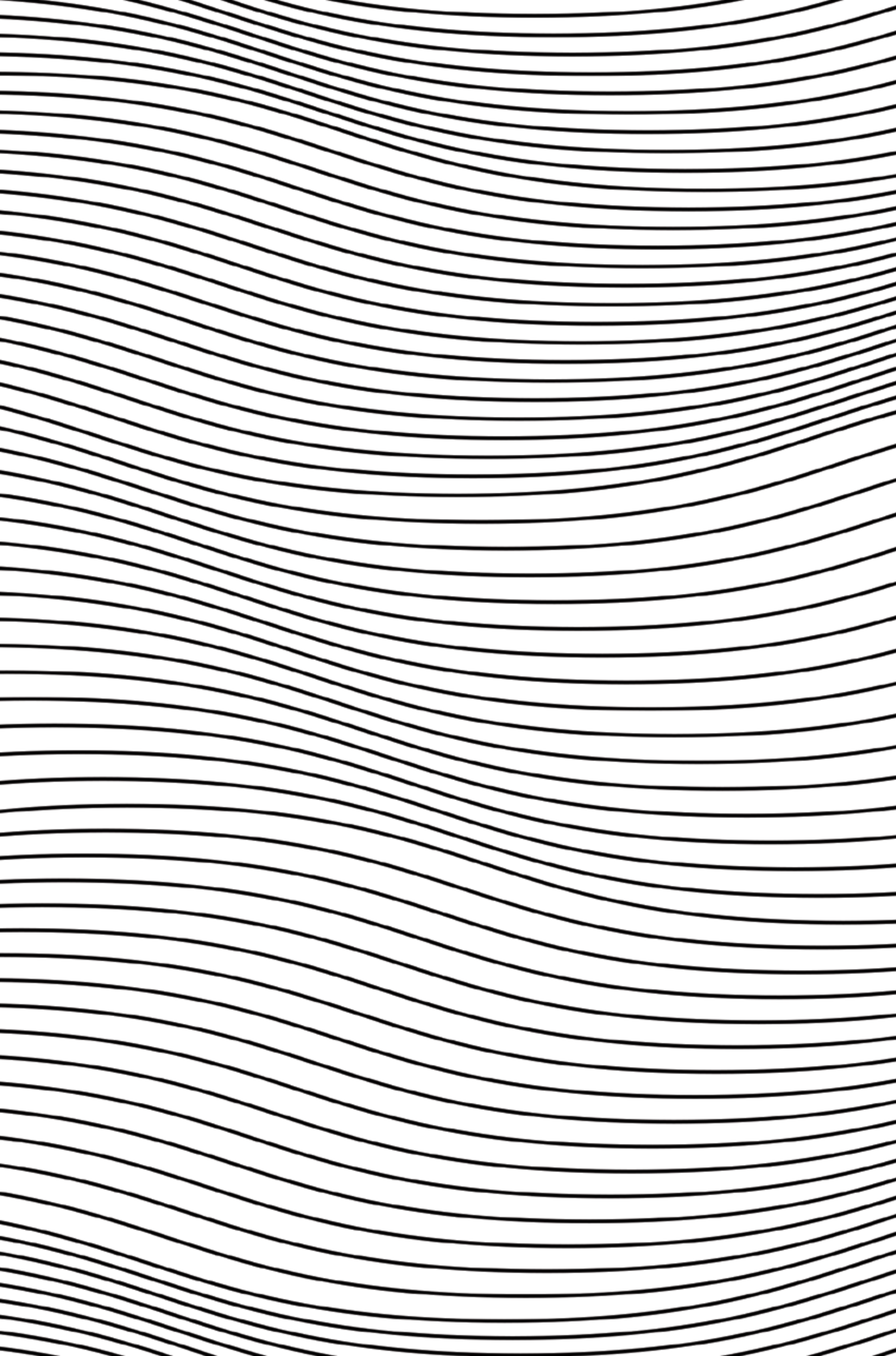

أسماء علم التوحيد

الاسم هو ما دل على مسمى كزيد وعمرو، وهو مشتق من السمة وهي العلامة، فهو علامة على مسماه، أو مشتق من السمو وهو العلو والارتفاع، إذ إنه يعلو مسماه[1].

والمقصود بأسماء العلم ما يطلق عليه من الأسماء المعتبرة عند أهل هذا العلم، والمسمى إذا كثرت أسماؤه دل ذلك على شرفه وفضله وأهميته غالباً، وعلم التوحيد من أكثر العلوم أسماء، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: أسماء علم التوحيد:

- علم التوحيد:

ولعل السبب في إطلاق اسم التوحيد على هذا العلم، هو أن مبحث وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله هو أهم مباحث هذا العلم، فهو من باب تسمية الكل بأشرف أجزائه، أو تسمية العلم بأشهر بحوثه، ثم إن ما عدا مبحث الوحدانية قائم ومعتمد عليه، فهو الأصل الذي يتفرع عنه غيره.

ولقد كثرت الكتب المصنفة في باب الاعتقاد التي تحمل اسم التوحيد قديماً وحديثاً، فمن ذلك:

(١) ينظر: المخصص (٥/ ٢١٥)، التعريفات (ص: ٢٤)، تاج العروس (٣٨/ ٣٠٥).

- «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب» للإمام أبي بكر ابن خزيمة.

- «كتاب التوحيد الذي هو حق لك على العبيد» للإمام محمد ابن عبد الوهاب.

- **العقيدة:**

معناها في اللغة:

فعيلة بمعنى مفعولة، أي معقودة، فهي مأخوذة من العَقْد، وهو الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والإحكام والتوثيق، ويستعمل ذلك في الأجسام المادية، كعقد الحبل، ثم توسع في معنى العقد فاستعمل في الأمور المعنوية، كعقد البيع وعقد النكاح(١).

قال ابن فارس: «العين والقاف والدال، أصل واحد يدل على شدٍّ، وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها»(٢).

وكلمة العقيدة لم ترد في القرآن الكريم وإنما وردت مادتها فقط في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[النساء: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾[البقرة: ٢٣٥].

«وأما معاجم اللغة القديمة فلم ترد فيها كلمة العقيدة باستثناء المصباح المنير، فقد ذكر فيه الفيومي أن العقيدة ما يدين الإنسان به،

(١) ينظر: العين (١/ ١٤٠)، مختار الصحاح (ص: ٢١٤)، المصباح المنير (٢/ ٤٢١).
(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٨٦).

فهـي الإيمـان بحقيقـة معينـة إيماناً لا يقبل الشـك أو الجـدل»[١].

وقـد ذكـر المعجـم الوسـيط أن العقيـدة: هـي «الحكـم الـذي لا يقبـل الشـك فيه لـدى معتقـده، ويرادفهـا الاعتقـاد والمعتقـد.. وجمعها عقائـد»[٢].

معناها في الاصطلاح:

«العقيـدة فـي اصطـلاح علمـاء التوحيـد: هـي الإيمـان الـذي لا يحتمـل النقيـض»[٣]، ويلاحـظ اقتـراب أو تطابـق المعنـى اللغـوي والاصطلاحـي لكلمـة العقيـدة.

العلاقة بين علمي العقيدة والتوحيد:

«وعلـم العقيـدة وعلم التوحيـد مترادفان، وإنما سـمي علم التوحيد بعلـم العقيـدة بناء علـى الثمرة المرجـوة منه، وهـي انعقاد القلـب انعقاداً جازماً لا يقبـل الانفكاك»[٤].

وقـد يفـرَّق بينهمـا اصطلاحـاً باعتبـار أن العقيـدة أعـم موضوعـاً مـن التوحيـد؛ لأنهـا تقرر الحـق بدليلـه، وترد الشـبهات وقـوادح الأدلة، وتناقـش الديانـات والفـرق.

وقد جرى السـلف على تسـمية كتبهـم في التوحيـد والإيمان بكتب

---

(١) علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة، للدكتور أحمد السايح، ص ٨.

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٦١٤).

(٣) المدخل لدارسة العقيدة الإسلامية للبريكان، ص ١٣.

(٤) المرجع السابق.

العقيدة، كما فعل أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، والإمام اللالكائي رحمه الله في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة».

- **الإيمان:**

معناه في اللغة:

قال ابن فارس: «للهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان متدانيان. . . وأما التصديق فقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[يوسف: ١٧]، أي مصدِّق لنا»[١].

وقال الأزهري: «وأما الإيمان: فهو مصدر آمن إيماناً فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين أن الإيمان معناه التصديق...»[٢].

معناه شرعاً:

وأما الإيمان فيطلق على الاعتقاد القلبي، والإقرار اللفظي، والعمل الحسي، امتثالاً للأوامر، واجتناباً للمناهي.

وهذا التعريف الاصطلاحي للإيمان مأخوذ من تعريف النبي للإيمان في حديث جبريل، وفيه: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٣٣).

(٢) لسان العرب (١٣/ ٢٣).

خيره وشره»[١]، وحديث وفد بني عبد القيس، وفيه: «هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة ألا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»[٢]، حيث عرف الإيمان في الحديث الأول بالاعتقادات الباطنة، وفي الحديث الثاني بالأعمال الظاهرة، ثم صار الإيمان يطلق ويراد به مسائل الاعتقاد كلها .

وصنَّفه باسم الإيمان كتب بحثت قضايا التوحيد ومسائل الاعتقاد جميعاً، ومن أولها:

- «كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته»، للإمام أبي عبيد القاسم ابن سلاَّم رحمه الله.

- «كتاب الإيمان» للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة رحمه الله.

- «كتاب الإيمان» للحافظ محمد بن إسحق بن يحيى بن منده رحمه الله.

- **السنة:**

معناها في اللغة: السنة في اللغة تطلق على الطريقة المسلوكة، محمودة كانت أو مذمومة، كما تطلق على العادة الثابتة المستقرة،

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه البخاري (٨٧)، ومسلم (١٧).

وعلى غير ذلك[١].

معناها في الاصطلاح:

والسنة اصطلاحاً لها معان كثيرة بحسب العلم الذي تذكر فيه، والمهم هنا معناها عند علماء التوحيد، وفي معناها عندهم قال ابن رجب رحمه الله: «وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم»[٢].

وهذا الإطلاق للسنة على العقيدة من باب إطلاق الاسم على بعض مسمياته، فإن الاعتصام بالسنة من أهم أصول أهل السنة.

وقد عرفت كتب الاعتقاد باسم كتب السنة، وساد ذلك في القرن الثالث الهجري، في عصر الإمام أحمد رحمه الله، حيث أظهر أهل البدع بدعهم وجاهروا بها تصنيفاً ومناظرة، فألَّف أهل السنة في الرد عليهم كتباً أسموها كتب السنة؛ وذلك لأنهم لم يكن لهم اسم يتسمون به خصوصاً بخلاف أهل الابتداع، فاعتصموا بالسنة والآثار، وجعلوا ذلك حرزاً من الضلال.

ومن تلك الكتب:

- «السنة» للإمام أحمد رحمه الله.
- «السنة» لأبي بكر بن الأثرم رحمه الله.

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢١٠)، الصحاح تاج اللغة (٥/ ٢١٣٨)، لسان العرب (١٣/ ٢٢٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٠).

- «السنة» لابن أبي عاصم رحمه الله.

- **أصول الدين:**

وهـذا المصطلـح مركب من مضـاف ومضاف إليه، ويعـرف باعتبار مفرديه أولاً.

فالأصل في اللغة: «ما يبنى عليه غيره، أو ما يتفرع عنه غيره»[١].

وفـي الاصطـلاح يطلـق علـى معـان متعـددة، والمختـار منهـا مما يناسـب هذا الموضـوع أن الأصول بمعنى «القواعد والأسـس العامة»[٢].

والديـن يطلـق فـي اللغـة علـى الـذل والخضـوع، كمـا يطلـق على الحسـاب والجـزاء[٣]، واصطلاحـاً: هو الأحـكام الاعتقاديـة التي تضبط مـا يتصف بـه الله من صفـات، وكذلك الأحـكام العملية التـي هي طريق عبوديـة الله عـز وجل.

فأصـول الديـن بهـذا الاعتبـار تشـمل أركان الإسـلام مـن الأعمال الظاهـرة، وأركان الإيمـان مـن الاعتقـادات الباطنـة، ثـم غلـب علـى العلمـاء المصنفيـن فـي الاعتقـاد اسـتعمال هـذا الاصطـلاح فـي قضايـا التوحيـد والعقيـدة.

قـال الشهرسـتاني: «الأصـول معرفـة البـاري تعالـى بوحدانيتـه

---

(١) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ١٩٢)، الإبهاج في شرح المنهاج (١/ ٢٠)، التحبير شرح التحرير (١/ ١٤٨).

(٢) ينظر: المطلق والمقيد، حماد بن حمد الصاعدي (ص: ٣٦).

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ٣٢٠)، لسان العرب (١٣/ ١٧٠).

وصفاتـه، ومعرفـة الرسـل بآياتهـم وبيناتهـم، وبالجملة كل مسـألة يتعين الحـق فيهـا بيـن المتخاصميـن فهـي مـن الأصـول، ومـن المعلـوم أن الديـن إذا كان منقسـماً إلى معرفة وطاعـة، والمعرفة أصـل والطاعة فرع، فمـن تكلـم فـي المعرفـة والتوحيـد كان أصوليًّـا، ومـن تكلم فـي الطاعة والشـريعة كان فروعيًّـا، فالأصول هـو موضوع علم الـكلام، والفروع هو موضـوع علم الفقـه»[1].

وقـد اعتـرض ابن تيميـة رحمه اللـه تعالـى على أن يكـون مصطلح أصـول الديـن قاصراً علـى العقائـد دون مسـائل العمل الكبـار، كالصلاة والصيـام والـزكاة والحـج، أو أن يدخـل فيـه مسـائل العقائـد المختلـف فيهـا داخـل دائـرة أهل السـنة، نحو: هـل رأى النبـي ربه ليلـة المعراج أم لا؟ وهـل يسـمع الميـت كلام الحـي أم لا؟ ونحـو هذا.

ومن أمثلة ما ألف في ذلك:

- «الشـرح والإبانـة عـن أصـول السـنة والديانـة» لأبي عبـد الله بن بطـة العكبـري الحنبلي رحمـه الله.
- «الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري رحمه الله.
- الشريعة:

معناها في اللغة:

قـال ابـن منظـور: «وهـي لغـة: مـن الشَّـرْع وهـو السَّـن والبيـان

(١) الملل والنحل (١/ ٤١).

والمورد والطريق»[١]، وقال ابن فارس: «والشريعة: مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ الْمَاءَ»[٢].

معناها في الاصطلاح:

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

قال التهانوي في معناها الاصطلاحي: «الشريعة: ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء صلى الله عليهم وعلى نبينا وسلم، سواء أكانت متعلقة بكيفية عمل، وتسمى فرعية وعملية، دوِّن لها علم الفقه، أو بكيفية الاعتقاد، وتسمى أصلية واعتقادية... ويسمى الشرع أيضاً بالدِّين والملَّة، فإن تلك الأحكام من حيث إنها تطاع دين، ومن حيث إنها تملى وتكتب ملَّة، ومن حيث إنها مشروعة شرع، فالتفاوت بينها بحسب الاعتبار لا بالذات»[٣].

ثم أطلقت الشريعة أخيراً على: «العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان، مثل اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل، وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق... إلخ»[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب (٨/ ١٧٦).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٢).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ١٠١٨).

(٤) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦).

والشـريعة هنا كالسـنَّة، فقد يراد بها ما سـنه الله وشـرعه مـن العقائد، وقـد يراد بها ما سـنه وشـرعه من العمـل، وقد يراد بهـا كلاهما.

وقـد ألف بعـض العلمـاء كتبـاً فـي الاعتقاد تحمل اسـم الشـريعة، ومـن أولها:

- «الشريعة» لأبي بكر الآجري رحمه الله.

- «الإبانـة عن شـريعة الفرقة الناجيـة ومجانبة الفـرق المذمومة» لابن بطة الحنبلي رحمـه الله.

- **الفقه الأكبر:**

أطلـق الفقـه فـي الاصطـلاح علـى مـا هـو أعـم من علـم الفـروع، بحيـث يشـمل الأصـول والفـروع.

يقـول الحنفـي: «سـمي بالفقـه الأكبـر؛ لأنه أكبـر بالنسـبة للأحكام العمليـة الفرعيـة التـي تسـمى الفقه الأصغر؛ ولأن شـرف العلـم وعظمته بحسـب المعلـوم، ولا معلـوم أكبـر مـن ذات اللـه تعالـى وصفاتـه الذي يبحـث فيـه هـذا العلم؛ لذلـك سـمي الفقه الأكبـر»[١].

وقـال أبـو حنيفـة: «الفقـه الأكبـر فـي الديـن أفضـل مـن الفقه في العلـم، ولأنْ يتفقـه الرجـل كيف يعبـد ربه؛ خير لـه من أن يجمـع العلم الكثير»[٢].

التطور التاريخي لتدوين علم التوحيد:

---

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ٨).

(٢) الفقه الأكبر (ص: ٨٢).

لا ريب أن مصطلحي الإيمان والفقه الأكبر قد ظهرا في القرن الثاني وبرزا، واستمر مصطلح الإيمان في الذيوع خلال القرن الثالث حيث برز مصطلح السنة، وظهرت الكتب الاعتقادية التي حملت اسم السنة، وتوالى التصنيف في القرن الرابع بهذه الأسماء الاصطلاحية، ثم ظهر في القرن الرابع أربعة مصطلحات شاعت وذاعت، وهي: التوحيد، الشريعة، أصول الدين، العقيدة، وإن كان مصطلح العقيدة قد ظهر أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس الهجري كما يبدو هذا من كتاب الإمام اللالكائي رحمه الله في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، وكذا فعل الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، وتتابع بعد ذلك المصنفون على استعمال هذا المصطلح.

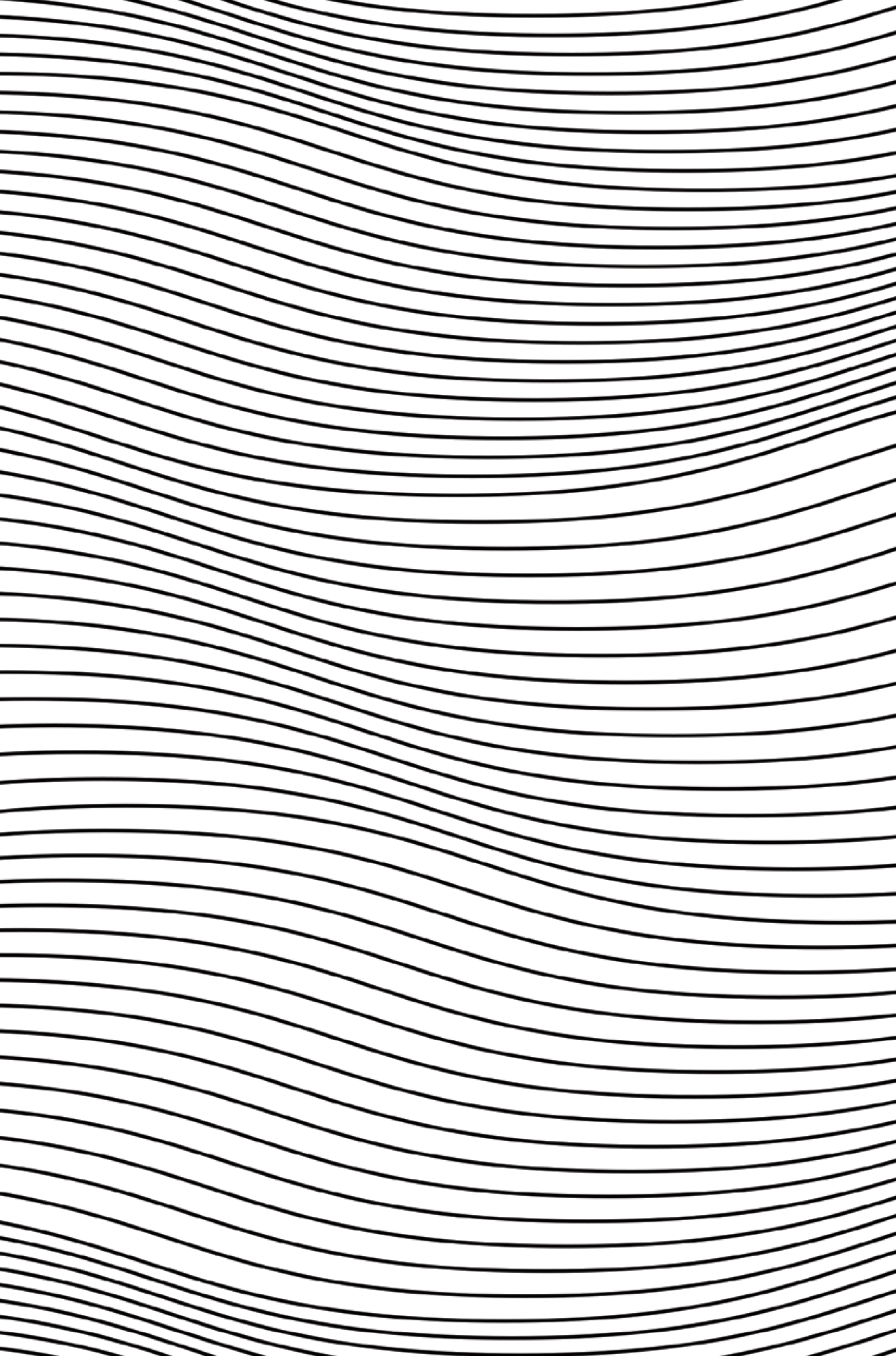

موضوع علم التوحيد

إن موضـوع أي علـم هـو ذلك المعنـى العام الذي يشـتمل على كل مسـائله لبحثـه دون غيـره مـن العلـوم، وذكـر موضـوع العلم بعـد تعريفه ممـا يزيـده تحديـداً وتمييزاً عـن غيره.

وفـي تعريـف موضوع العلـم اصطلاحـاً، قال ابـن النجـار الحنبلي رحمـه اللـه: «هـو ما يبحـث فيـه عـن عوارضـه الذاتيـة»(١)، أي الأحوال التـي منشـؤها ذات العلم.

فموضوع علم التوحيد يدور على محاور ثلاثة، وهي:

- **(الإلهيات)**:

من حيثيات ثلاث، هي:

مـا يتصـف بـه جـل وعـز مـن العلـم والحيـاة والقـدرة والصفات، وسـائر صفاتـه وكمالاته تعالـى. قال سـبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

مـا يتنـزه عنه مـن الظلم والنقـص والعجـز والمثالب، وسـائر ما لا يليـق بجلاله وكمالـه. قال تعالـى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[البقرة: ٢٥٥].

حقـه علـى عبـاده، وهـو أن يعبـدوه فـلا يشـركوا بـه شـيئاً، وأن

(١) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير لابن النجار (١/ ٣٣).

يطيعوه فلا يعصوه أبداً. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة: ٥].

- (النبوات):

من الحيثيات التالية:

ما يلزمهم ويجب عليهم من صدق وأمانة وبلاغ ونصح لأممهم ونحو ذلك. قال جل وعز: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[هود: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، وقال: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[المائدة: ٩٩].

ما يجوز في حقهم من أكل ونكاح ونحو ذلك مما يعرض للبشر. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[الفرقان: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[الرعد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١].

ما يستحيل في حقهم من الكذب والخيانة والكفر والكبائر والموبقات قال جل وعز: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

ما يجب لهم على أتباعهم من الحب والطاعة والاتباع والتعظيم. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[النساء:٦٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾

[الأحزاب:٦].

- السمعيات أو الغيبيات:

وهي ما يتوقف الإيمان به على مجرد ورود السمع أو الوحي به، وليس للعقل في إثباتها أو نفيها مدخل، كأشراط القيامة، وتفاصيل البعث والجزاء دون أصلهما، والصراط والحوض، وأخبار الجنة والنار، ونحو ذلك.

والبحث في السمعيات أو مسائل الغيب يكون من حيث اعتقادها، وهو يقوم على دعامتين هما:

- الإقرار بها مع التصديق، ويقابله الجحود والإنكار لها.

- الإمرار لها مع إثبات معناها، ويقابله الخوض في الكنه والحقيقة، ومحاولة التصور والتوهم بالعقل بعيداً عن النقل.

وضابط السمعيات: أن العقل لا يمنعها أو يحيلها، ولا يقدر على ذلك، ولا يقدر أن يوجبها، ولا يحار في ذلك.

فمتى ما صح النقل عن الله أو رسوله، فإن الواجب اعتقاد ذلك والإقرار به، ودفع كل تعارض موهوم بين شرع الله وهو الوحي، وبين خلقه وهو العقل، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤]، وكما أنه لا تفاوت في خلقه ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[الملك: ٣]، فلا تفاوت أيضاً في شرعه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، والقاعدة الذهبية أنه لا يتعارض نقل صحيح مع عقل صريح عند التحقيق البتة.

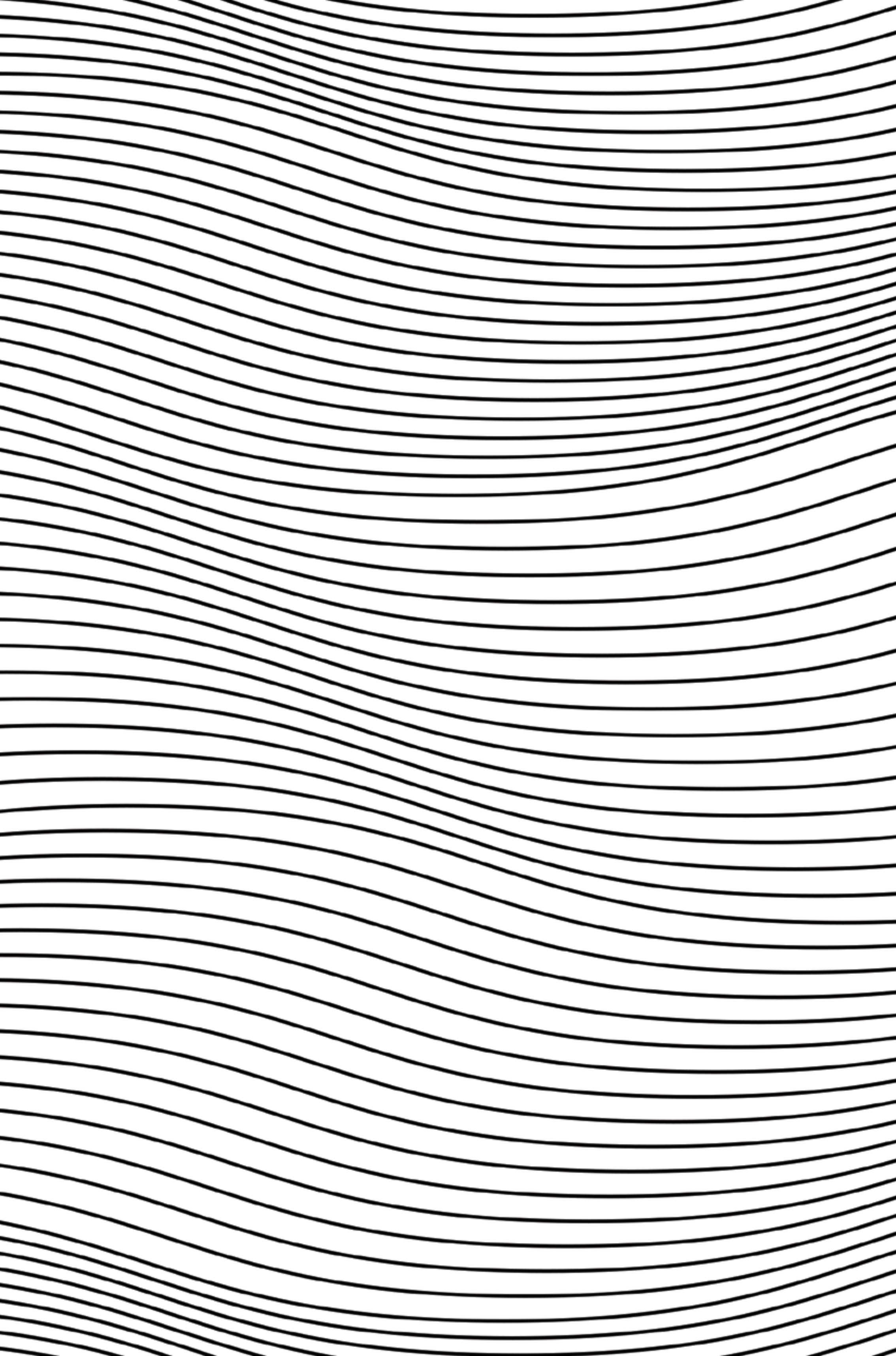

حكم علم التوحيد

الحكم في اللغة: القضاء مطلقاً أو القضاء بالعدل خاصة، وأصله من المنع[١].

واصطلاحاً: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[٢].

«وينبغي أن يعلم أن حكم العلم كحكم المعلوم، فإن كان المعلوم فرضاً أو سنة فعلمه كذلك، إذا توقف حصول المعلوم على تعلم ذلك العلم»[٣].

وفي الحق أن تعلم علم التوحيد منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «أجمع العلماء أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية، إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع»[٤].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وطلب العلم الشرعي فرض على

(١) تهذيب اللغة (٤/ ٦٩)، الصحاح تاج اللغة (٥/ ١٩٠٢)، مقاييس اللغة (٢/ ٩١).

(٢) المحصول للرازي (١/ ٨٩)، شرح مختصر الروضة (١/ ٢٤٧).

(٣) ترتيب العلوم للمرعشي، ص٩٠.

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٦).

الكفاية إلا فيما يتعين، مثل طلب كل واحد علم ما أمره به وما نهاه عنه، فإن هذا فرض على الأعيان»[١].

وإن أعظم ما أمر الله به هو التوحيد، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: ١٩]، وقال جل وعز: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفي حديث معاذ، قال رسول الله: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟**»، قلت: «الله ورسوله أعلم»، قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»[٢]، وفي حديث معاذ الآخر قال: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**»[٣].

فكان أول الواجبات وأوجب التكليفات، هو إفراد الله تعالى بالتوحيد والبراءة من الشرك، وفي الحديث: «**إن العبد أول ما يُسأل في قبره من ربك، وما دينك، ومن الرجل الذي بعث فيكم**»[٤].

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله: «اعلم أن التوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله... ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك. . فالتوحيد

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، إلا أن حديث السؤال في القبر أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٣٤).

أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب»[١].

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في منظومته:

أول واجب على العبيد   معرفة الرحمن بالتوحيد

ومما يدل على أنه آخر واجب، حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[٢]، وفي الصحيح من حديث عثمان: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة»[٣].

فتعلم فرض العين من علم التوحيد هو أول الواجبات وأولاها وأفرضها على المكلفين أجمعين إنساً، وجناً.

وفرض العين منه، هو: ما تصح به عقيدة المسلم في ربه، من حيث ما يجوز ويجب ويمتنع في حق الله جل وعز، ذاتاً وأسماء وأفعالاً وصفات، على وجه الإجمال، وهذا ما يسميه بعض العلماء بالإيمان المجمل.

وهو ما يسأل عنه جميع الخلق؛ لما روي عن أنس بن مالك وابن عمر ومجاهد في قوله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، قالوا: عن لا إله إلا الله.

وأما فرض الكفاية من علم التوحيد، فما زاد على ذلك من

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦).

التفصيل والتدليل والتعليل، وتحصيل القدرة على رد الشبهات وقوادح الأدلة، وإلزام المعاندين وإفحام المخالفين، وهذا ما يسمى بالإيمان التفصيلي، وهو المقدور على إثباته بالأدلة وحلِّ ودفع الشبه الواردة عليه، وهو من أجلِّ فروض الكفايات في علوم الإسلام؛ لأنه ينفي تأويل المبطلين وانتحال الغالين، فلا يجوز أن يخلو الزمان ممن يقوم بهذا الفرض الكفائي المهم.

واختصاراً فإن حكم الشارع في تعلم علم التوحيد أنه فرض عين على كل مكلف، من ذكر وأنثى، وذلك بالأدلة الإجمالية، وأما بالأدلة التفصيلية ففرض على الكفاية.

ويشترط للتكليف بالتوحيد أربعة شروط، وهي: العقل، والبلوغ، وسلامة حاستي السمع أو البصر، وبلوغ الدعوة، وفيما يلي لمحة عنها :

- **العقل**:

وقصد به الوصف الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان[(١)]، فبه يتحصل على العلوم النظرية ويدبر الصناعات الخفية، وينشأ هذا العقل في بطن الأم ويكتمل لدى البلوغ، وهو بهذا الاعتبار منحة الله وفضله، على عباده.

وسمي هذا العقل عقلاً؛ لأنه يعقل الإنسان عما يقبح، كما يعقل

---

(١) لسان العرب (١١/ ٤٥٩).

العقـال الدابة[١]، ويسـمى هذا العقـل بالعقل الغريـزي[٢] أو الطبعي، وهو المشـترط للتكليـف، فإذا غاب تمامـاً أو زال بالكلية، فقد أصبح الإنسـان غيـر مكلـف، وإذا أخـذ اللـه ما وهب أسـقط مـا أوجب، وفـي الحديث: «**رفـع القلـم عـن ثلاثة: عـن المجنـون المغلـوب علـى عقله حتـى يفيق، وعـن النائم حتى يسـتيقظ، وعـن الصبي حتـى يحتلم**»[٣].

البلوغ:

نقـل ابـن المنـذر الإجمـاع فقـال: «وأجمعـوا علـى أن الفرائـض والأحـكام تجـب علـى المحتلـم العاقـل»[٤].

السـن: فمتـى بلـغ الصغير خمس عشـرة سـنة ذكـراً كان أو أنثى عدَّ بالغـاً -مـا لـم يبلغ بأمـارة أخـرى قبل ذلـك-، وهذا قـول الجمهـور من الشـافعية[٥] والحنابلـة[٦] وأبي يوسـف ومحمد مـن الحنفيـة، ورواية عن أبـي حنيفة[٧]، وقـول عنـد المالكية[٨].

واسـتدلوا بحديـث ابـن عمـر رضـي اللـه عنهمـا قـال: «**عرضنـي**

(١) ينظر: العين (١/ ١٥٩)، مختار الصحاح (ص: ٢١٥).

(٢) القاموس الفقهي (ص: ٢٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٤٠١)، والترمذي (١٤٢٣)، والنسائي (٣٤٣٢)، وابن ماجه (٢٠٤١).

(٤) المغني لابن قدامة (٤/ ٣٤٥).

(٥) الحاوي الكبير (٢/ ٣١٤)، نهاية المطلب (٦/ ٤٣٢).

(٦) المحرر (١/ ٣٤٧)، الشرح الكبير (٤/ ٥١٢).

(٧) بدائع الصنائع (٧/ ١٧٢)، درر الحكام (١/ ٢٠).

(٨) الكافي في فقه أهل المدينة (١/ ٣٣٣)، وهو قول عبد الملك بن الماجشون من المالكية.

رسول الله يوم أحد في القتال -وأنا ابن أربع عشرة سنة- فلم يجزني، وعرضني يوم الخندق -وأنا ابن خمس عشرة سنة- فأجازني»[١].

وعند أبي حنيفة في الرواية الثانية إذا أتم الغلام ثماني عشرة سنة عُدَّ بالغًا، وإذا أتمت الأنثى سبع عشرة سنة عدت بالغة.

ومشهور المالكية أن الصبي -ذكراً كان أو أنثى- يعد بالغًا إذا أتم ثماني عشرة سنة[٢].

والمتجه القول الأول، قال أبو بكر بن العربي: «والسن التي اعتبرها النبي هي خمس عشرة سنة أولى من سن لم يعتبرها، وكذا اعتبر الإنبات علامة على البلوغ»[٣].

- سلامة حاسة السمع أو البصر:

«وهذه الحواس لا تستقل بإدراك المعاني والحقائق دون مساعدة العقل أو الدماغ، فالعقل أو الدماغ هو الذي يترجم هذه المحسوسات إلى معان، ودليل ذلك قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾[البقرة: ١٧١]، حيث شبه الله الكافرين بالبهائم التي يناديها الراعي، وربما تكلم بعبارات لكنها لا تفهم منها إلا صوتاً لا تميزه، فالبهائم تسمع الصوت، لكن لعدم المقدرة العقلية التي تمكنها من التمييز بين الأصوات ومعرفتها، فإن الأصوات عندها

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦٤)، ومسلم (١٨٦٨).
(٢) إرشاد السالك (ص: ٩٤)، شرح مختصر خليل (٥/ ٢٩١).
(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١٨).

سواء، لا تحمل إليها شيئاً من المعاني المعينة»[١].

وأهم الحواس للتكليف حاسة السمع، فإن فقدت قبل حصول العلم فقد انسدت منافذ المعرفة الصحيحة، وامتنع بلوغ الدعوة وقيام الحجة على وجهها التام -وإن أمكن نوع معرفة بالإشارة والكتابة ونحو ذلك-.

فعن الأسود بن سريع قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة يحتجون يوم القيامة، أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات على فترة، فأما الأصم فيقول: رب قد جاء الإسلام ولا أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب قد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات على فترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنَّه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً»[٢]، وفي رواية أبي هريرة: «فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يسحب إليها»[٣].

فإذا أصيبت حاسة السمع دون البصر أمكن العلم بالإشارة الكتابة ولا سيما بعد استحداث لغة للتخاطب مع الصمِّ والبكم، وإن فقد البصر حصل العلم بالسمع، فإن فقدتا معاً فقد قام العذر المانع من بلوغ الحجة، ولم تنقطع المعذرة في الآخرة.

(١) العلم أصوله ومصادره ومناهجه، لمحمد الخرعان، ص ٢٨، ٢٩.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٣٠١)، وابن حبان (٧٣٥٧)، والطبراني في الكبير (٨٤١).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٣٠٢)، والبزار (٩٥٩٨).

- بلوغ الدعوة وقيام الحجة:

فلا حساب ولا عذاب إلا بعد قيام الحجة الرسالية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وقطع العذر على أكمل وجه، قال جل وعز: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: «ظاهر هذه الآية الكريمة أن الله لا يعذب أحداً من خلقه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، حتى يبعث إليه رسولاً ينذره ويحذره، فيعصي ذلك الرسول ويستمر على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار.

وقد أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فصرح في هذه الآية الكريمة بأنه لابد أن يقطع حجة كل أحد بإرسال الرسل، مبشرين من أطاعهم بالجنة، ومنذرين من عصاهم بالنار»[1].

والناس بحسب بلوغ الدعوة وقيام الحجة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول أهل القبلة:

وهم الذين بلغتهم دعوة الرسول فآمنوا وشهدوا بالتوحيد، وماتوا على ذلك.

قال النووي رحمه الله: «اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة، ولا يخلد

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٦٥- ٦٦).

في النار، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على إحداها لم يكن من أهل القبلة أصلاً، إلا إذا عجز عن النطق لخلل في لسانه، أو لعدم التمكن منه لمعالجة المنية، أو لغير ذلك، فإنه يكون مؤمناً»(١).

وفي الصحيح عنه أنه قال: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**»(٢).

وقال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلا حرمه الله على النار**»(٣).

وأهل القبلة فيما جهلوه من أحكام التوحيد ومقتضياته معذورون لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾[الإسراء: ١٥].

قال ابن تيمية رحمه الله: «ومثل هذا في القرآن متعدد، بيَّن سبحانه أنه لا يعاقب أحداً حتى يبلغه ما جاء به الرسول، ومن علم أن محمداً رسول الله فآمن بذلك، ولم يعلم كثيراً مما جاء به، لم يعذبه الله على ما لم يبلغه، فإنه إذا لم يعذبه على ترك الإيمان قبل البلوغ، فإنه لا يعذبه على بعض شرائطه إلا بعد البلاغ أولى وأحرى»(٤).

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ١٤٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤١- ٤٢).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: «فلا يأثم أحد إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه، والله لطيف رؤوف بهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا

[الإسراء: ١٥]، وقد كان سادة الصحابة بالحبشة، وينزل الواجب والتحريم على النبي، فلا يبلغهم إلا بعد أشهر، فهم في تلك الأمور معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص، وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص، والله أعلم»[1].

القسم الثاني أهل الفترة:

وهم كل من لم تبلغهم دعوة الرسل، ولم تقم عليهم الحجة، أو عاشوا بين موت رسول وبعثة رسول آخر، ولم تبلغهم دعوة الأول.

فمن لم تبلغهم دعوة الرسول مطلقاً وماتوا على الشرك فهم معذورون في الدنيا بمعنى أن الله جل وعز لا يعاجلهم بعذاب، ولا يتسلط عليهم المؤمنون بالقتال، حتى تبلغهم الدعوة، فإن ماتوا على ما عاشوا عليه من عدم الإيمان فهم ممتحنون في الآخرة بنار يؤمرون باقتحامها، فمن أطاع في الآخرة فإنه من أهل الطاعة في الدنيا لو جاءته الرسالة، ومن عصى في الآخرة فإنه من أهل الكفر في الدنيا لو جاءته الرسالة، وهذا الامتحان يكشف علم الله تعالى في كلٍّ بسبق السعادة أو الشقاوة، وهذا مذهب السلف وعامة أهل السنة، كما نقله ابن القيم رحمه الله في كتابه طريق الهجرتين.

---

(١) الكبائر، ص ٤٧.

وقد تقدم -قريباً- حديث: «**وأما الذي مات على فترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً**»(١).

القسم الثالث: من لا يؤمن بالله عز وجل:

وهم كل من سمع بدين الإسلام ونبيه، فلم يؤمن ظاهراً وباطناً، فكل من سمع بهذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها ولم يؤمن فهو كافر بالله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: «**والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أهل النار**»(٢).

قال ابن حزم رحمه الله: «فإنما أوجب النبي الإيمان به على من سمع بأمره، فكل من كان في أقاصي الجنوب والشمال والمشرق والمغرب، وجزائر البحور والمغرب وأغفال الأرض من أهل الشرك، فسمع بذكره؛ ففرض عليه البحث عن حاله وإعلامه والإيمان به... أما من بلغه ذكر النبي ما جاء به ثم لم يجد في بلاده من يخبره عنه،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣).

ففـرض عليه الخـروج عنها إلـى بلاد يسـتبرئ فيهـا الحقائق»[١].

ولـو وجـد من هـؤلاء أهل جهـل وتقليد ولـم يصلهم نور الإسـلام ولم يسـمعوا بـه، فهؤلاء قد يعـذرون في الآخـرة ولا يعذرون فـي الدنيا.

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٥/ ١١٧- ١١٨).

فضل علم التوحيد

يقصد بفضل علم التوحيد مزيته وقدره الزائد على غيره من العلوم، وما ثبت في منزلته من فضيلة، وإذا كانت العلوم الشرعية كلها فاضلة لتعلقها بالوحي المطهر؛ فإن علم التوحيد في الذروة، حيث حاز الشرف الكامل دون غيره من العلوم، وذلك يظهر بالنظر إلى جهات ثلاث: موضوعه، ومعلومه، والحاجة إليه.

أولا: فضله من جهة موضوعه:

- من المتقرر أن المتعلِّق يشرف بشرف المتعلَّق، فالتوحيد يتعلق بأشرف ذات، وأكمل موصوف، بالله الحي القيوم، المتفرد بصفات الجلال والجمال والكمال، ونعوت الكبرياء العزة؛ لذا كان علم التوحيد أشرف العلوم موضوعاً ومعلوماً.

- وتحقيق التوحيد هو أشرف الأعمال مطلقاً، ففي الصحيح من حديثه: «**أفضل الأعمال عند الله: إيمان لا شك فيه**»[(١)]، وسئل النبي: أي العمل أفضل؟ ، فقال: «**إيمان بالله ورسوله**»[(٢)].

وهو موضوع دعوة رسل الله أجمعين، تجميع الرسل إنما دعوا إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

(١) أخرجه النسائي (٢٥٢٦)، وأحمد (١٥٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]».

والله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجل إقامة التوحيد بين العبيد، قال جل وعز: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]، وله خلقَ الجن والإنس، قال جل وعز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أي: يوحدون. . ، فأهم ما على العبد معرفته هو التوحيد.

ثانياً: فضله من جهة معلومة:

إن معلوم علم التوحيد هو مراد الله الشرعي، الدال عليه وحيه، الجامع للعقائد الحقة، كالأحكام الاعتقادية المتعلقة بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والبعث بعد الموت.

ومراد الله تعالى يجمع أموراً ثلاثة، وتترتب عليه أمور ثلاثة، فهو يجمع أن الله تعالى أراده وأحبه فأمر به، ويترتب على كونه أمر به أن يثيب فاعله، ويعاقب تاركه، وأن ينهى عن مخالفته؛ لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، فالأمر بالتوحيد نهي عن الشرك ولابد.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، قال عمر رضي الله عنه: «قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي، وهو قائم بعرفة يوم جمعة»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

القرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته في تقرير معلوم التوحيد، يقول الشيخ صديق حسن خان رحمه الله: «اعلم أن فاتحة الكتاب العزيز التي يكررها كل مسلم في كل صلاة مرات، ويفتتح بها التالي لكتاب الله والمتعلم له، فيها الإرشاد إلى إخلاص التوحيد في ثلاثين موضعاً»(١).

«والتوحيد هو فاتحة القرآن العظيم وهو خاتمته، فهو فاتحة القرآن كما في أول سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وهو في خاتمة القرآن العظيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]»(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: «وقد كان النبي يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك، إذ هذا تحقيق قولنا: لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم، والإجلال والإكرام، والرجاء والخوف»(٣).

ثالثاً: فضله من جهة الحاجة إليه:

وأما فضل علم التوحيد باعتبار الحاجة إليه، فيظهر ذلك بالنظر إلى جملة أمور، منها:

- أن الله جل وعز طلبه، وأمر به كل مكلَّف، وأثنى على أهله،

---

(١) الدين الخالص (١/ ٩).

(٢) حكم الانتماء، بكر أبو زيد، ص ٥٨.

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٣٦).

ومدح من توسل به إليه، ووعدهم أجراً عظيماً.

قال جل وعز: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: ١٩]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[البينة: ٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾[البقرة: ١٣٦].

وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓ ﴾ [الرعد: ١٩].

وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ [المؤمنون: ١].

وقال: ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٦].

- ومنها أن عقيدة التوحيد هي الحق الذي أرسلت من أجله جميع الرسل.

قال جل وعز: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء: ٢٥].

وهي حق الله على عبادة كما في حديث معاذ أن النبي قال: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»(١).

وهي ملة أبينا إبراهيم التي أمرنا الله باتباعها، قال جل وعز:

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣]، وهي أيضاً دعوته، قال تعالى على لسانه: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[إبراهيم: ٣٥].

- ومنها أن الله تعالى جعل الإيمان شرطاً لقبول العمل الصالح وانتفاع العبد به في الدنيا والآخرة.

قال جل وعز: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

فإذا جاء العبد بغير الإيمان فقد خسر جميع عمله الصالح، قال جل وعز: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

- ومنها أن سعادة البشرية في الدنيا متوقفة على العلم التوحيد، فحاجة العبد إليه فوق كل حاجة، وضرورته إليه فوق كل ضرورة، فلا راحة ولا طمأنينة ولا سعادة إلا بأن يعرف العبد ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة صحيحة، صادقة وهي الوحي.

قال ابن تيمية رحمه الله: «حاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب، فإن آخر ما يُقدَّر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها، مات قلبه موتاً

لا ترجى الحياة معه أبداً، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً»[(١)].

ولهذا سمى الله عز وجل غير الموحِّد ميتاً حقيقة، قال سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الروم: ٥٢-٥٣].

قال ابن تيمية رحمه الله: «والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، فكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالةويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة وهو من الأموات.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات.

وسمى الله تعالى الرسالة روحاً، والروح إذا عدمت فقد فقدت الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣- ٩٤).

استمداد علم التوحيد

كل علم من العلوم يتوقف في وضع قواعده، والحكم في مسائله، وفهم حقيقة تلك المسائل على ما يستمده من غيره من العلوم والفنون، فهي بمثابة مصادر وروافد تفيد في تقعيد قواعد ذلك العلم، وتعين على طلبه ودرسه، وتلزم له، ويتوقف عليها.

وإذا كان علم التوحيد باعتباره لقباً على فن معين يعبر عنه بأنه «العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسب من الأدلة المرضية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية»[1].

فإن علم التوحيد يستمد من الكتاب والسنة، وذلك بمعرفة مناهج الاستنباط، وطرائق الاستدلال، واستخراج الأحكام، وهذا يلزم له إلمام بالعربية التي هي لسان الوحي، قرآناً وسنة، كما يلزم له إدامة نظر في كتب الشروح والتفسير المأثور للقرآن والحديث، مع بلوغ غاية من علم الأصول، إذ هو سبيل الوصول إلى معرفة الأحكام الشرعية، التي هي مناط السعادة الدنيوية والأخروية.

أنواع أدلة علم التوحيد:

أولاً: صحيح المنقول:

إن صحائح المنقول تشمل الكتاب العزيز والسنة الصحيحة،

---

(١) المدخل لدارسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص ١٣.

قال جل وعز: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، والعقيدة في الله تعالى من أهم ما بيَّن الله في كتابه، قال جل وعز: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وعن السنة قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وفي الحديث عنه: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»(١).

قال ابن تيمية: «هم أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد على هدي كل أحد، ويتبعون آثاره باطناً وظاهراً»(٢).

يقول الإمام البربهاري: «واعلم أنه من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة، فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين. والحق ما جاء من عند الله، والسنة ما سنه رسول الله، والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان. ومن اقتصر على سنة رسول الله قال: «**ستفترق أمتي**»، وبيّن لنا رسول الله الفرقة الناجية منها فقال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٣)، فهذا هو الشفاء والبيان، والأمر الواضح، والمنار المستقيم»(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (١٧١٤٢).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧). بتصرف يسير.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤).

(٤) شرح السنة للبربهاري (ص: ٩٩-١٠٠).

وسنة النبي يحتج بها مطلقاً -بشرط الصحة-، لا فرق في ذلك بين العقائد والأحكام من حيث حجيتها ومجالها، ولا بين المتواتر والآحاد من حيث ثبوتها وقبولها.

ثانياً: الإجماع المتلقى بالقبول:

والإجماع مصدر من مصادر الأدلة الاعتقادية؛ لأنه يستند في حقيقته إلى الوحي المعصوم من كتاب وسنة، وأكثر مسائل الاعتقاد محل إجماع بين الصحابة والسلف الصالح، ولا تجتمع الأمة على ضلالة وباطل.

«فالإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمدون عليه في العلم والدين، والإجماع الذي ينضبط ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الخلاف وانتشرت الأمة»[(١)]، وعلى هذا فإجماع السلف الصالح في أمور الاعتقاد حجة شرعية ملزمة لمن جاء بعدهم «فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة أصول معصومة»[(٢)].

ثالثاً: صريح المعقول:

«العقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية، إلا أنه ليس مصدراً مستقلاً؛ بل يحتاج إلى تنبيه الشرع، وإرشاده إلى الأدلة؛ لأن الاعتماد

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

على محض العقل، سبيل للتفرق والتنازع»[١]، فالعقل لن يهتدي إلا بالوحي، والوحي لا يلغي العقل.

وقد رفع الله قدر العقل وحث على التعقل، وأثنى على العقلاء، قال جل وعز: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧- ١٨].

والنصوص الشرعية قد جاءت متضمنة الأدلة العقلية صافية من كل كدر، فما على العقل إلا فهمها وإدراكها، فمن ذلك:

قوله جل وعز: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

وقال جل وعز: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ثم إن كثيراً من مسائل الاعتقاد بعد معرفتها والعلم بها لا تدرك العقول حقيقتها وكيفيتها، وذلك كصفات الله تعالى وأفعاله، وحقائق ما ورد من أمور اليوم الآخر من الغيبيات التي لا يحيلها أو يردها العقل، ولا يوجبها أو يطلبها.

«ولهذا ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم لتقرير مسائل الغيب، تنبيهاً للعقول على إمكان وجودها، فاستدل على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات والأرض وهي أعظم وأبلغ في القدرة، وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض

(١) إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير، ص ١٣.

الميتة بعد إنزال الماء عليها»[١].

قال السفاريني رحمه الله: «لو كانت العقول مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه، لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وإنزال الكتب، واللازم باطل بالنص: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فكذا الملزوم»[٢].

وأخيراً فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح؛ فالأول خلق الله جل وعز والثاني أمره، ولا يتخالفان؛ لأن مصدرهما واحد وهو الحق سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال ابن تيمية: «وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح؛ لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة»[٣].

رابعاً: الفطرة السوية:

أما الفطرة فهي خلق الخليقة على قبول الإسلام والتهيؤ للتوحيد[٤].

---

(١) مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن، ص ٨٥.

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٠٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٩٠).

(٤) ينظر: معالم السنن (٤/ ١٤٣).

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره»(١).

قال ابن تيمية: «فالحنيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها، والحب لله، والخضوع له، والإخلاص له هو أصل أعمال الحنيفية»(٢).

والفطرة السوية تهدي العبد إلى أصول التوحيد والإيمان، وجمهرة أهل العلم على فطرية الإيمان، وليس يحتاج العبد لتحصيله من أصله إلى استدلال أو برهان، فضلاً عن أن يشك ويخرج من ثوب اليقين والإذعان، «والقلوب مفطورة على الإقرار به سبحانه أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات»(٣)، كما قالت الرسل: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

يقول ابن تيمية رحمه الله: «الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة»(٤).

ويقول: «إن أصل العلم الإلهي فطري ضروري، وإنه أشد

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١٣).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٥١).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٨).
(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٢٨).

رسوخاً في النفوس من مبدأ العلم الرياضي، كقولنا: إن الواحد نصف الاثنين، ومبدأ العلم الطبيعي كقولنا: إن الجسم لا يكون في مكانين؛ لأن هذه المعارف أسماء قد تعرض عنها أكثر الفطر، وأما العلم الإلهي فما يتصور أن تعرض عنه فطرة»[١].

«والإسلام بعقائده وأحكامه موافق للفطرة لا يعارضها؛ بل كلما كانت العقائد والأحكام بعيدة عن الإسلام، كانت معارضة للفطرة الصحيحة مضادة لها، ففي الفطرة محبة العدل وإيثاره، وبغض الظلم والنفار منه، واستقباح إرادة الشر لذاته، لكن تفاصيل ذلك إنما تعلم من جهة الرسل، فالطفل عند أول تمييزه إذا ضرب من خلفه التفت لعلمه أن تلك الضربة لابد لها من ضارب، فإذا شعر به بكى، حتى يقتص له منه، فيسكن ويهدأ، فهذا إقرار في الفطرة بالخالق، وهو التوحيد، وبالعدل الذي هو شرعة الرب تعالى»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ١٥).

(٢) إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير، ص ٢٤٠.

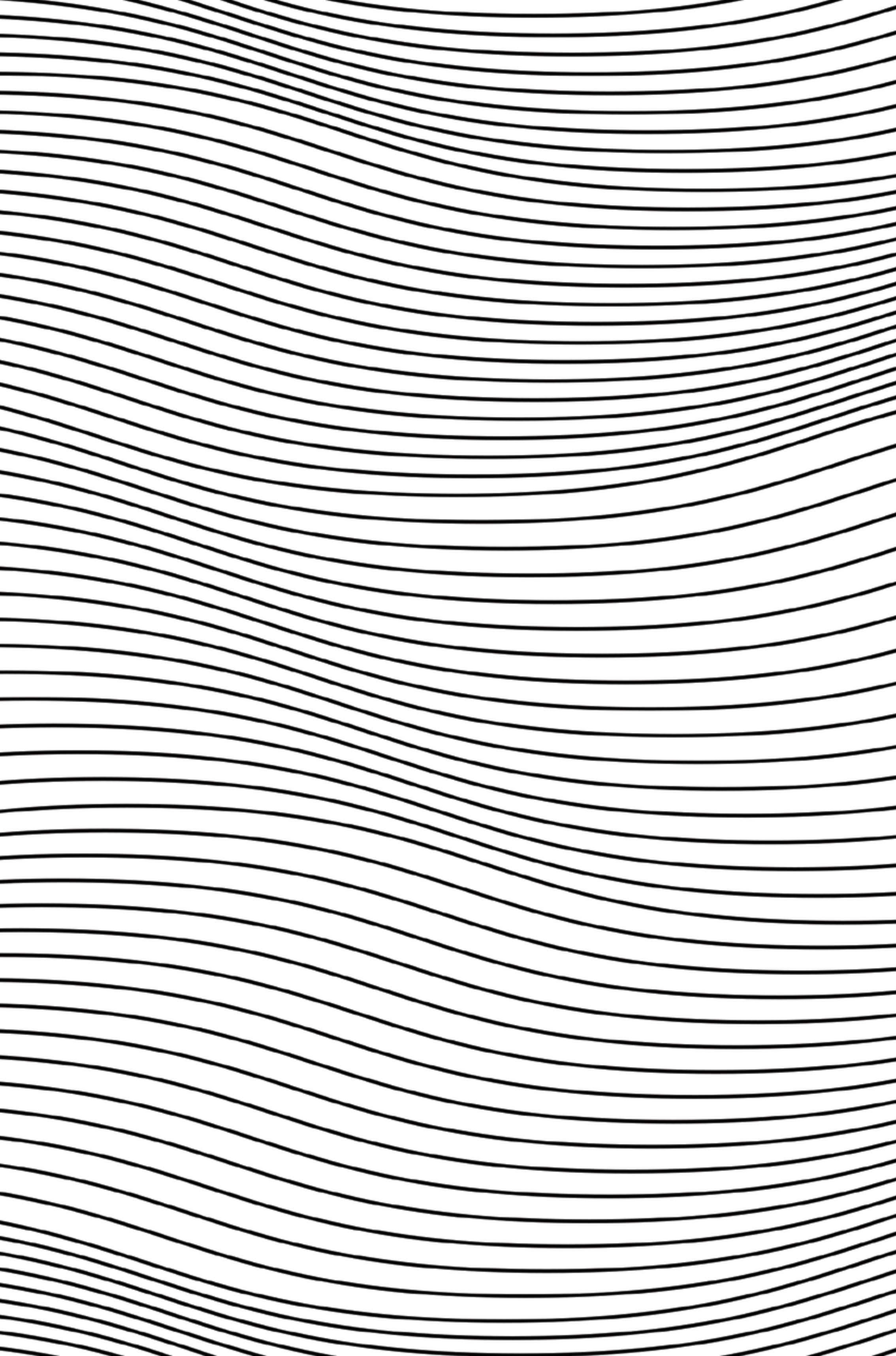

نسبة علم التوحيد

نسبة العلم هي علاقته بغيره من العلوم وصلته بها، ونسبة أي علم إلى غيره من العلوم تتردد بين أربع نسب، هي:

- **الترادف**: فتطلق الأسماء المختلفة على مسمى واحد وعِلْمٍ محدد، فتختلف الأسماء وتتفق المسميات.

- **التخالف**: فتتباين الأسماء والمسميات، بحيث لو نسب أحد العلمين إلى الآخر، لم يصدق على شيء مما صدق عليه الآخر.

- **التداخل**: كأن يكون أحد العلمين أعم من الآخر فأحدهما داخل بتمامه في الآخر، وهو العموم والخصوص المطلق.

- **التقاطع**: وهو العموم والخصوص النسبي، بأن يكون كل من العلمين أعم من جهة، وأخص من جهة أخرى(١).

وعلى ما سبق يمكن القول بأن علم التوحيد نسبته إلى سائر العلوم الشرعية هي التخالف والتباين فهو فن مستقل بذاته، قائم بنفسه، له أصوله ومصادره، ومناهجه ومسائله، ولا يغني عنه غيره، وإن كان كالأساس لعلوم الإسلام، وهو منها بمنزلة الرأس من الجسد؛ ولذا مال بعض العلماء إلى التعبير عن نسبته إلى غيره من العلوم بأنه أصلها وما سواه فرع عنه، باعتبار أن علوم الإسلام تقوم أولاً على

---

(١) أنظر علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، ص ١٤٧.

معرفة الله تعالى وتوحيده، والتصديق ببعثة نبينا وأمور الغيب، وهذا موضوع علم التوحيد.

وسبب هذه المكانة أن النصوص من كتاب وسنة تدور حول التوحيد في خمسة محاور لا سادس لها، فإما أن تكون في تقرير التوحيد في نوعه العلمي الخبري، أو في تقريره في نوعه الطلبي الإرادي، ودعوة الخلق لعبادته تعالى وحده، أو في مستلزمات التوحيد ومقتضياته، وحقوقه من الأحكام الفقهية العملية، أو في الجزاء على التوحيد من إكرام الله لعباده الموحدين، أو في بيان العقوبات والوعيد على مضادة التوحيد بالشرك والإلحاد، فصار التوحيد أصلاً لغيره من العلوم حيث ارتبطت به واعتمدت عليه.

واضع علم التوحيد

لا شك أن التوحيد جاءت به الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وأما علم التوحيد فقد مر في وضعه تدوينه بطورين:

أولهما: طور الرواية (ما قبل التدوين)، **والثاني**: طور التدوين والاستقرار.

أولاً: طور الرواية:

لم يكن الصحابة بحاجة إلى التدوين في العلوم الشرعية، فقد كانوا يتلقون عن رسول الله الوحيين، «ويوردون عليه ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم، وقد أورد عليه من الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أعداؤه للتعنت والمغالبة، وأصحابه للفهم والبيان وزيادة الإيمان»[(١)]، وكل ذلك رواه الصحابة عن النبي لمن بعدهم، فكانت مسائل الاعتقاد محفوظة في أذهانهم، مستدلاً عليها بكتاب ربهم وسنة نبيهم، ولم يقع بينهم اختلاف في شأن التوحيد؛ بل اجتمعوا على توحيد صحيح، سالم خالي من كل شوب، فكانوا «أقرب إلى أن يوفقوا إلى الصواب من غيرهم بما خصهم الله به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وتقوى الرب، فالعربية طريقتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٥٩٤).

وعقولهـم. . . علمـوا التنزيل وأسـبابه، والتأويـل وآدابه، وعاينـوا الأنوار القرآنيـة، والأشـعة المصطفويـة، فهـم أسـعد الأمـة بإصابـة الصـواب، وأجدرهـا بعلم فقه السـنة والكتـاب»[1].

لأجـل هـذا لم يكـن الصحابـة بحاجة إلـى تدوين علـم التوحيد أو تصنيف كتـب فيه.

ثانياً: طور التدوين:

بـدأ هـذا في حيـاة التابعيـن، وإن وقعت فـي زمنه صور مـن الكتابة والتدويـن أحـاد الأحداث، حيـث ابتدأ الكتابـة والتدوين الإمـام الزهري رحمـه اللـه تعالـى، ثم شـاع ذلـك فـي النصـف الأول مـن القـرن الثاني الهجـري كمـا فعـل الإمـام مالـك رحمـه الله فـي الموطـأ، حيـث رتبت الأحاديـث علـى أبـواب تتعلـق بالتوحيـد مثـل: بـاب الإيمـان، وبـاب التوحيـد، إلـخ. . .

ولعـل هـذا التبويـب للأحاديث كان النـواة الأولى في اسـتقلال كل بـاب فيمـا بَعْدُ بالتصنيـف والبحث.

وممـا أوقـد جـذوة التدويـن مـا وقع فـي آخر زمـن الصحابة مـن بدع واختـلاف فـي العقيـدة، كمـا فـي مسـألة القـدر، وكان أول مـن تكلـم بـه معبـد الجهنـي (ت: ٨٠هــ)، ومسـألة الغلـو فـي آل البيـت، وفتنة عبـد الله بن سـبأ، كما وقعـت من قبل بدعـة الخـوارج وصرَّحوا بالتكفيـر بالذنوب، وبعـد ذلك نشـأ مذهـب المعتزلة علـى يد واصل بـن عطـاء (ت: ١٣١هـ)،

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١١٣).

وصنَّف في مسائل من العقيدة ما خالف به الصحابة والتابعين، وخرج على إجماع خير القرون في الاعتقاد، فتصدى له التابعون بالرد عليه والمناظرة في هذه المسائل، ثم بدأ التصنيف حين أصبح ضرورة لابد منها لنفي تأويل المبطلين، ورد انحراف الغالين، وكان أول متن عرفناه في العقيدة هو كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة رحمه الله (ت: ١٥٠هـ) وهو ثابت النسبة إليه، حدد فيه أبو حنيفة العقائد تحديداً منهجيًّا ورد فيه على المعتزلة، والقدرية، والجهمية، وغيرهم واشتمل على خمسة أبواب -في أتم رواياته-: الأول في القدر، والثاني والثالث في المشيئة، والرابع في الرد على من يكفر بالذنب، والخامس في الإيمان، وفيه حديث عن الأسماء والصفات، والفطرة، وعصمة الأنبياء، ومكانة الصحابة، وغير ذلك من المباحث.

كما ثبت أن الإمام ابن وهب رحمه الله (ت: ١٩٧هـ) وضع كتابًا في القَدَر على طريقة المحدثين في جمع الأحاديث وإن كان دون تبويب.

ثم تتابع التأليف بعد أبي حنيفة في علم التوحيد ولكن بأسماء مختلفة لهذا العلم، فمن أول ذلك كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم (ت: ٢٢٤هـ)، كما ظهر مصطلح السنة للدلالة على ما يُسَلَّمُ من الاعتقادات، واشتهر ذلك زمن الإمام أحمد رحمه الله، ومن الكتب المصنفة باسم السنة، كتاب السنة لابن أبي شيبة رحمه الله (ت: ٢٣٥هـ) والسنة للإمام أحمد رحمه الله (ت: ٢٤٠هـ) وغير ذلك، ثم

ظهر مصطلح التوحيد في مثل كتاب التوحيد لابن سريج رحمه الله (ت: ٣٠٦هـ)، وكتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله (ت: ٣١١هـ)، وواكب ذلك ظهور مصطلح أصول الدين، ثم ظهر التأليف باسم العقيدة أوائل القرن الخامس الهجري، واستقرت حركة التصنيف ومنهج التأليف، واستقل علم التوحيد علمًا متميزًا عن غيره بلقب ومنهج مخصوص.

غاية علم التوحيد

«الغرض والغاية والفائدة والثمرة من العلم بمعنى واحد، فكل ذلك اسم للمصلحة المترتبة على تعلم العلم، وإنما اختلفت العبارات لاختلاف الاعتبارات، فكل منفعة ترتبت على فعل ما تسمى فائدة وثمرة، من حيث ترتبها عليه، وتسمى غاية، من حيث إنها على طرف الفعل ونهايته، وغرضًا من حيث إن الفاعل فعل ذلك الفعل لأجل حصوله»[(١)].

وتظهر ثمرة دراسة علم التوحيد من جهات وحيثيات كثيرة، إلا أنها تعود إلى أمرين أساسيين، الأول: باعتبار المكلف، والثاني: باعتبار العلم نفسه وعلوم الإسلام الأخرى، وما يتعلق بالمكلف يعود إلى منفعة دنيوية وأخروية، والدنيوية ترجع إلى منفعة علمية وعملية، وتفصيل هذه المنافع على النحو التالي:

أولاً: ثمرته بالنسبة للمكلف:

- في حياته الدنيا:

إن قيام المدنية، وازدهار الحضارة، وانتظام أمر الحياة، وطيب العيش، لمن ثمرات التوحيد العظيمة، قال جل وعز: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الأعراف: ٩٦].

(١) ترتيب العلوم للمرعشي، ص ٨٦.

وقال سبحانه:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال جل وعز: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

«إن الإيمان يثمر طمأنينة القلب وراحته، وقناعته بما رزق الله، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح»(١).

وفي الصحيح: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**»(٢).

وقال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: «وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم؛ بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا وأسرّهم، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للشيخ السعدي، ص ٧٣.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»(١).

قال ابن تيمية رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]: «ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أنَّى رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»(٢).

ومظاهر الحياة الطيبة التي خص الله بها عبادة المؤمنين في الدنيا كثيرة نذكر منها:

- **ولاية الله:**

قال جل وعز: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

ثم وصفهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٨).

(٢) المرجع السابق نفسه.

- محبة الله للمؤمنين ومحبة الخلق لهم:

قال جل وعز: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات -وهي الأعمال التي ترضي الله لمتابعتها الشريعة المحمدية- يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، وهذا أمر لابد منه ولا محيد عنه»(١).

- مدافعة الله عن المؤمنين وإنجائه لهم ونصرهم على أعدائهم:

قال جل وعز: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨].

- **حصول نور البصيرة التي تفرق بين الحق والباطل:**

قال جل وعز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وهذا الفرقان فسَّره أهل العلم بالنور الذي يقذفه الله في قلب

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٦٧).

المؤمن، فيفرق به بين الحق والباطل، والسنة والبدعة، قال جل وعز: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

- حصول العزة وتمام الكرامة والشرف:

قال جل وعز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

- في قوته العلمية:

وهي القوة التي يدرك الإنسان بها، ويفرق بين الحق والباطل، وتظهر ثمرة علم التوحيد العلمية من خلال الأمور التالية:

- معرفة الله تعالى معرفة يقينية:

معرفة الله تعالى بالتوحيد، وإفراده تعالى بالعبادة، والبراءة من الشرك، وهو طريق أهل الحق. وكلما ازداد العبد علمًا بالتوحيد، ازداد رقيًّا في مدارج الإيمان ومعارج اليقين، وارتقى من الإيمان المجمل إلى الإيمان المفصَّل، ومن حال التقليد إلى حال اليقين والإذعان، والتصديق عن حجة وبرهان، بحيث يكون اعتقاد الإنسان في ربه ذاتًا وصفات وأفعالًا مطابقًا للواقع عن دليل صحيح، وهذا أفضل ما اشتغل بعلمه إنسان، كما في الحديث أن النبي ﷺ سُئل: أي العمل

أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله ورسوله**»[١].

والعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته سبيل لرفع الدرجات وحصول البركات، قال جل وعز: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١].

- **انشراح الصدر وطمأنينة القلب:**

وهذا الأمر ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله جل وعز، والإجابة على أسئلة الفطرة حول الكون والحياة.

قال جل وعز: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]. فإذا تعددت الأسياد على المملوك، فقد شقي حاله، واضطرب أمره.

- **حصول برد اليقين واستقرار الفكر.**

قال ابن تيمية: «والمقصود أن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم أهل السنة والجماعة، من المعرفة واليقين، الطمأنينة، والجزم الحق، والقول الثابت، والقطع بما هم عليه، أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين»[٢].

«إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول، وجزماً بالقول في موضع، وجزماً بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين... أما أهل السنة والحديث، فما يعلم أحد من

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٩).

علمائهم، ولا صالح من عامتهم، رجع قط عن قوله واعتقاده؛ بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة... وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة»[١].

- **النجاة من الانحراف عن الصراط المستقيم:**

وذلك لأن الاعتقاد الصحيح هو سبيل الله، قال جل وعز: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ**﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والانحراف عن سبيل الله هو اتباع السبل والطرق المخالفة لما أمر الله به.

يقول عز وجل:

﴿**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩]، وقوله سبحانه: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

- في قوته العملية:

وهي القوة التي تحمل الإنسان على السير إلى الله جل وعز، والاجتهاد في عبادته، والتقرب إليه بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه، وتظهر ثمرة علم التوحيد العملية من خلال الأمور التالية:

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٥٠).

- تحقيق الإخلاص وأعمال القلوب على الوجه الصحيح:

إن الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة رسل الله أجمعين، وهو روح التوحيد ولب الرسالة، قال جل وعز: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، **والإخلاص هو إفراد الحق سبحانه بالقصد، وهو تصفية العمل من كل شوب، وفي أهمية الإخلاص وأعمال القلوب يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وإن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح فموات. . . فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح»**[١].

والإخلاص يتوقف في حصوله وكماله على معرفة العبد لربه، وتعظيمه وتأليهه، ومعرفة أسمائه تعالى وصفاته، وإحصائها والتعبد لله بمقتضاها، فمن كان بالله أعرف كان له أخلص، وفيما عند الله تعالى أرغب، ومن عقوبته أرهب.

اشتغال الجوارح بالطاعات:

إذا عمر الإخلاص قلب العبد، وتحققت أعمال القلوب من محبة الله ورسوله، والتوكل على الله والصبر له، والخوف منه والرجاء فيما عنده، انطلقت الجوارح ولابد في طاعة الله جل وعز، ولا يتخلف ذلك أبداً، وفي الصحيح: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وه**

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٨٨).

القلب»[١]، فصلاح الظاهر تابع لصلاح الباطن في الأصل، والارتباط بينهما حاصل.

قال ابن القيم رحمه الله: «ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح»[٢].

قال تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ**﴾ [الأنبياء: ٩٤]، «فلا يجحد عمله ولا يخيب سعيه؛ بل يثاب عليه أضعافاً بحسب قوة إيمانه»[٣].

وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**﴾ [الإسراء: ١٩].

- **الاجتماع والوحدة والائتلاف:**

وهذا هو ما دعى الله إليه عباده بقوله: ﴿**وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال: «**من ترك الطاعة وفارق الجماعة ثم مات فقد مات ميتة**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٩٣).

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للشيخ السعدي، ص ٧٣.

جاهليـة»[١]، وقـال: «**الجماعة رحمـة والفرقة عـذاب**»[٢].

وقـد اقتفـى السـلف نصـوص الكتـاب والسـنة، فكانـوا مجتمعيـن علـى اعتقـاد واحد وهو مـا كان عليه رسـول الله وأصحابه، ينقله سـلفهم إلـى خلفهـم لا يختلفون فيـه أبداً.

وإنمـا سـمو جماعـة لاجتماعهـم علـى الحق علمـاً وعمـلاً، فكان اشـتقاق الجماعـة عـن اجتماعهم.

- في حياته الآخرة:

إن امتنـاع الخلـود في النار لمن ظلم نفسـه مـن الموحِّدين، ودخول الجنـة ابتـداء لمن اقتصـد من أصحاب اليميـن، والفـوز بالدرجات العلى لمـن سـبق بالخيـرات، مـع رضـوان الله جـل وعز ورؤيـة وجهـه الكريم في الجنـات، هو غايـة المطالب، ونهايـة الرغائب لجميـع المؤمنين.

قـال جـل وعـز: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣].

وفـي هـذه الآية حـرف من الحيـف أن يُكتـب بالمداد، وإنمـا ينبغي أن كتـب بمـاء العين؛ لأنه يشـير إلـى كرامة من اللـه لهذه الأمـة لا تعدلها كرامـة، ألا وهـو حرف الـواو في قوله جـل وعـز: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، فالداخلون

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٢٨٧).

هنا هم الموحِّدون من أمة محمد بأصنافها الثلاثة المذكورة في الآية.

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله في تفسيره: «قال بعض أهل العلم: حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه، وهو يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين. . وقَدَّم الظالم لئلا يقنط، وأخَّر السابق بالخيرات لئلا يعجب بعمله فيحبط»[١].

وعندما خطب عمر وتلا الآية السابقة قال: «سابقنا مقرب، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له»[٢].

والجنة لا يدخلها إلا مؤمن موحد وإن ظلم نفسه بغير الشرك، ولا يخلَّد في النار إلا كافر أو منافق، ففي الحديث: «**لا يدخل الجنة إلا مؤمن**»[٣]، فالمؤمن إما أن يعامله ربه بفضله، فيغفر له بلا سابقة عذاب، ويمحق توحيده سيئاته، كما في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة**»[٤].

وإما أن يعامله بعدله، فيأخذه بذنبه، فيظهره منه ثم يؤول أمره

---

(١) أضواء البيان (٥/ ٤٩٠).

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٦٢)، بلفظ: «سابقنا سابق...». الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٠٣)، ومسلم (١١٤٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٢١٣١٥).

إلى الجنة خلوداً، وإذا دار الأمر بين فضله سبحانه وعدله، غلب فضله عدله، وسبقت رحمته غضبه.

قال جل وعز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قال عليٌّ: «ما في القرآن آية أحب إليَّ منها»[1].

قال جل وعز: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

ثانيًا: ثمرته بالنسبة للعلم به وعلوم الإسلام:

وثمرة علم التوحيد باعتبار العلم نفسه هي حفظ هذا العلم بحفظ قواعده، وأصوله ومسائله، وفي هذا حفظ للدين نفسه؛ لأن العلم الشرعي دين يدان الله جل وعز به، قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه»[2].

وإذا كان العلم الشرعي مطلوب الحفظ عامة، فلا شك أن علم التوحيد يطلب حفظه على وجه الخصوص؛ لأنه أصل لما عداه، ولأنه أول الواجبات وآخرها وألزمها على المكلف، قال ابن القيم رحمه الله: «إن العبد لو عرف كل شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٣٧).

(٢) موطأ مالك (١/ ٢٥).

شيئاً»[(١)]، والمتعرض لحفظ هذا العلم متعرض لفضل الله ورحمته، ودعاء النبي له بنضارة الوجه، ورفع الدرجات وتكفير السيئات، واستغفار الملائكة وسائر المخلوقات، «ولا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له، وتضع له أجنحتها»[(٢)].

وحفظ العلم كما يكون بتعلمه يكون بتعليمه وتوريثه وبذله لطالبيه، وهذا من أفضل القرب وأعلى الرتب، وفي الحديث: «**خير ما يخلف الرجل بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة جارية يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده**»[(٣)].

قال أنس بن مالك: «بلغني أن العلماء يُسألون يوم القيامة كما تُسأل الأنبياء؛ يعني: عن تبليغه»[(٤)].

وقال ابن جماعة رحمه الله: «إن تعليم العلم من أهم أمور الدين، وأعلى درجات المؤمنين»[(٥)].

وقال صاحب كتاب مفتاح السعادة في بيان نية العالم في عمله: «وإنما يريد ابتغاء مرضاة الله والامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه، ويريد نشر العلم، وتكثير الفقهاء، وتقليل الجهلة، وإرشاد عباد الله إلى الحق، ودلالتهم على ما يصلحهم في النشأتين، وإظهار دين الله،

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٦٨).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم، بدر الدين بن جماعة، ص ٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤١)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٦٣).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٩٣).

(٥) تذكرة السامع والمتكلم، بدر الدين بن جماعة، ص ٢٥.

وإقامة سنة رسول الله، وتشييد قواعد الإسلام، والتفريق بين الحلال والحرام، ويكون مخلصاً في ذلك، راغباً في الآخرة، موقناً بما أعد الله للعلماء العاملين، راجياً ثوابه، وخائفاً من عقابه»[١].

ومن ثمرات هذا العلم: إقامة ما عداه من علوم الشريعة والفروع، فإنها تتعلق بعد ذلك بالعمل، «والعلم أصل العمل، وصحة الأصول توجب صحة الفروع»[٢].

وعلى الجملة، فدراسة علم التوحيد تفيد الدارس بإخراجه من حضيض التقليد إلى مرتبة اليقين، وتصحيح النية والعقيدة، وتفيد السائل إن كان مسترشداً بدلالته إلى الحق وبيان الصواب، وإن كان معانداً بإلزامه الحق بالحجة والبرهان، كما ترجع فوائده إلى تثبيت قواعد الدين بدرء الشبهات ورد الأباطيل، وإقامة ما عداه من العلوم الشرعية، إذ هو أساسها، وإليه يؤول أخذها واقتباسها، رزقنا الله وإياكم العلم النافع من العمل الصالح.

---

(١) مفتاح السعادة، طاش كبرى زادة (١/ ٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٣).

مسائل علم التوحيد

المسائل لغة: جمع مسألة، وهي من السؤال، وهو الطلب[١].

والمسألة اصطلاحاً: مطلوب خبري يبرهن عنه في العلم بدليل[٢].

وقد يقال: «إن مسائل كل علم هي معرفة الأحوال العارضة لذات موضوع العلم»[٣].

فإذا كان موضوع علم الفقه -مثلاً- أفعال المكلفين من حيث تعلق الأحكام الشرعية بها، فإن مسائله هي معرفة أحكام هذه الأفعال، وعلى هذا فإنه إذا كان تعريف علم التوحيد هو «العلم بالأحكام الشرعية العقدية، المكتسب من أدلتها المرضية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية»[٤]، وكان موضوع علم التوحيد هو الله جل وعز، والملائكة، والرسل، وقضايا اليوم الآخر والغيبيات والقدر؛ فإن مسائله هي معرفة أحكام القضايا الاعتقادية المتعلقة بذلك كله من الوجوب والجواز والاستحالة، وما توقفت عليه تلك الأحكام

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٤٧)، لسان العرب (١١/ ٣١٨).

(٢) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي (١/ ١٥٧)، المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم (ص: ٥١).

(٣) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (١/ ٣٣).

(٤) المدخل لدارسة العقيدة الإسلامية للبريكان، ص ١٣.

لاستفادتها.

فمسائل علم التوحيد تتضمن معرفة الأحكام الشرعية العقدية كأحكام الألوهية، وعصمة الرسل، وقضايا اليوم الآخر ونحو ذلك، وقد عنيت كتب العقائد به أعظم عناية، وكتبت في تحريره وتقريبه مطولات ومختصرات، ومنظومات ومنثورات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ التَّوْحِيْدِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَقَولِهِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وَقَولِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

وَقَولِهِ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦] الآية.

وَقَولِهِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام:١٥١] الآياتِ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصيةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ؛ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، إِلى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]» الآيـةَ.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى

اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ عَلَـى حِمَـارٍ فَقَـالَ لِـي: «يَـا مُعَـاذُ! أَتَـدْرِي مَا حَـقُّ الله عَلَـى العِبَـادِ؟ وَمَـا حَـقُّ العِبَادِ عَلَـى الله؟ ».

فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!

قَـالَ: «فَـإِنَّ حَـقُّ الله عَلَـى العِبَـادِ أَنْ يَعْبُـدُوهُ وَلَا يُشْـرِكُوا بِهِ شَـيْئًا، وَحَـقُّ العِبَـادِ عَلَـى اللـه أَنْ لَا يُعَـذِّبَ مَنْ لَا يُشْـرِكُ بِهِ شَـيْئًا».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَفَلاَ أُبَشر النَّاسَ؟

قَالَ: «لَا تُبَشرهُمْ فَيَتَّكِلُوا». أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيْحَيْنِ.

❊ الإفادات:

بـدأ الْمُصَنِّـف رَحِمَـهُ اللَّـهُ كتابه بالبسـملة؛ اتِّباعًـا للوارد في السُّـنَّة النَّبَويَّـة فـي مكاتبـات النَّبـيّ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ ورسـائله، وهي من آداب التصنيـف اتفاقًـا، فمـن صنَّـف كتابًا اسـتُحب لـه أن يسـتفتح بها.

كِتَابُ التَّوْحِيْدِ

لـم يبـوِّب الْمُصَنِّـف رَحِمَهُ اللَّـهُ لهذا البـاب ليعلِّق النَّـاس بالكتاب وَالسُّـنَّة، والأدلَّـة الَّتِـي ذكرهـا تـدلُّ عَلَـى وجـوب التَّوحيـد، فيمكـن أن نسـميه بـاب وجـوب التَّوحيد.

والتَّوحيـد معنـاه: إفـراد اللـه سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَـى بمـا يختـص بـه، والتَّوحيـد عَلَـى ثلاثـة أنـواع:

(١) النَّوع اَلْأَوَّل: توحيد الربوبية: وهو إفراد الله تَعَالَى بـ:

❊ الخلق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إِلَّا الله.

* الملك: أن نعتقد أنه لا يملك الخلق إِلَّا خالقهم.

* التدبير: أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر إِلَّا الله وحده.

(٢) النَّـوع الثَّانِـي: توحيـد الألوهيـة، وهو: إفـراد اللـه بالعبادة، فلا معبـود بحـقٍّ إِلَّا الله.

(٣) النَّـوع الثَّالِـث: توحيـد الأسـماء والصفـات، وَهـذَا يعنـي أن نثبـت للـه ما أثبته لنفسـه وأثبته له رسـول اللـه صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ من الأسـماء والصفـات مـن غيـر تحريـف ولا تعطيل ومـن غيـر تكييف ولا تمثيـل، فهـو يتضمن شـيئين:

* الإثبات: نثبت لله عَزَّ وَجَلَّ جميع أسمائه وصفاته.

* نفي المماثلة: أن لا نجعل لله مثيلًا في أسمائه وصفاته.

وَقَـوْلِ اللـهِ تَعَالَـى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريـات:٥٦].

أي: مـا خلقـت الجنَّ والإنـس لأي شـيءٍ إِلَّا للعبادة، وقـد قَالَ ابن عبـاس: «كُلُّ عِبَـادَةٍ فِـي الْقُرْآنِ فَهُـوَ التوحيد»، واسـتدل رَحِمَـهُ اللَّهُ بهذه الآيـة عَلَـى البـاب، فمعناها: توحيـد الله بالعبـادة، وهو بـاب التوحيد.

وَقَولِهِ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

فاللـه بعـث الرسـل جميعًـا بهـذه الرسـالة: عبـادة اللـه واجتنـاب عبـادة غيـره؛ فكل مـا عُبد مـن دون الله فهـو طاغـوت، وَالأُمَّـة تُطلق في

القـرآن عَلَـى أربعـة معانٍ:

١) الطائفة: كما في هذِه الآية -آية الباب-.

٢) الإمـام: كما في قولـه تَعَالَـى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

٣) المِلَّة: كما في قوله تَعَالَى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

٤) الزَّمـن: كمـا فـي قولـه تَعَالَـى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف: ٤٥].

﴿ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ أي: ابتعـدوا عنـه بـأن تكونـوا فـي جانبٍ وهـو فـي جانـب، والطاغـوت عرفـه ابـن القيـم فـي إعـلام الموقعيـن: «والطاغـوت: كل مـا تجـاوز بـه العبد حدّه مـن معبود أو متبـوع أو مطاع، فطاغـوت كل قـوم مـن يتحاكمـون إليـه غيـر اللـه ورسـوله، أو يعبدونـه مـن دون اللـه، أو يتبعونـه علـى غيـر بصيرة مـن اللـه، أو يطيعونـه فيما لا يعلمـون أنـه طاعـة لله».

والحكمة من إرسال الرُّسل:

١- إقامة الحجة: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

٢- الرحمة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٣- بيان الطريق الموصل إِلَى الله.

وَقَولِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ هذَا هو التوحيد لتضمنه للنفي والإثبات.

وقضاء الله ينقسم إِلَى قسمين:

(١) قضاء شرعي: لا يكون إِلَّا فيما يحبُّه الله، ويجوز وقوعه وعدمه، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فتكون قضى بمعنى شرع أو وصَّى.

(٢) قضاء كوني: يكون فيما أحبه الله، وفيما لا يحبه. ولَا بُدَّ من وقوعه ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الإسراء: ٤] والفساد لا يشرعه الله ولا يحبِّه.

* كيف يقضي الله ما لا يحبه؟

المحبوب ينقسم إِلَى قسمين:

[١] محبوب لذاته: وهو الله.

[٢] محبوب لغيره: كالدواء محبوبٌ للتداوي.

فالمحبوب لغيره قد يكون مكروهًا لذاته، ولكن يُحَبُّ لما فيه من الحكمة والمصلحة؛ فيكون حِيْنَئِذٍ محبوبًا من وجهٍ، مكروهًا من وجهٍ آخر.

والعبودية تنقسم إِلَى ثلاثة أقسام:

١. عامة: (عبودية الربوبية) عبوديَّة القهر، وهي لكل الخلق،

ويدخـل فـي ذلـك الكُفَّـار.

٢. خاصة: عبودية الطاعة العامة؛ تعم كل من تعبد لله بشرعه.

٣. خاصـة الخاصـة: عبوديـة الرسـل، وهي أكمـل العبـادة؛ لأنه لا يبـاري أحدٌ هـؤلاء الرُّسـل فـي العبوديَّة.

والعبادة لا تصح إِلَّا بشرطين:

[١] الشَّرط اَلْأَوَّلُ: الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ.

[٢] الشَّرط الْثَّانِي: المتابعة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَولِهِ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿شَيۡـٔٗا﴾: نكـرة فـي سـياق النَّهـي، فهـي تعـمُّ كلَّ شـيءٍ، لا نبيًّـا ولا ملـكًا ولا وليًّـا، بل ولا أمـرًا من أمـور الدُّنيا، فلا تجعل الدنيا شـريكًا مـع الله.

وَقَولِـهِ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنعـام: ١٥١].

قَـالَ ابْـنُ مَسْـعُودٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ: «مَـنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُـرَ إِلَـى وَصيـةِ مُحَمَّـدٍ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ الَّتِـي عَلَيْهَـا خَاتَمُـهُ؛ فَلْيَقْـرَأْ قَوْلَـهُ تَعَالَـى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾، إِلَـى قَوْلِـهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعـام: ١٥١ - ١٥٣]» الآيـة.

الصِّراط يُضاف إِلَى:

* اللـه؛ لأنـه موصـلٌ إليـه، ولأنه هـو الَّـذِي وضعه لعبـاده: ﴿وَأَنَّ

﴿هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا﴾.

* سالكيه؛ لأنهم هم الَّذِينَ سلكوه، والسَّبيل المنجي واحدٌ لا يتعدَّد، والبقيَّة إِنَّمَا هي متفرقة؛ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧].

وَهذِه الوصايا تضمنت عشر وصايا:

- توحيد الله تَعَالَى.

- الإحسان للوالدين.

- ألا نقتل أولادنا.

- ألا نقرب الفواحش.

- ألا نقتل المعصوم إِلَّا بالحق.

- ألا نقرب مال اليتيم -وهو من مات أبوه ولم يبلغ- إِلَّا بِالَّتِي هي أحسن.

- أن نعدل إذا قلنا.

- أن نوفي الكيل والميزان بالقسط.

- أن نوفي بعهد الله تَعَالَى.

- ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ في الحديث أنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطَّ خطًّا مستقيمًا فَقَالَ: «هذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثُمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه وشماله فَقَالَ: «هذِه السُّبُلُ، وعَلَى كُلِّ سَبِيْلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قرأ الآية.

﴿ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ (المعصومة):

(١) المسلم.

(٢) الذِّمِّيّ (يقيم في دولة الإسلام).

(٣) المُعَاهَد (بيننا وبينهم عهدٌ).

(٤) المُستَأمن (من نعطيه الأمان).

﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ ما أثبته الشرع:

[١] النَّفس بالنَّفس.

[٢] الثَّيِّب الزَّانِي.

[٣] التَّارِك لدينه، المُفارِق للجماعة.

قَالَ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذِه الآية وصية النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلم يوصي لسببين:

- لأنه يرى أنَّ هذِه الآيات قد شملت الدين كله، وهي آياتٌ عظيمة .

- لأنها وصيَّة الله ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَلِّغ عن الله.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى العِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله؟ »، فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ: «فَإِنَّ حَقُّ الله عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشركُوا بِهِ شيئًا، وَحَقُّ العِبَادِ

عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَفَلاَ أُبَشِّر النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيْحَيْنِ.

في الحديث فضيلة التَّوحيد، وأنَّه مانعٌ من عذاب الله.

وفيه أنَّ الله لا يعذِّب من لا يُشرك به شيئًا، وأنَّ المعاصي تكون مغفورةً بتحقيق التَّوحيد، ونهى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إخبارهم؛ لئلَّا يعتمدوا عَلَى هذِه البُشرى دون تحقيق مقتضاها؛ لأنَّ تحقيق التَّوحيد يستلزم اجتناب المعاصي؛ لأنَّ المعاصي صادرةٌ عن الهوى، وَهذَا نوعٌ من الشِّرْك.

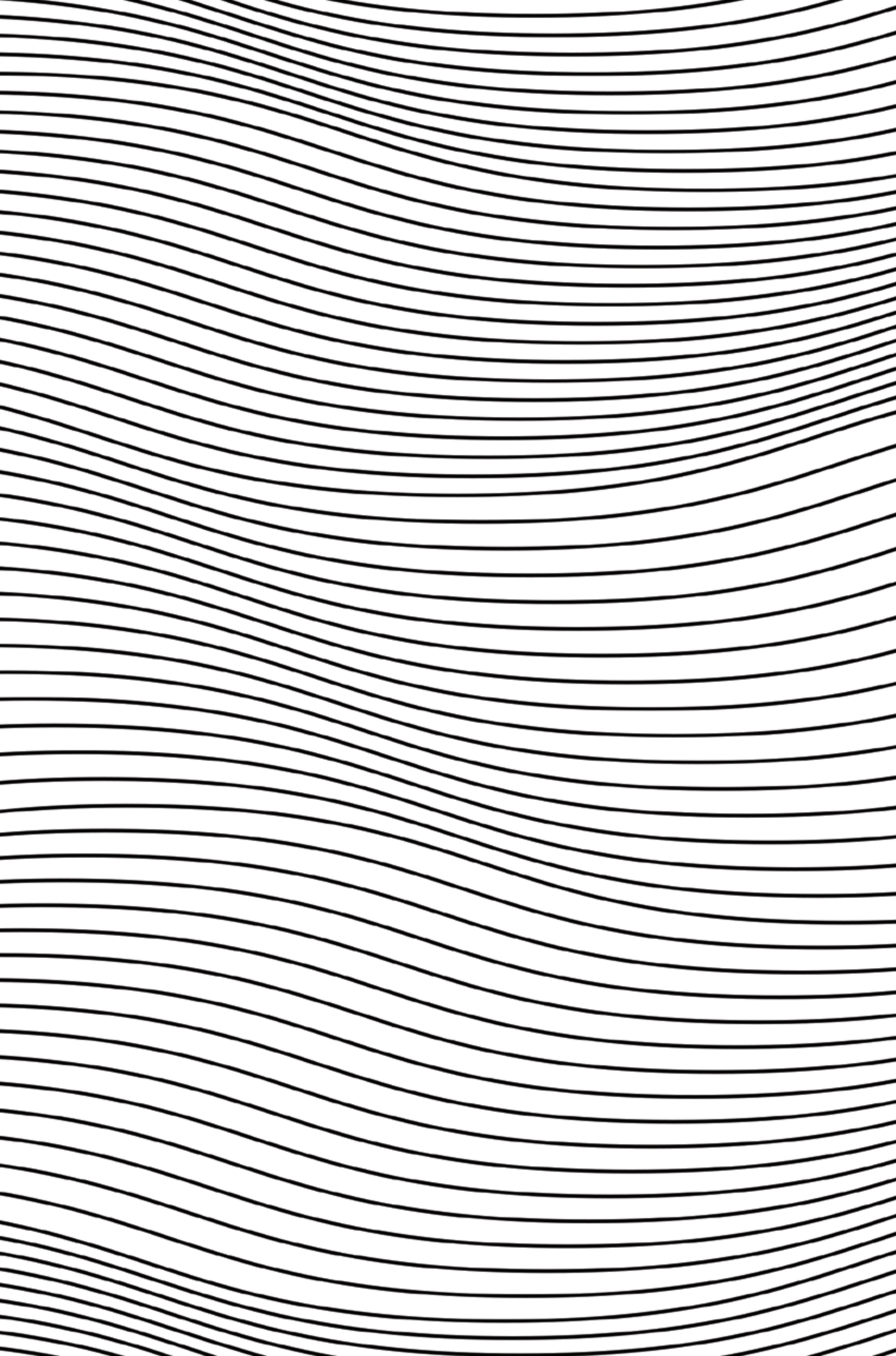

بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يَا رَبِّ! كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا.

قَالَ: يَا مُوسَى! لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ -غَيْرِي-، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ آتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

*** الإفادات:**

بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

جاء به الْمُصَنِّف من أجل التشويق، خلافًا لما يوقعه الشيطان في النفوس، ولبيان أنه لا يلزم من ثبوت الفضل للشيء كونه غير واجب، بل الفضل من نتائجه وآثاره، كصلاة الجماعة، ولأنَّ هناك من يُنَفِّر ويُزَهِّد في دراسة التوحيد وتدريسه.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢].

الظلم ما يقابل الإيمان، وهو عَلَى أنواع:

أظلم الظلم، وهو: الشِّرْك بالله.

ظلم الإنسان لنفسه، كأن يصوم فلا يفطر.

ظلم الإنسان لغيره، بأن يعتدي عَلَى غيره.

والهداية نوعان:

هداية في الدنيا: إِلَى شرع الله بالعلم والعمل.

وفي الآخرة: إِلَى الجَنَّة.

عَـنْ عُبَـادَةَ بْـنِ الصَّامِتِ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «مَـنْ شَـهِدَ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لَـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْدُهُ، وَرَسُـولُهُ وَأَنَّ عِيسَـى عَبْدُ اللهِ وَرَسُـولُهُ وَكَلِمَتُـهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَـمَ وَرُوحٌ مِنْـهُ، وَالْجَنَّـةَ حَقٌّ وَالنَّـارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللـهُ الْجَنَّةَ عَلَـى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَـلِ» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَـا فِـي حَدِيـثِ عِتْبَـانَ: «فَـإِنَّ اللهَ حَـرَّمَ عَلَى النَّـارِ مَنْ قَـالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ يَبْتَغِـي بِذَلِكَ وَجْـهَ اللهِ».

الشـهادة: الاعتـراف باللسـان، والاعتقـاد بالقلـب، والتصديـق بالجـوارح.

حق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- أن نؤمن بأنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- نحبه لحبنا الله عَزَّ وَجَلَّ.
- نحقق شهادة أن مُحَمَّدًا رسول الله، وينقض تحقيقها ما يلي:

فعل المعاصي.

الابتداع في الدين.

شريعة من قبلنا لها ثلاث حالات:

- أن تكون مخالفةً لشريعتنا؛ فالعمل عَلَى شرعنا.
- أن تكون موافقةً لشريعتنا؛ فنحن متَّبِعون لشريعتنا.
- أن يكون مسكوتًا عنها في شريعتنا، ولها حالتان:

لا يعمل بها.

يعمل بها، وهو الصحيح.

انقسم النَّاس في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى طرفين ووسط:

- جفـاة: كاليهـود كذَّبـوه وطعنـوا فيـه وفـي أمِّـه، وأنكـروا نبوتـه، وحكمـوا بقتلـه.

- غـلاة: كالنصـارى قالـوا: إنـه ابـن اللـه، وثالـث ثلاثـةٍ، وجعلوه إلهًا.

- وسـطٌ: نشـهد أنـه عبـد اللـه ورسـوله، وأمُّـه صِدِّيقـة، وأنهـا أحصنـت فرجهـا، وأنَّ مثلـه عنـد اللـه كمثـل آدم خلقه مـن ترابٍ ثُـمَّ قَالَ لـه: كـن فيكون.

وإدخال الجَنَّة عَلَى قسمين:

- إدخال كامل لم يُسبق بعذابٍ لمن أتمَّ العمل.

- إدخال ناقصٌ مسبوقٌ بعذابٍ لمن نقص العمل.

ما أضافه الله تَعَالَى لنفسه ينقسم:

- العين القائمة بنفسها، وتنقسم إِلَى:

إضافة عامة عَلَى سبيل عموم الخلق ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾.

وإضافة تشريف ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾.

- أن يكون شيئًا مضافًا إِلَى عين مخلوقة يقوم بها (مخلوق).

- أن يكون وصفًا غير مضاف إِلَى عين يقوم بها (غير مخلوق).

«مَـنْ قَـالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ يَبْتَغِي بِذَلِـكَ وَجْهَ اللهِ» في هـذَا الحديث ردٌّ عَلَـى طائفتين:

- المرجئـة: الَّذِيـنَ يكتفـون بقـول: «لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ» دون العمـل والإخـلاص.

- الخـوارج: الَّذِيـنَ يقولـون: بـأنَّ صاحب الكبيـرة كافـرٌ مُخلَّدٌ في النَّار.

وَعَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُـولِ اللـه صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَالَ: «قَالَ مُوسَـى: يَا رَبِّ! عَلِّمْنِي شَـيْئًا أَذْكُـرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَـالَ: قُلْ يَا مُوسَـى: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يَـا رَبِّ! كُلُّ عِبَـادِكَ يَقُولُونَ هَذَا. قَالَ: يَا مُوسَـى! لَوْ أَنَّ السَّـمَوَاتِ السَّـبْعَ وَعَامِرَهُنَّ -غَيْـرِي-، وَالْأَرَضِينَ السَّـبْعَ فِـي كِفَّـةٍ، وَلَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّـةٍ، مَالَتْ بِهِـنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللـهُ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِـمُ وَصَحَّحَهُ.

وَلِلتِّرْمِـذِيِّ وَحَسَّـنَهُ عَـنْ أَنَـسٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يَقُـولُ: «قَـالَ اللـهُ تَعَالَى: يَـا ابْـنَ آدَمَ! لَـوْ آتَيْتَنِي بِقُـرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَـا، ثُـمَّ لَقِيتَنِـي لَا تُشْـرِكُ بِـي شَـيْئًا؛ لَأَتَيْتُـكَ بِقُرَابِهَـا مَغْفِرَةً».

«لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ» أي: لا معبـود بحـقٍّ -يسـتحق العبـادة- إِلَّا اللـه، فهـي ذِكـرٌ متضمِّـن للدُّعَـاءِ، وهـي مفتـاح الجَنَّـة، ومن شـروطها:

- النُّطق بها.

- العلم بمعناها.

- العمل بمقتضاها أي بلازمها.

بَابٌ مَنْ حَقَّقَ اَلتَّوْحِيدَ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَـالَ تَعَالَـى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحـل: ١٢٠].

وَقَالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

عَـنْ حُصَيْـنِ بْـنِ عَبْـدِ اَلرَّحْمَـنِ قَـالَ: كُنْـتُ عِنْـدَ سَـعِيدِ بْـنِ جُبَيْرٍ، فَقَـالَ: أَيُّكُـمْ رَأَى اَلْكَوْكَـبَ اَلَّـذِي اِنْقَـضَّ اَلْبَارِحَـةَ؟

فَقُلْـتُ: أَنَـا. ثُمَّ قُلْـتُ: أَمَّـا إِنِّي لَمْ أَكُـنْ فِي صَـلَاةٍ، وَلَكِنِّـي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَـا صَنَعْتَ؟

قُلْتُ: اِرْتَقَيْتُ.

قَالَ: فَمَا حَملكَ عَلَى ذَلِكَ؟

قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ اَلشَّعْبِيُّ.

قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟

قُلْـتُ: حَدَّثَنَـا عَـنْ بُرَيْـدَةَ بْـنِ اَلْحُصَيْـبِ أَنَّـهُ قَـالَ: «لَا رُقْيَـةَ إِلَّا مِنْ عَيْـنٍ أَوْ حُمَـةٍ».

فَقَـالَ: قَدْ أَحْسَـنَ مَـنِ اِنْتَهَى إِلَـى مَا سَـمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا اِبْـنُ عَبَّاسٍ عَـنْ اَلنَّبِـيِّ صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «عُرِضَـتْ عَلَـيَّ اَلْأُمَـمُ، فَرَأَيْتُ اَلنَّبِـيَّ وَمَعَـهُ اَلرَّهْـطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَـهُ اَلرَّجُلُ وَالرَّجُـلَانِ، وَالنَّبِـيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ

أَحَـدٌ؛ إِذْ رُفِـعَ لِي سَـوَادٌ عَظِيـمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُـمْ أُمَّتِي.

فَقِيـلَ لِـي: هَـذَا مُوسَـى وَقَوْمُـهُ. فَنَظَـرْتُ فَـإِذَا سَـوَادٌ عَظِيـمٌ، فَقِيلَ لِـي: هَـذِهِ أُمَّتُـكَ، وَمَعَهُـمْ سَـبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُـونَ اَلْجَنَّـةَ بِغَيْرِ حِسَـابٍ وَلَا عَذَابٍ».

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ اَلنَّاسُ فِي أُولَئِكَ.

فَقَـالَ بَعْضُهُـمْ: فَلَعَلَّهُـمُ اَلَّذِيـنَ صَحِبُوا رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَـالَ بَعْضُهُـمْ: فَلَعَلَّهُمْ اَلَّذِينَ وُلِدُوا فِي اَلْإِسْـلَامِ فَلَمْ يُشْـرِكُوا بِاللهِ شَـيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْـيَاءَ، فَخَـرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُـولُ اللهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، فَأَخْبَـرُوهُ، فَقَـالَ: «هُـمُ اَلَّذِيـنَ لَا يَسْـتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَـوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّـرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِـمْ يَتَوَكَّلُونَ».

فَقَـامَ عُكَّاشَـةُ بْنُ مُحْصَـنٍ فَقَـالَ: اُدْعُ اللـهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُـمْ. فَقَالَ: «أَنْـتَ مِنْهُـمْ»، ثُـمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَـرُ فَقَالَ: اُدْعُ اللـهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُـمْ، فَقَالَ: «سَـبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

*** الإفادات:**

بَابٌ مَنْ حَقَّقَ اَلتَّوْحِيدَ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

جـاء بهـذا الباب حَتَّـى نحقِّـق التوحيد الَّـذِي وجب علينا وتشـوَّقنا إليـه، وتحقيقـه تخليصه من الشِّـرْك والبـدع والمعاصـي، ويكون بـ:

العلم: فاعلم أنه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

الاعتقاد: اعتقاد ما علمت.

الانقياد لما علمت.

وتحقيق التوحيد عند المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ يكون بقراءة الباب تفصيلًا وإجمالًا ويكون بـ:

[١] الاقتداء بنبيّ الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٢] الاقتداء بسادات الأولياء (الصحابة).

[٣] البقاء عَلَى التوحيد ولو كنت وحدك.

[٤] التَّوَكُّل وترك الرُّقية والاكتواء والتَّطيُّر.

الفرق بين باب فضل التوحيد وباب من حقق التوحيد هو:

- أن باب فضل التوحيد في حق الموحّد الَّذِي ليس عنده شرك، ولكن قد يكون عنده بعض المعاصي التي تُكفّر بالتوحيد.

- أما باب من حقق التوحيد فهو بحق من لم يشرك بالله شيئاً، ولم يكن عنده شيء من المعاصي، وهذا أعلى من الذي قبله.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

وَقَالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

وصف الله عَزَّ وَجَلَّ سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأربعة أوصاف:

- الأولى: أنه كان أمة، يعني: قدوة في الخير.

- الثانية: أنه كان قانتاً لله يعني ثابتاً على الطاعة مخلصاً عمله

لله .

- الثالثة: أنه كان حنيفاً، يعني مُقبلاً على الله مُعرضاً عما سواه.

- الرابعة: أنه لم يكُ من المشركين أي: بريء منهم ومن دينهم.

﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾ الشِّرْك بالمعنى الأعمّ؛ إذ تحقيق التوحيد لا يكون إِلَّا باجتناب الشِّرْك بالمعنى الأعمّ، ولكن ليس معنى هـذَا ألا تقع منهم المعاصي؛ لأنَّ كل بني آدم خطَّاء، وليس بمعصوم، ولكن إذا عصوا؛ فإنهم يتوبون ولا يستمرون.

وفي حديث حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ اَلرَّحْمَنِ فوائد منها:

- أولاً: جواز الرّقية من العين ومن الحُمة وغيرهما.

- ثانياً: دلّ على فضل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمته الذين آمنوا معه.

- ثالثاً: فيه دليل على عدم الاحتجاج بالكثرة.

- رابعاً: فيه حرص الصحابة على مسائل العلم ومعرفتها.

- خامساً: الاستغناء عن الناس فيه كمال التوحيد وهو من تحقيق التوحيد.

- سادساً: فيه دليل على استعمال المعاريض في الأمور التي يُكره مواجهة الناس بها.

- سابعاً: فيه دليل على طلب الدليل.

- ثامناً: فيه دليل أن من حقق التوحيد دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

«لَا يَسْتَرْقُونَ»: لا يطلبون من أحدٍ أن يقرأ عليهم للأسباب التالية:

[١] قوة اعتمادهم عَلَى الله.

[٢] عزة نفوسهم عن التَّذَلُّل لغير الله.

[٣] ما في ذلك من التَّعَلُّق بغير الله.

أقسام النَّاس في طلب الرقية:

(١) أن يطلب من يرقيه، وَهذَا قد فاته الكمال (يخرج من السبعين ألفًا).

(٢) أن لا يمنع من يرقيه، وَهذَا لم يفته الكمال؛ لأنه لم يسترق ولم يطلب.

(٣) أن يمنع من يرقيه، وَهذَا خلاف السُّنَّة؛ لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يمنع عائشة أن ترقيه.

وَالأُمَّة عَلَى نوعين:

أمة الإجابة: الَّذِينَ استجابوا لله تَعَالَى وللرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أمة الدعوة: تشمل من استجاب لله والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن لم يستجب (الكُفَّار).

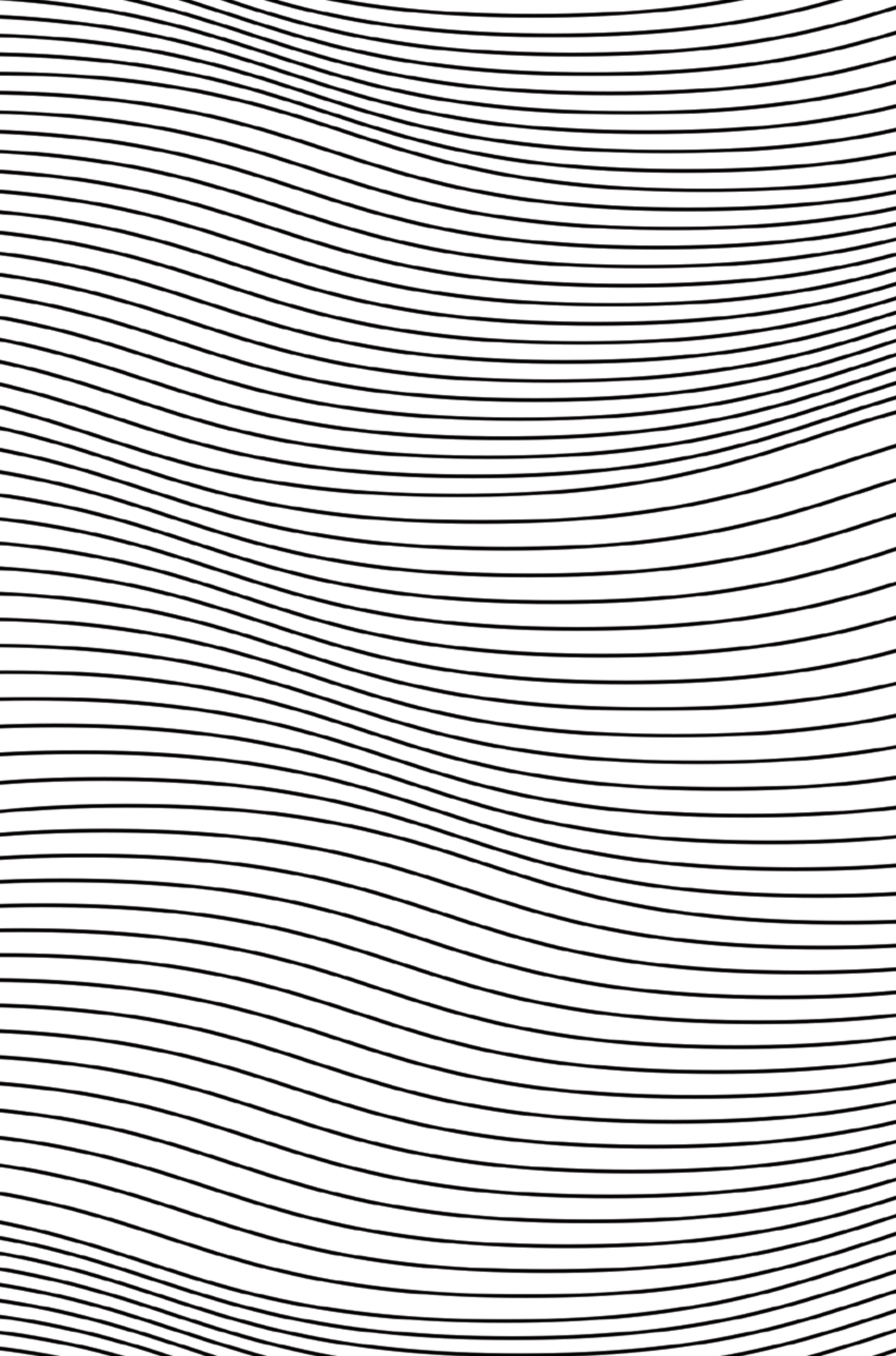

بَابُ اَلْخَوْفِ مِنْ اَلشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ اَلْخَلِيلُ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وَفِي اَلْحَدِيثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ اَلْأَصْغَرُ»، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: «اَلرِّيَاءُ».

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا؛ دَخَلَ اَلنَّارَ». رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ اَلنَّارَ».

*** الإفادات:**

بَابُ اَلْخَوْفِ مِنْ اَلشِّرْكِ

هـذا الباب في غاية المناسبة للأبواب السابقة؛ فقد جاء الْمُصَنِّف بـه بعد تحقيـق التوحيد؛ لأنَّ كل بـابٍ بعد تحقيق التوحيـد هو من تحقيق

التوحيد، فمن تحقيق التوحيد الخوف من الشِّرْك، ومن تحقيقه الدَّعوة إليه، وهكذا إِلَى نهاية الكتاب، ولأنَّ الإنسان يرى أنَّه حقَّق التَّوحيد، وهو لم يحقِّقه، فلا يغترَّ بنفسه.

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ اَلْخَلِيلُ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

الخوف من الشِّرْك يكون عن طريق:

- تعلُّم التَّوحيد، والعمل به، والدَّعوة إليه، والصَّبر عليه.
- دراسة الشِّرْك ومعرفة أسبابه ودواعيه، وذلك لتجنُّبه.
- الْدُّعَاء والاستعانة بالله تَعَالَى.
- البراءة من الشِّرْك وأهله، والبعد عنهم لئلَّا يصير منهم.

وَفِي اَلْحَدِيثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ اَلْأَصْغَرُ»، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: «اَلرِّيَاءُ».

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا؛ دَخَلَ اَلنَّارَ» رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ

يُشْـرِكُ بِهِ شَـيْئًا؛ دَخَـلَ اَلنَّارَ».

الرِّيـاء: أن يعبـد اللـه ليراه أو يسـمع به النَّـاس فيمدحـوه عَلَى كونه عابدًا، ويُقسَّـم الريـاء إِلَى:

- في أصل العبادة: أي ما قام يتعبد إِلَّا للرياء فالعبادة باطلة.

- طارئ: أصل العبادة لله، لكن طرأ عليه:

- أن يدافعه: فهذا لا يضره لأنه قام بالجهاد، وصحَّت عبادته.

- أن يسترسل معه: فَهذَا فيه تفصيل:

- إذا كان أول العبـادة متصـلًا بآخرهـا كَالصَّـلَاةِ، فالعبـادة كلهـا باطلـة.

- إذا كان أول العبـادة منفصـلًا عـن آخرهـا كالـزكاة، فالجـزء الَّذِي فيه الريـاء فَقَـطْ باطل.

- بعـد الفـراغ مـن العبـادة: لا يؤثـر إِلَّا إذا كان فيـه عـدوان؛ كالمنِّ والأذى بعـد الصدقة.

وعلاج الرياء يكون بالآتي:

- دراسـة التوحيـد؛ لأنَّـه بدراسـة التوحيـد يُعظِّـم اللـه ولا يبالـي بأحـدٍ فـي ديـن الله.

- الْدُّعَاء.

- الحرص عَلَى أن تكون الأعمال سرًّا بين العبد وربه.

- عدم ترك العمل بحجَّة اجتناب الوقوع في الرياء.

- الإكثار من الأعمال الصَّالحة الَّتِي تُذكِّر الآخرة؛ كزيارة القبور بشروطها.

الْدُّعَاء ينقسم إِلَى قسمين:

- دعاء عبادة: كمن صلَّى وحجَّ وصام لغير الله فهو كافر كفرًا أكبر.

- دعاء مسألة: وينقسم إِلَى قسمين:

- فيما لا يقدر عليه إِلَّا الله: وَهذَا صرفه لغير الله تَعَالَى شرك أكبر.

- فيما يقدر عليه المخلوق: يصحُّ هذَا النَّوْع من الْدُّعَاء بأربعة شروط:

[١] أن يكون المدعوُّ حيًّا.

[٢] أن يكون المدعوُّ حاضرًا.

[٣] أن يكون المدعوُّ قادرًا.

[٤] أن يكون المدعوُّ سببًا.

الفرق بين الشِّرْك الأكبر والأصغر:

* الأكبر مخرجٌ من الملة، والأصغر غير مخرجٍ من الملة.

* الأكبر محبطٌ لجميع الأعمال، والأصغر محبطٌ للعمل الخاص.

* الأكبر صاحبه مُخلَّد في النَّار خلودًا أبديًّا، والأصغر صاحبه

غيـر مخلَّـدٍ في النَّـار خلـودًا أبديًّا.

❋ الأكبـر مبيـحٌ للـدم والمـال مـن السـلطان، والأصغـر غيـر مبيح للـدم والمال.

❋ الأكبـر يأتـي الدليـل عَلَـى أنه أكبـر، والأصغـر يأتي الدليـل عَلَى أنـه أصغر.

❋ الأكبـر أن يعتقـد أنَّ لغيـر اللـه تصرُّفًا خفيًّـا في الكـون، وأن بيده جلـبَ المنافـع ودفـع المضـار، والأصغـر أن يعتقـد أنَّ ما لم يجعلـه الله تَعَالَى سـببًا سـببٌ.

❋ كل ما كان وسيلة إِلَى الشِّرْك الأكبر فهو شرك أصغر.

❋ كل مـا أطلـق عليـه الشـرع أنـه شـرك أو كفر ولـم يُعرَّف بــ«أل» فالأصـل أنـه أصغر.

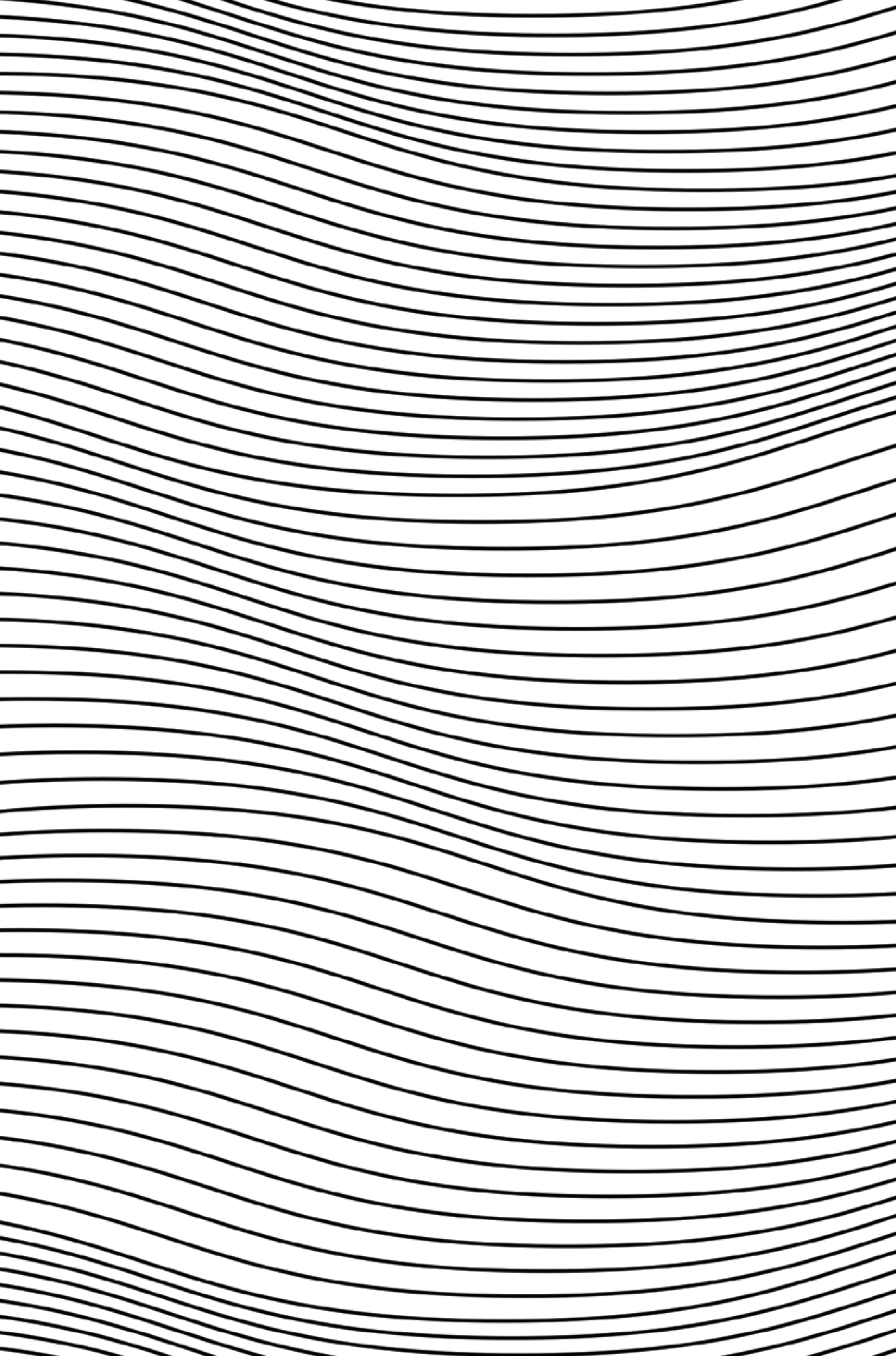

بَابُ اَلدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] الآية.

عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اَلْيَمَنِ؛ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». -وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»-، «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ اِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ اِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ اَلْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ اَلرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ».

فَبَاتَ اَلنَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ: أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ ».

فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ،

وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ! فَأَعْطَاهُ اَلرَّايَةَ، فَقَالَ: «اُنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَى اَلْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ اَلنَّعَمِ».

(يَدُوكُونَ) أَيْ يَخُوضُونَ.

❋ الإفادات:

بَابُ اَلدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله

جاء الْمُصَنِّف بهذا الباب لسببين:

(١) لمَّا ذَكَرَ توحيد الإنسان بنفسه ذَكَرَ دعوة غيره إِلَى ذلك؛ لأنه لا يتمُّ الإيمان إِلَّا إذا دعا إِلَى التوحيد، فَلَا بُدَّ مع التوحيد من الدعوة إليه، وَإِلَّا كان ناقصًا.

(٢) للرَّدِّ عَلَى من يقول: أنَّ أوَّل ما يُبدأ به هو الصَّلَاة، لا التوحيد.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الدعاة ينقسمون إِلَى:

١) داعٍ إِلَى الله.

٢) داعٍ إِلَى غيره، وَهذَا ينقسم إِلَى قسمين:

١- داع إِلَى نفسه:

- كأن يدعو إِلَى الحق لأجل أن يعظم بين النَّاس

- يدعو إِلَى نفسه بالباطل.

٢- وداع إِلَى رئيسه.

شروط الدعوة إِلَى الله:

١. الإخلاص.

٢. العلم الشَّرعي.

٣. الحكمة.

٤. معرفة حال المَدعو.

٥. الصَّبر.

وفي حديث اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَامن الفوائد:

١- مشروعية إرسال الدعاة إِلَى الله تَعَالَى وتعليمهم.

٢- بَعْثُ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا واحدًا، وفيه قبول خبر الواحد وإن كان في العقيدة.

٣- لم يشترط أَيَّامًا معدودةً للدعوة، فيمكث عندهم حسب حاجتهم.

٤- كيفيَّة دعوة المخالفين، وأسهل طريقةٍ هي دعوتهم إِلَى التوحيد لا المناظرة.

٥- لا يكفي الدعوة إِلَى الإسلام فَقَطْ، بل يخبرهم بما يجب عليهم فيه حَتَّى يقتنعوا به ويلتزموا، لكن عَلَى الترتيب الَّذِي في

حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الفوائد أن خوارق العادات لها أربعة أوصاف: وهي ما يأتي عَلَى خلاف ما اعتاده النَّاس؛ كأن يطير في الهواء أو يمشي عَلَى الماء:

[١] الآية: تكون للأنبياء، ولا يُقال معجزةٌ؛ لأنَّ هذَا الَّذِي ورد في القرآن، والمعجزة قد يعجز عنها بعض النَّاس، وتكون لغير الأنبياء، ولا يمكن لأحدٍ ادّعاء آيةٍ بعد موت النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[٢] الكرامة: تكون لأولياء الرحمن، هم الَّذِينَ جمعوا بين الإيمان والتقوى، ومثال الكرامة ما حصل مع أصحاب الكهف.

[٣] المعجزة أو الفتنة: تكون لأولياء الشيطان، نعرفها بمعرفة حال الشخص، لا إيمان ولا تقوى، ومثال المعجزة ما يحصل من الدَّجَّال.

[٤] الفضيحة: كلُّ من كذب عَلَى الله فضحه في الدنيا قبل الآخرة، ومثال الفضيحة ما حصل من مُسيلمة الكذاب؛ نفث في عين مريض فعميَ.

بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «من قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وكَفَرَ بما يُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وَشَرْحُ هذِه التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوابِ.

*** الإفادات:**

بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

لمَّا سبق الكلام عَلَى التوحيد، كأنَّ النَّفس اشْرَأَبَّت إِلَى بيان

ما هو هذَا التوحيد الَّذِي بُوِّب له هذِه الأبواب (وجوبه، وفضله، وتحقيقه، والخوف من ضده، والدعوة إليه)، فيُجاب بهذا الباب، وهو تفسير التوحيد إِلَى نهاية الكتاب.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية.

فالوسيلة معناها: الطاعة والعبادة والقرب، وليس كما يظنه القبوريون والمُخرِّفون أن الوسيلة معناها: أن تجعل بينك وبين الله شخصاً يرفع حوائجك إلى الله تَعَالَى، فهذه هي الوسيلة عند المشركين قديماً وحديثاً.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] الآية.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ جمع بين النفي والإثبات، ولم يقل «إِلَّا الله» لفائدتين:

١) لبيان علَّة إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بالعبادة؛ لأنه كما أنه سُبْحَانَهُ منفردٌ بالخلق؛ فيجب أن يفرد بالعبادة.

٢) لبيان بطلان عبادة الأصنام؛ لأنها لم تفطركم حَتَّى تعبدوها.

وَقَوْلِهِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١] الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ

ﱡٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية.

النَّاس ثلاثة أقسام:

- قسم يعبد الله وحده، وهو الموحد.

- قسم يعبد غير الله فَقَطْ، وهو مشرك.

- قسم يعبد الله وغيره معه، وهو مشرك.

أقسام المحبة:

- المحبة مع الله: شرك أكبر، تنافي محبة الله كمحبة غير الله محبَّةً مساويةً أو أكثر، وتنقسم إِلَى:

أن يحب الله حبًّا أشد من غيره وهو التوحيد.

أن يحب غير الله، وَهذَا شرك.

أن يحب غير الله أشد حبًّا من الله، وَهذَا أعظم مِمَّا قبله.

أن يحب غير الله وليس في قلبه محبة لله، وَهذَا أعظم وأطم.

- المحبة لله أو في الله: واجبة «أوثق عُرى الإيمان الحب في الله...».

- المحبة الطبيعية: جائزة بشرط أن لا يقدمها عَلَى حب الله؛ كحب الولد والزوجة.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «من قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وكَفَرَ بما يُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

لَا بُـدَّ أن تكفـر بعبـادة من يُعبَـد من دون اللـه، بل وتكفـر أيضًا بكلِّ كفـر، فمن يقـول الشـهادة ويـرى معهـا أنَّ النصـارى واليهود اليـوم عَلَى ديـن صحيـح؛ فإنَّـه ليس بمسـلمٍ، وكذلك من يـرى الأديان أفـكارًا يختار منهـا مـا يريد؛ فليس بمسـلمٍ.

وَشَرْحُ هذِه التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوابِ.

أي: أن الأبـواب الآتيـة إلى آخـر كتـاب التوحيد، كلها تفسـير لهذه الكلمـة مثـل بـاب النهي عن لبـس الحلقـة والخيـط، والتبرّك بالأشـجار والأحجـار، وبـاب السـحر، وبـاب التنجيـم، وبـاب ما جـاء فـي الطيرة، وبـاب الرقـى والتمائـم كله يفسـر التوحيـد ومعنـى «لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ».

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَة وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨] الآيـة.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلَقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ.

فَقَالَ: «انْزَعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهَنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً؛ فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ».

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى، فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

❊ **الإفادات:**

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

أي: من أنواع الشِّرْك؛ لأنه تعلّق بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهذَا تفسيرٌ للتوحيد بمعرفة ضده.

لبس الحلقة والخيط ونحوهما يعتبر:

- شركٌ أكبر: إذا اعتقد أنها مؤثِّرة بذاتها، وبيدها جلب المنافع ودفع المضار.

- شركٌ أصغر إذا اعتقد أنها سببٌ مع أنَّ الله تَعَالَى لم يجعلها سببًا لا حسِّيًّا ولا شرعيًّا.

أقسام النَّاس في الاعتقاد في الأسباب ثلاثة:

- صحيح: أن يعتقد ويجعل ما جعله الله سببًا سببًا، والأسباب إِمَّا حسِّيَّةٌ كالدواء أو شرعيَّة كالرُّقية.

- شركٌ أصغر: أن يعتقد ويجعل ما لم يجعله الله سببًا سببًا، كتعليق رأس الثور لدفع العين، وهو ليس بسببٍ.

- شركٌ أكبر: أن يعتقد أنها مؤثرةٌ بذاتها وبيدها جلب المنافع ودفع المضار.

أقسام النَّاس في الأخذ بالأسباب إِلَى طرفين ووسط:

- ينكر الأسباب: ينفي حكمة الله، كالجبريَّة والأشاعرة.

- يغلو في الأسباب: فيثبت ما ليس بسببٍ، كالصُّوفيَّة.

- يتوسط في الأسباب: يثبت السبب الحسِّيَّ والشَّرعيَّ دون غيره.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨] الآية.

هذِه الأصنام لا تنفع أصحابها، لا بجلب نفع ولا بدفع ضر، فليست أسبابًا لذلك، ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾: فيه تفويض الكفاية إِلَى الله دون الأسباب الوهمية.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلَقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ، فَقَالَ: «انْزَعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً؛ فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ».

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى، فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

حكم المعلّق للخيط ونحوه أن له أنَّ له أحوالًا:

- أن يكون جاهلًا لحكمها؛ فهذا يُعلَّم.

- أن يعتقد أنَّها سببٌ، والله تَعَالَى لم يجعلها سببًا؛ فَهذَا شركٌ أصغر.

- أن يعتقد بأنَّها مؤثرةٌ بذاتها وبيدها جلب المنافع ودفع المضارِّ؛ فَهذَا شركٌ أكبر.

- ليس لديه أيُّ اعتقادٍ ولكن يلبسها للزينة كحال بعض الشباب -هدانا الله وإيَّاهم-، فكل من رأى هذَا التعليق قد يظنُّ أنَّه يجوز، ويكون بذلك قد فتح باب شرٍّ عَلَى النَّاس، وفيه تشبُّهٌ بالنِّساء والمشركين؛ فَهذَا كبيرةٌ من كبائر الذنوب.

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا: «أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ: شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا؛ وُكِّلَ إِلَيْهِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ.

«التَّمَائِمُ»: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الْأَوْلَادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

و«الرُّقَى»: هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ، وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ؛ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ.

و«التِّوَلَةُ»: هِيَ شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ؛ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا رُوَيْفِعُ! لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ؛ فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ».

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: (مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ؛ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ). رَوَاهُ وَكِيعٌ.

وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ؛ قَالَ: (كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ).

*** الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

هذَا الباب مُكَمِّل لما قبله، وجاء به الْمُصَنِّف لتفسير الرُّقى والتَّمائم الشِّركيَّة الَّتي تنافي التَّوحيد، وقال: (باب ما جاء) ولم يقل: (من الشِّرْك الرقى) لسببين:

[١] لأنَّ الرقية تنقسم إِلَى شرعية وغير شرعية.

[٢] والتمائم كلُّها من الشِّرْك، إِلَّا إذا كانت من القرآن فهي محرَّمة.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا: «أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ».

وَعَـنْ ابْـنِ مَسْـعُودٍ رَضِيَ اللـهُ عَنْهُ؛ قَالَ سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يَقُـولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِـمَ وَالتِّوَلَةَ: شِـرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ.

وَعَـنْ عَبْـدِ اللهِ بْنِ عُكَيْـمٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّـقَ شَـيْئًا؛ وُكِّلَ إِلَيْهِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ.

شروط الرقية الشرعية:

- أن تكون من الكتاب أو السُّنَّة، أو يدعو بأسماء الله وصفاته.
- أن تكون بكلام مفهوم، مسموعٍ، ومعلومٍ، بِاللُّغَةِ العربية.
- أن يعتقد أنها سببٌ شرعيٌّ لا تنفع إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ.

إذا اختـلَّ شـرطٌ مـن هـذِه الشـروط أصبحـت رقيـة غيـر شـرعية، وليـس هنـاك رقيـة بغيـر العربيـة، إِلَّا إذا كان مـن بـاب الْدُّعَـاء فيصـحُّ أن يدعـو بغير اللُّغَة العربية بشـرط ألا يغيِّر الأسـماء الحسـنى؛ لأنهـا توقيفيَّة (والأسـماء تُحكـى كمـا هـي فـي كلِّ اللغات).

«التَّمَائِـمُ»: شَـيْءٌ يُعَلَّـقُ عَلَـى الْأَوْلَادِ يَتَّقُونَ بِـهِ الْعَيْنَ لَكِـنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّـقُ مِـنَ الْقُـرْآنِ؛ فَرَخَّـصَ فِيـهِ بَعْـضُ السَّـلَفِ، وَبَعْضُهُـمْ لَـمْ يُرَخِّصْ فِيـهِ، وَيَجْعَلُـهُ مِـنَ الْمَنهِـيِّ عَنْـهُ، مِنْهُمْ ابْـنُ مَسْـعُودٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ.

و«الرُّقَـى»: هِـيَ الَّتِـي تُسَـمَّى الْعَزَائِـمَ، وَخَصَّ مِنْهَـا الدَّلِيـلُ مَا خَلَا مِـنَ الشِّـرْكِ؛ فَقَـدْ رَخَّـصَ فِيـهِ رَسُـولُ اللـهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مِـنَ الْعَيْـنِ وَالْحُمَةِ.

و«التِّوَلَـةُ»: هِـيَ شَـيْءٌ يَصْنَعُونَـهُ يَزْعُمُـونَ أَنَّـهُ يُحَبِّبُ الْمَـرْأَةَ إِلَـى زَوْجِهَـا وَالرَّجُـلَ إِلَـى امْرَأَتِـهِ.

من التولة خاتم الدبلة:

شـرك أكبـر؛ إذا اعتقـد أنَّـه مؤثّر بذاتـه، وبيـده جلب المنافـع ودفع المضار.

شركٌ أصغر؛ إذا اعتقد أنه سببٌ في بقاء العلاقة الزَّوجيَّة.

مُحَـرَّمٌ؛ وَهـذَا أقـلُّ أحوالـه؛ لأنَّـه مـن عـادات النَّصـارى، لأنهـم يعتقـدون بوضعـه عقيـدة التَّثليـث، وفيـه محـذورٌ إن كان مـن ذهـبٍ للرجـال.

وَرَوَى أَحْمَـدُ عَـنْ رُوَيْفِـعٍ قَـالَ؛ قَالَ لِي رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «يَـا رُوَيْفِـعُ! لَعَـلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ؛ فَأَخْبِـرِ النَّاسَ أَنَّ مَـنْ عَقَدَ لِحْيَتَـهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْـتَنْجَى بِرَجِيـعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَـإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ».

وَعَنْ سَـعِيدِ بْـنِ جُبَيْرٍ قَالَ: (مَـنْ قَطَعَ تَمِيمَـةً مِنْ إِنْسَـانٍ؛ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ). رَوَاهُ وَكِيعٌ.

وَلَـهُ عَـنْ إِبْرَاهِيـمَ؛ قَـالَ: (كَانُـوا يَكْرَهُـونَ التَّمَائِـمَ كُلَّهَا مِـنَ الْقُرْآنِ وَغَيْـرِ الْقُرْآنِ).

نحكم بتحريم التمائم من القرآن للأسباب الآتية:

- كراهة بعض السلف لها، والكراهة عند السلف تعني التَّحرِيْم.

- لدخولها تحت قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الرُّقى والتَّمائِمَ والتَّوَلَة شِرْكٌ».

- قد نفتح باب شرٍّ لأنَّ البعض قد يظنُّ أنَّ التَّمائم كلَّها جائزةٌ حَتَّى من غير القرآن.

- لأنَّ فيها امتهانًا للقرآن، فقد يدخل بها الحمام أو تصيبها النَّجَاسَة.

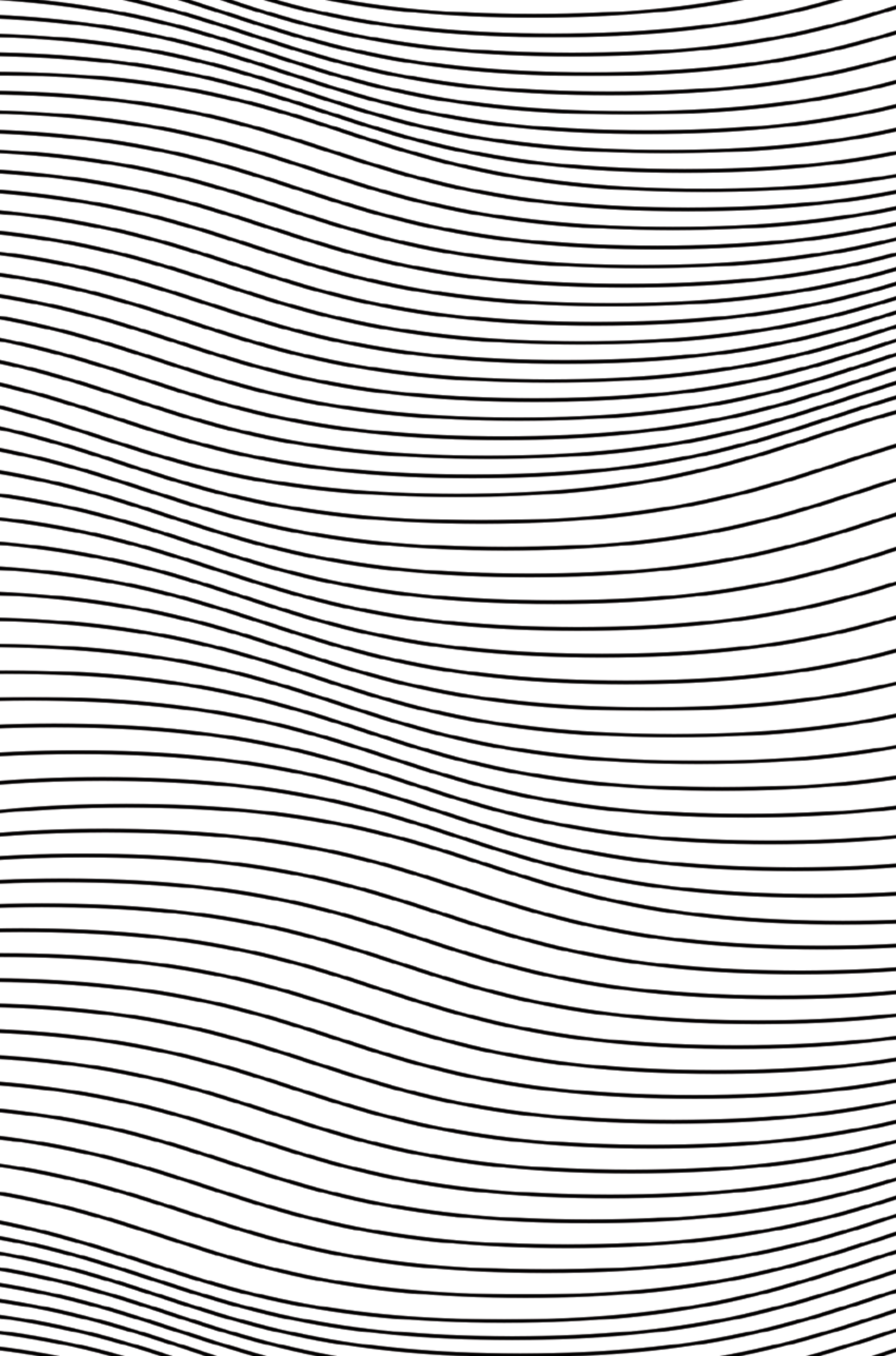

بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] الآيَاتِ.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! اِجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

❊ الإفادات:

بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

جاء الْمُصَنِّف به تفسيرًا منه للتَّبَرُّكِ الممنوع المنافي للتوحيد، وَالتَّبَرُّك هو طلب البركة، ومنه:

- تبرُّكٌ مشروع، ويُقسَّم إِلَى:

- بأمرٍ شرعيٍّ: كَالصَّلَاةِ في المسجد الحرام، وقراءة القرآن.

- بأمرٍ حِسِّيٍّ: كَالتَّبَرُّكِ بدراسة كتب أهل السُّنَّة ككتب شيخ الإسلام.

- وتبرُّكٌ ممنوع: الضَّابط فيه أنَّه كلُّ ما لم يثبت فيه أمرٌ شرعيٌّ أو حسِّيٌّ، مثل التَّمَسُّح بحجرة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] الآيَاتِ.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

الحاصل: أن التَّبَرُّك بالأشجار والأحجار هو من سنَّة المشركين ومن سنة الجاهلية، فلا فرق بين من يعبد اللات والعزى، ومن يعبد القبر، فلا يجوز التَّبَرُّك بمخلوق، ويُستثنى من ذلك النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما انفصل عنه من ريقٍ أو شعرٍ أو وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه مبارك، وهذا خاص به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

من مسائل هذا الباب: سد الذرائع، وسد الذرائع نوعان:

[١] ذرائع إِلَى أمور مطلوبة؛ لا تُسَدُّ، بل تُفتَح وتُطلب.

[٢] وذرائع إِلَى أمورٍ مذمومة؛ فَهذِه تُسدُّ، وهو مراد المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

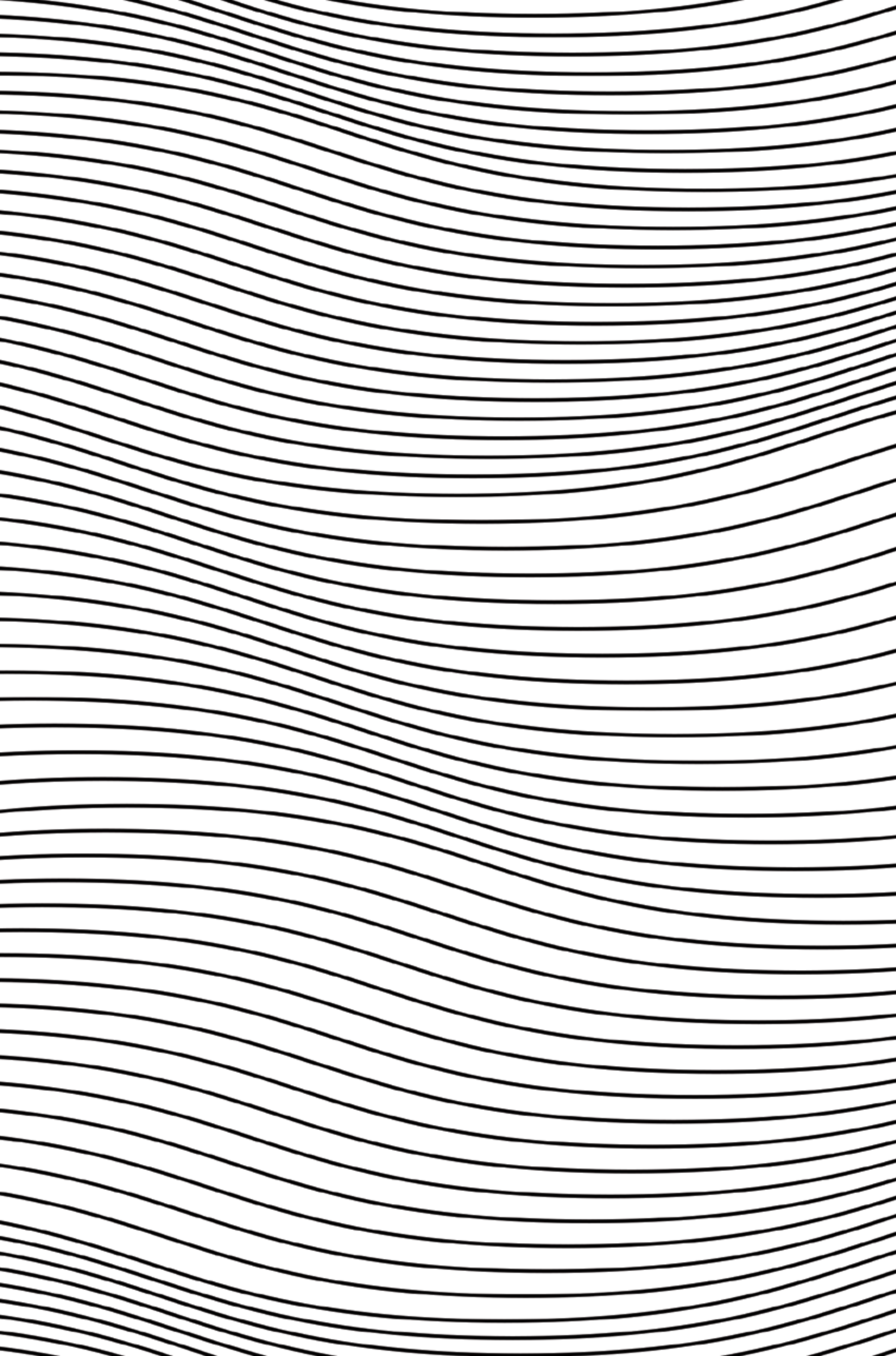

بَابُ مَا جَاءَ فِي اَلذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣] الآيـة.

وَقَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيْرِ مَنَارَ اَلْأَرْضِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلَ اَلْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ وَدَخَلَ اَلنَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ».

قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟!

قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ.

قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ.

قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ اَلنَّارَ.

وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ اَلْجَنَّةَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ.

*** الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ فِي اَلذَّبْحِ لِغَيْرِ الله

أراد الْمُصَنِّف أن يفسِّر كون الذَّبح لغير الله محبَّةً وتعظيمًا مناقضًا للتوحيد، وقال: (باب ما جاء) ولم يقل: (من الشِّرْك الأكبر الذبح لغير الله) لسببين:

[١] أراد أن يمرّن الطالب عَلَى أخذ الحكم من الدليل، وَهذَا من التربية العملية.

[٢] أو لأنَّ الذبح لغير الله ينقسم إِلَى قسمين: جائزٍ وشركٍ أكبر.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

أقسام الذبح:

- ذبح لله تَعَالَى: كالهدي، والأضاحي، والعقيقة، صرفه لغير الله شركٌ أكبر.

- ذبحٌ مباحٌ: كشاة اللحم، وإكرام الضيف، والتجارة.

- ذبحٌ لغير الله محبة وتعظيمًا: شرك أكبر، كالذبح لأصحاب القبور والجن.

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مِنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مِنْ غَيْرِ مَنَارَ الْأَرْضِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

لعن الرجلُ الرجلَ له معنيان:

- الْدُّعَاء عليه باللعن.

- سبه وشتمه؛ لأنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسره بقوله: «يسب أب الرجل فيسب أباه».

وفي حديث طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ رضي الله عنه من الفوائد:

أن أقسام النذر على ما يلي:

- يجب الوفاء به، وهو نذر الطاعة.

- يحرم الوفاء به، نذر المعصية.

- ما يجري مجرى اليمين، ونذر المباح.

- نذر اللجاج والغضب، وهو مخير بين أن يوفى أو يكفر كفارة يمين .

- المكروه.

هل الأولى للإنسان إذا أُكره عَلَى الكفر أن يصبر ولو قُتل، أو يوافق ظاهرًا ويتأوَّل؟

[١] أن يوافق ظاهرًا وباطنًا، وَهذَا لا يجوز لأَنَّه ردَّةٌ.

[٢] أن يوافق ظاهرًا لا باطنًا، ولكن يقصد التَّخلُّص من الإكراه؛

فَهـذَا جائزٌ.

[٣] أن لا يوافـق لا ظاهـرًا ولا باطنًـا ويُقتـل، وَهـذَا جائـزٌ، وهو من الصّبـر، هـذَا إذا كان موافقـة الإكـراه يترتب عليـه ضررٌ في الديـن للعامة، وَإِلَّا وافـق ظاهـرًا لا باطنًا.

«لعن الله من ذبح لغير الله» يشمل كل الأمور الآتية:

ما ذُبح للأصنام تقرّباً.

مـا ذُبـح تعظيمـاً لمخلـوق وتحيـةً لـه عنـد نزولـه ووصولـه إلـى المـكان الـذي يسـتقبل بـه.

ما ذُبح للحم وذُكر عليه اسم غير الله تعالى.

مـا ذُبـح عنـد انحبـاس المطـر فـي مـكان معيـن أو عند قبـر، لأجل نـزول المطر.

ما يُذبح عند نزول البيوت خوفاً من الجن أن تصيبه.

مـا يُذبـح عنـد عتبـات البيـوت، والأبـواب لاتقـاء أمـور ومصائب تحـدث للبيـت أو لأهـل البيـت، لأن الجـان يسـكنون عتبـات البيـوت. كل ذلـك يدخـل تحـت بـاب الذبـح لغيـر اللـه ويكـون مشـركاً باللـه تعالى.

بَاب لَا يُذْبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ ﴾ [التوبة: ١٠٨] الآية.

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ اَلضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبَوَانَةَ، فَسَأَلَ اَلنَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ اَلْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ اِبْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا.

❋ الإفادات:

بَاب لَا يُذْبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ

أراد أن يفسِّر ما يفعله بعض الجُهَّال من مُشابهة ومُشاركة المُشركين في أعيادهم وأماكن عباداتهم، مِمَّا هو منافٍ للتوحيد، فَهذَا الانتقال من الْمُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من أحسن ما يكون؛ فبعد أن ذَكَرَ الذبح لغير الله، انتقل إِلَى عدم جواز الذبح لله في كل مكانٍ يُذبح فيه لغير الله، كمن أراد أن يضحِّي لله في مكانٍ يُذبح فيه لأوثانٍ، والحكمة من ذلك ما يلي:

(١) أنه يؤدِّي إِلَى التَّشَبُّه بالكُفَّار.

(٢) أنَّـه يـؤدِّي إِلَـى الاغترار بهذا الفعـل، ويظنُّ أنَّ فعل المشـركين جائز.

(٣) أنَّ المشـركين سـوف يقـوون عَلَـى فعلهـم، وَهـذَا محظـورٌ وإغاظتهـم مطلوبـةٌ.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ١٠٨] الآية.

لمَّـا كان مسـجد الضـرار مِمَّـا اتُّخـذ للمعاصـي ضـرارًا وكفـرًا وإرصـادًا وتفريقًـا بين المؤمنيـن؛ نهى الله رسـوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ أن يقـوم فيـه، مـع أنَّ صلاتـه فيه لله؛ فـدلَّ عَلَـى أنَّ كل مـكان يُعصى الله فيـه أنـه لا يُقـام فيـه، ولو بعـد زوالـه، فَالصَّـلَاةُ عبـادة والذبـح أيضًا.

وَعَـنْ ثَابِـتِ بْـنِ اَلضَّحَّاكِ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ قَالَ: نَـذَرَ رَجُـلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِـلاً بِبَوَانَـةَ، فَسَـأَلَ اَلنَّبِـيَّ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، فَقَـالَ: «هَـلْ كَانَ فِيهَا وَثَـنٌ مِـنْ أَوْثَـانِ اَلْجَاهِلِيَّـةِ يُعْبَـدُ؟»، قَالُـوا: لَا، قَـالَ: «فَهَـلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِـنْ أَعْيَادِهِـمْ؟» قَالُـوا: لَا، فَقَـالَ رَسُـولُ اللـهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «أَوْفِ بِنَـذْرِكَ؛ فَإِنَّـهُ لَا وَفَـاءَ لِنَـذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللـهِ، وَلَا فِيمَـا لَا يَمْلِكُ اِبْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ، وَإِسْـنَادُهُ عَلَـى شَـرْطِهِمَا.

النَّـذر: لغـةً: العهـد والإلـزام، وشـرعًا: إلـزام المُكلَّف نفسـه شـيئًا غيـر واجـبٍ، وينقسـم إِلَى:

- نذرٌ لله، وينقسم إِلَى:

- نذرٌ خاص: كأن ينذر شيئًا بعينه، وينقسم إِلَى:

- بعد التَّلَفُّظ به: فيه الوفاء أو كفَّارة اليمين، وينقسم إِلَى:

- طاعة: يجب الوفاء به، وإن حنث فعليه كفَّارةٌ (مثاله: نذر صلاةً نافلة).

- معصية: يحرم الوفاء به ويجب الحنث والكفَّارة (مثاله: نذر فعلًا مُحرَّمًا كالغيبة).

- مباح: يُخيَّر بين فعله -أولى- أو الحنث مع الكفَّارة (مثاله: نذر لبس هذَا الثوب).

- اللّجاج والغضب: كالمباح حكمًا، ويُقصد به معنى اليمين (مثل: نذر مغادر البلد).

- مكروه: يُكره الوفاء به ويُستحبُّ الحنث ويكفِّر (مثل: نذر الالتفات في الصَّلَاة).

- مطلق: الَّذِي لم يسمِّ صاحبه شيئًا، فيه الكفارة (كقول: لله عليَّ نذرٌ، ويسكت).

- قبل التَّلَفُّظ به: حكمه: محرَّمٌ لنهي النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، ولو كان خيرًا لنذر النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- نذر عام: يدخل فيه كل مسلم ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾؛ لأنَّ المسلم نذر فعل الأوامر وترك المناهي.

- نذرٌ لغير الله (شركٌ أكبر): كالحلف بغير الله في اللَّفْظ فَقَطْ، لا ينعقد (أي: لا وفاء ولا كفَّارة فيه، وفيه التوبة إِلَى الله).

- إذا كان النـذر للـه تَعَالَـى فإنَّه ينعقد: فَإِمَّا أن يفـي أو يحنث فتجب عليه الكفَّارة.

- إذا كان لغيـر اللـه تَعَالَـى لا ينعقـد: فـلا وفـاء ولا كفَّـارة، وفيـه التوبـة (شـرك أكبـر).

بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ اَلنَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ ﴾ [الإنسان: ٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ».

* **الإفادات:**

بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ اَلنَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ

أتى الْمُصَنِّف بهذا الباب لتفسير النَّذر المَمنوع الَّذِي ينافي التوحيد، فإذا ثبت كون النذر عبادة؛ فصرفه لغيره شرك، هذِه قاعدة جليلة في توحيد العبادة، فأي فعل كان عبادة فصرفه لغير الله شرك.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ ﴾ [الإنسان: ٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

مناسبة الآيتين للباب: أنَّ النذر من الأسباب الَّتِي يدخل بها

الأبـرار الجَنَّـة، وهو عبـادةٌ، فيقتضـي أنَّ صرفه لغيـر الله شـركٌ، وكذلك تعليـق الشـيء بعلـم اللـه والجـزاء عليه.

وَفِـي اَلصَّحِيـحِ عَـنْ عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللـهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُـولَ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «مَـنْ نَـذَرَ أَنْ يُطِيـعَ اللـهَ فَلْيُطِعْـهُ، وَمَـنْ نَـذَرَ أَنْ يَعْصِـيَ اللـهَ فَـلَا يَعْصِهِ».

الفرق بين نذر الطاعة والمعصية ولغير الله:

- نـذر الطاعـة للـه: كالحلـف باللـه، ينعقـد فيـه الوفـاء أو الكفَّارة، ويجـب الوفـاء به.

- نـذر المعصية للـه: كالحلف بالله، ينعقد (فيه الوفـاء أو الكفارة)، ويُحـرَّم الوفاء به.

- النـذر لغيـر الله: كالحلـف بغير اللـه، لا ينعقد، وفيـه التوبة، وهو شرك أكبر.

- النـذر واليميـن أحكامهمـا متقاربـة، ولهـذا جمـع الفقهـاء بينهما فـي بـاب الأيمـان والنُّذور.

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

*** الإفادات:**

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

أرد الْمُصَنِّف تفسير الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إِلَّا الله وَالَّتِي تنافي التوحيد.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ» الكونيَّة والشرعية:

[١] الصِّدْق في الأخبار.

[٢] العدل في الأحكام.

«شَـرِّ مَا خَلَقَ» الشَّـرُّ لا يُنسـب إليه؛ لأنَّه خلق الشَّـرِّ لحكمةٍ، أقسـام المخلوقات:

(١) خيرٌ محضٌ؛ كالجنة، والرُّسل، والملائكة.

(٢) شـرٌّ محـضٌ؛ كالنار وإبليـس باعتبـار ذاتيهما، أمَّـا باعتبار حكة خلقهمـا فخيرٌ.

(٣) فيه شرٌّ وخيرٌ؛ كالإنسان، والجنِّ، والحيوان.

فوائد:

- فـي الحديث أنَّ الشـرع لا يبطـل أمرًا من أمـور الجاهليـة إِلَّا ذَكَرَ مـا هو خيـرٌ منه؛ مـن ذلـك أنَّهم فـي الجاهليَّـة كانـوا يسـتعيذون بالجنِّ، فأبدلها الشَّـرع بهـذه الكلمات.

- وَهـذِه الطريقـة السـليمة الَّتِـي ينبغي أن يكـون عليهـا الدَّاعية، أنَّه إذا سـدَّ عَلَـى النَّـاس بـاب الشَّـرِّ؛ وجـب عليـه أ، يفتـح لهم بـاب الخير، وَهـذَا لـه أمثلة كثيـرةٌ فـي الكتاب وَالسُّـنَّة.

بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وَقَـوْلُ اللـهِ تَعَالَـى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس: ١٠٦- ١٠٧] الآيـة.

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ [العنكبوت: ١٧] الآية.

وَقَوْلُـهُ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأحقاف: ٥- ٦] الآيَتيْـنِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

وَرَوَى اَلطَّبَرَانِـيُّ بِإِسْـنَادِهِ: أَنَّـهُ كَانَ فِـي زَمَـنِ اَلنَّبِـيِّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ مُنَافِـقٌ يُؤْذِي اَلْمُؤْمِنِيـنَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْـتَغِيثُ بِرَسُـولِ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ مِنْ هَـذَا اَلْمُنَافِقِ، فَقَـالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يُسْـتَغَاثُ بِـي، وَإِنَّمَا يُسْـتَغَاثُ بِاللهِ عَـزَّ وَجَلَّ».

❊ الإفادات:

بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

أراد الْمُصَنِّـف تفسـير الأعمـال الشِّـركيَّة مـن اسـتغاثةٍ ودعـاء غيـر

الله فيما لا يقدر عليه إِلَّا الله تَعَالَى، وَالَّتِي تُنافي التوحيد.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: -١٠٧] الآية.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] الآية.

أقسام الرّزق:

- عامٌّ: لكلِّ مخلوقٍ، وهو إِمَّا حلالٌ أو حرامٌ.

- خاصٌّ بالمؤمنين: وهو الإيمان، والتقوى، والعمل الصَّالح.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥-٦] الآيتين.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وَرَوَى اَلطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَافِقٌ يُؤْذِي اَلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا اَلْمُنَافِقِ، فَقَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ».

سبب كونه أضلَّ النَّاس:

[١] لأنَّه يدعو دون الله من لا يستجيب.

[٢] أنَّ المَدعوِّين غافلون عن دعائهم.

[٣] أنه كافرٌ بعبادتهم.

الْدُّعَاء نوعان:

- المقرون بالرهبة والرغبة والحب والتضرع، عبادة، صرفه لغير الله شرك، وهو نوعان:

- أن يكون قائمًا بأمر الله، وهو متضمن للْدُّعَاءِ بلسان الحال، يسمى دعاء العبادة.

- دعاء المسألة: طلب ما ينفع وطلب دفع ما يضر.

- ما لا يقع عبادة يجوز توجيهه للمخلوق.

الشكر يكون بـ:

- القلب: أن يعترف بقلبه أنَّ هذِه النعمة من الله.

- اللسان: أن يتحدث بها عَلَى وجه الثناء بها عَلَى الله والاعتراف.

- الجوارح: أن يستعمل هذِه النعمة في طاعة الله.

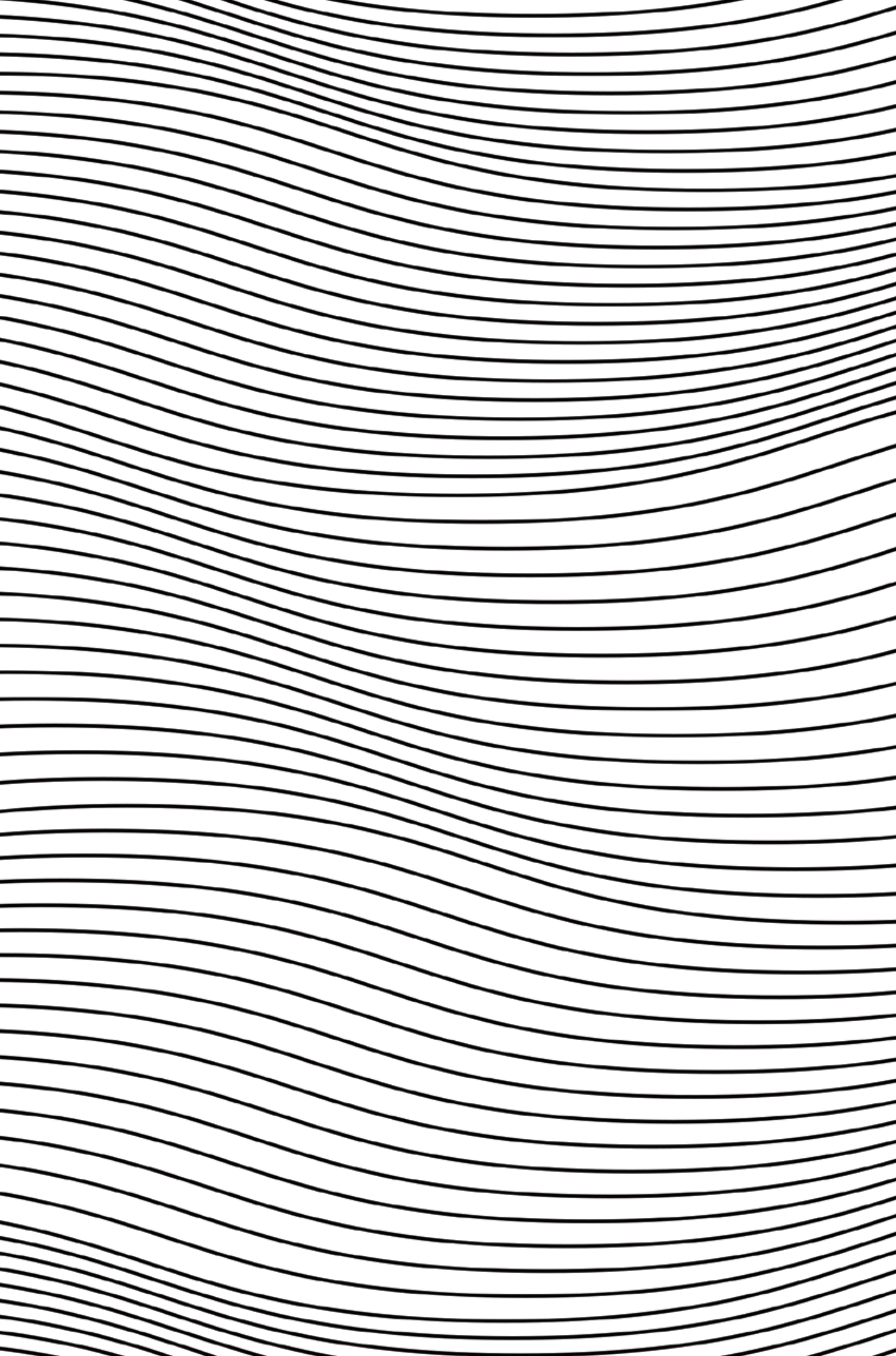

بَابُ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣] الآية.

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شُجَّ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهِمْ؟!» فَنَزَلَتْ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وَفِيهِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ اَلرُّكُوعِ فِي اَلرَّكْعَةِ اَلْأَخِيرَةِ مِنَ اَلْفَجْرِ: «اللهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا» بَعْدَمَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ اَلْحَمْدُ» فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَدْعُو: عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ»؛ فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [اَلشُّعَرَاء:١٤]، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ!» -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- «اِشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي

عَنْكُـمْ مِـنْ اللهِ شَـيْئًا، يَا عَبَّـاسُ بْنَ عَبْـدِ الْمُطَّلِـبِ! لَا أُغْنِي عَنْـكَ مِنْ اللهِ شَـيْئًا، يَـا صَفِيَّـةُ عَمَّـةَ رَسُـولِ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ! لَا أُغْنِـكَ مِنْ اللـهِ شَـيْئًا، وَيَـا فَاطِمَـةُ بِنْتَ مُحَمَّـدٍ! سَـلِينِي مِنْ مَالِـي مَا شِـئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْـكِ مِنْ اللهِ شَـيْئًا».

*** الإفادات:**

بَابُ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآية.

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لنفـي العبـادة عمَّن سـوى اللـه سـواءٌ كان نبيًّا أو صنمًـا أو غيـر ذلـك، فبيَّـن اللـه عجـز هـذِه الأصنـام، وأنَّهـا لا تصلح أن تكـون معبـودةً مـن أربعـة وجوه:

(١) أنها لا تخلق، ومن لا يخلق لا يستحقُّ أن يُعبد.

(٢) أنهـم مخلوقـون مـن العـدم، فهـم مفتقـرون إِلَى غيرهـم ابتداءً ودوامًا.

(٣) أنهم لا يستطيعون نصر الداعي لهم.

(٤) أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣] الآية.

أبطل الله عبادة ما سواه بأمورٍ:

١) أنهم ليس لهم ملكٌ.

٢) أنهم لا يسمعون.

٣) أننا لو افترضنا أَنَّهم يسمعون ما استجابوا؛ لأنهم لا يقدرون عَلَى ذلك.

٤) يوم القيامة يأتي الله بما كان يُعبد من دونه فتكفر بشرك من يشرك بها.

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شُجَّ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهِمْ؟!» فَنَزَلَتْ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وَفِيهِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ اَلرُّكُوعِ فِي اَلرَّكْعَةِ اَلْأَخِيرَةِ مِنَ اَلْفَجْرِ: «اللهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا» بَعْدَمَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ اَلْحَمْدُ» فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَدْعُو: عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ»؛ فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [اَلشُّعَرَاء: ١٤]، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ!» -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- «اِشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! لَا أُغْنِكَ مِنْ

اللـهِ شَـيْئًا، وَيَـا فَاطِمَـةُ بِنْتَ مُحَمَّـدٍ! سَـلِينِي مِنْ مَالِـي مَا شِـئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْـكِ مِنْ اللهِ شَـيْئًا».

المنهي عنه هو:

[١] لعـن الكُفَّـار عَلَـى وجـه التعييـن، أمَّـا لعنهـم عمومًا فـلا بأس بـه، ولا بأس مـن الْدُّعَاء عَلَـى الكافر بقولنـا: اللَّهُمَّ! أرح المسـلمين منه.

[٢] الْدُّعَـاء بالهـلاك لعمـوم الكفَّـار، فلـم يـدع صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ عليهـم، وقـدَّر اللـه بقائهـم.

بَابُ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ اَلْأَمْرَ فِي اَلسَّمَاءِ؛ ضَرَبَتِ اَلْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ» -وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ-، «فَيَسْمَعُ اَلْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا اَلْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ اَلسَّاحِرِ أَوْ اَلْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ اَلشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ اَلْكَلِمَةِ اَلَّتِي سُمِعَتْ مِنْ اَلسَّمَاءِ».

وَعَنْ اَلنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ؛ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ؛ أَخَذَتِ اَلسَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ» -أَوْ قَالَ: «رِعْدَةٌ»- «شَدِيدَةٌ خَوْفًا مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ اَلسَّمَوَاتِ؛ صَعِقُوا

وَخَـرُّوا لِلَّـهِ سُـجَّدًا، فَيَكُـونُ أَوَّلَ مَـنْ يَرْفَـعُ رَأْسَـهُ جِبْرِيـلُ عَلَيْهِ السَّـلَامُ، فَيُكَلِّمُـهُ اللـهُ مِنْ وَحَيِّـهِ بِمَا أَرَادَ، ثُـمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَـى اَلْمَلَائِكَـةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَـمَاءٍ، سَـأَلَهُ مَلَائِكَتُهَـا: مَـاذَا قَـالَ رَبُّنَا يَـا جِبْرِيـلُ؟ فَيَقُولُ: «قَـالَ اَلْحَقَّ، وَهُـوَ اَلْعَلِـيُّ اَلْكَبِيـرُ. فَيَقُولُـونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَـا قَالَ جِبْرِيـلُ، فَيَنْتَهِـي جِبْرِيلُ بِالْوَحْـيِ إِلَـى حَيْـثُ أَمَـرَهُ اللـهُ عَـزَّ وَجَلَّ».

❊ الإفادات:

بَابُ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾

أتـى الْمُصَنِّـف بـه لنفـي العبـادة عـن الملائكـة الكـرام، وَهـذَا من البراهيـن الدَّالَّـة عَلَـى أنه لا يسـتحق أحـدٌ أن يكون شـريكًا مـع الله؛ لأنَّ الملائكـة هـم أقـرب الخلـق إِلَـى الله، عـدا خـواص بنـي آدم، ومع ذلك فإنَّـه يحصـل لهم الفـزع عنـد سـماع كلام اللـه تَعَالَى.

يتضمَّـن الإيمـان بالملائكـة بأنهـم: عالـم غيبـيٌّ، خلقهـم اللـه تَعَالَـى مـن نور، يطيعـون اللـه ولا يعصونه، لهـم أرواحٌ وعقولٌ وأجسـاد وقلـوبٌ، نؤمـن بهـم وبما أخبرنـا الله مـن أعمالهم وصفاتهم وأسـمائهم والأخبـار الَّتِـي جـاءت عنهم.

وأهل السُّنَّة يثبتون لله:

[١] علو الذات.

[٢] علو الصفات.

[٣] علوّ القهر عَلَى جميع المخلوقات.

وَمِمَّا يُستفاد من الآية: أنَّ قول الله حق، والحقُّ في الكلام هو:

(١) الصِّدْق في الأخبار.

(٢) والعدل في الأحكام.

أدلة العلو في الذات إجمالًا خمسة:

الكتاب.

السُّنَّة.

الإجماع.

العقل.

الفطرة.

وَفِي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من فوائد ما يلي:

- إثبات القول لله تَعَالَى، وإثبات عظمة الله، ولا يصدر عن الله تَعَالَى إِلَّا الحق.

- إثبات الأجنحة والكلام والعقل للملائكة، وأنَّهم يخافون، ويخضعون لله.

- أنَّ الله يمكِّن هؤلاء الجن من الوصول إِلَى السماء فتنةً للنَّاسِ.

- كثرة الجنّ، وأجسامهم خفيفةٌ يطيرون طيرانًا.

- أنَّ الكُهَّان من أكذب النَّاس، ولهذا يضيفون إِلَى ما سمعوا كذباتٍ كثيرة.

- أنَّ الساحر يصوِّر للمسحور غير الواقع، فيجب الحذر منه.

- مراحل استراق السمع من الجن:

- قبل البعثة كان الاستراق بكثرةٍ.

- عندما بُعث النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنعوا من استراق السمع.

- بعد موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عادوا يسترقون السَّمع لكن بقلَّةٍ .

وَفي حديث اَلنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الفوائد ما يلي :

- إثبات الإرادة لله، وهي قسمان:

إرادةٌ شرعيَّةٌ.

إرادةٌ كونيَّةٌ.

- أنَّ المخلوقات وإن كانت جمادًا تحسُّ بعظمة الخالق.

- إثبات تعدُّد السَّموات، وأنَّ لكلِّ سماءٍ ملائكةً مُخصَّصين.

- فضيلة جبريل حيث أنَّه المعروف بأمانة الوحي، وأنَّه الأمين.

- إثبات العزة والجلال لله.

عَزَّ وَجَلَّ تتكوَّن من:

«عَزَّ»: العزَّة بمعنى الغلبة والقوَّة، وللعزيز ثلاث معانٍ:

- عزيزٌ ممتنعٌ أن يناله أحدٌ بسوءٌ.

- عزيزٌ ذو قدر لا يشاركه فيه أحدٌ.

- عزيزٌ غالبٌ وقاهرٌ.

«جَلَّ»: الجلال بمعنى العظمة الَّتِي ليس فوقها عظمةٌ.

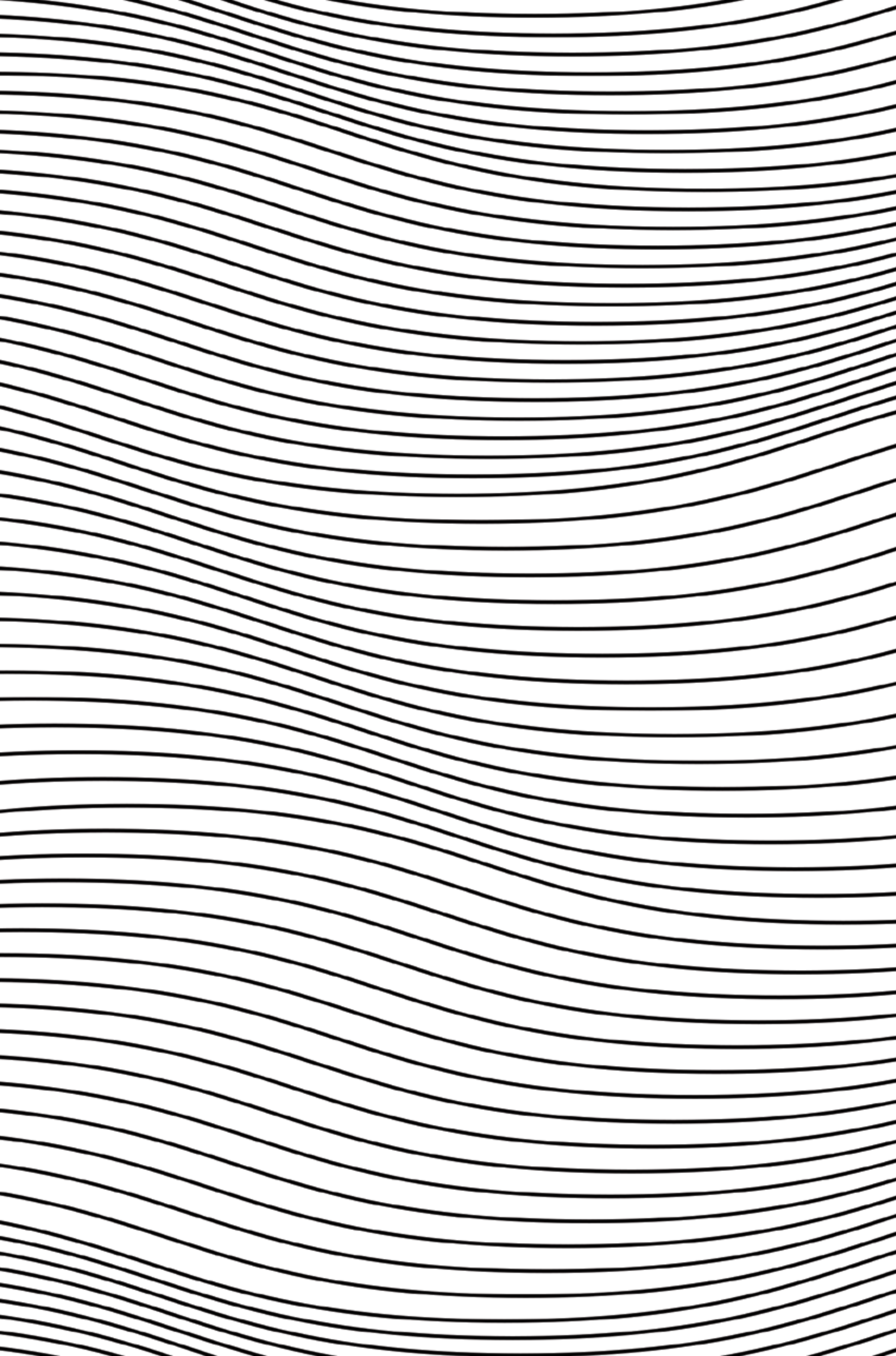

بَابُ الشَّفَاعَةِ

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢] الآيتين.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ» -لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلاً- «ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ».

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ.

وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ: «مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ؛ وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ». انْتَهَى كَلَامُهُ.

*** الإفادات:**

بَابُ الشَّفَاعَةِ

أتى به الْمُصَنِّف لإبطال ما يتعلَّق به الكُفَّار في آلهتهم من الشَّفاعة، فإنهم يعتقدون أنها تشفع عند الله، ولأنَّ الله كامل العلم والقدرة والسُّلطان، ليس كملوك الدُّنيا فهم بحاجةٍ إِلَى شفعاء لقصور عملهم وسلطانهم ونقص قدرتهم، فيساعدهم الشفعاء في ذلك، فيتجرَّأ عليهم الشُّفعاء، فيشفعون بدون استئذان.

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢] الآيتين.

ينتفي عن هذِه الأصنام كلُّ ما يتعلَّق به العابدون؛ فهي لا تملك شيئًا عَلَى سبيل الانفراد ولا المشاركة ولا الإعانة؛ لأنَّ من يعينك وإن كان غير شريك لك يكون له منَّةٌ عليك؛ فربما تحابيه في إعطائه ما يريد، فإذا انتفت هذِه الأمور الثَّلاثة؛ لم يبقَ إلَّا الشفاعة، وقد أبطلها الله، فلا تنفع شفاعة هؤلاء.

وَهذِه الآية وَالَّتِي تليها قَالَ عنها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «هي الآية الَّتِي تقطع عروق شجرة الشِّرْك من القلب».

أقسام الشفاعة -والشفاعة هي: التوسط للغير بجلب منفعةٍ أو دفع مضرَّة-:

- مثبتة: أثبتها الله تَعَالَى لنفسه، وتُطلب منه بشروطٍ:

الإذن بالشفاعة.

الرضا عن الشافع.

الرضا عن المشفوع له.

- منفية: هي الَّتِي نفاها القرآن، وهي الَّتِي تُطلب من غير الله

فيما لا يقدر عليه إِلَّا الله، وهي الَّتِي فيها الشِّرْك الأكبر.

- فيما يقدر عليه العبد: وَهذِه تصح بشرط أن يكون الشافع:

حيًّا.

قادرًا.

حاضرًا.

سببًا.

قَالَ أَبُو اَلْعَبَّاسِ: نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ اَلْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اَلشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّبُّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فَهَذِهِ اَلشَّفَاعَةُ اَلَّتِي يَظُنُّهَا اَلْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا اَلْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ» -لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلاً- «ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اِرْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ».

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَنْ أَسْعَدُ اَلنَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، فَتِلْكَ اَلشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ اَلْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ.

وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ اَلَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ اَلْإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ اَلْمَقَامَ

اَلْمَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ اَلَّتِي نَفَاهَا اَلْقُرْآنُ: «مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ؛ وَلِهَذَا أَثْبَتَ اَلشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ اَلْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ». اِنْتَهَى كَلَامُهُ.

والشفاعة:

- خاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشاركه فيها أحد:

- الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الَّذِي وعده الله.

- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب.

- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فتح أبواب الجَنَّة لأهلها.

- عامة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولجميع الأنبياء والملائكة والموحدين والأفراط -الأطفال الصغار-، وهي:

- الشفاعة في رفع درجات المؤمنين.

- الشفاعة فيمن استحقَّ النَّار من الموحدين أن لا يدخلها.

- الشفاعة فيمن دخل النَّار من الموحدين أن يخرج منها.

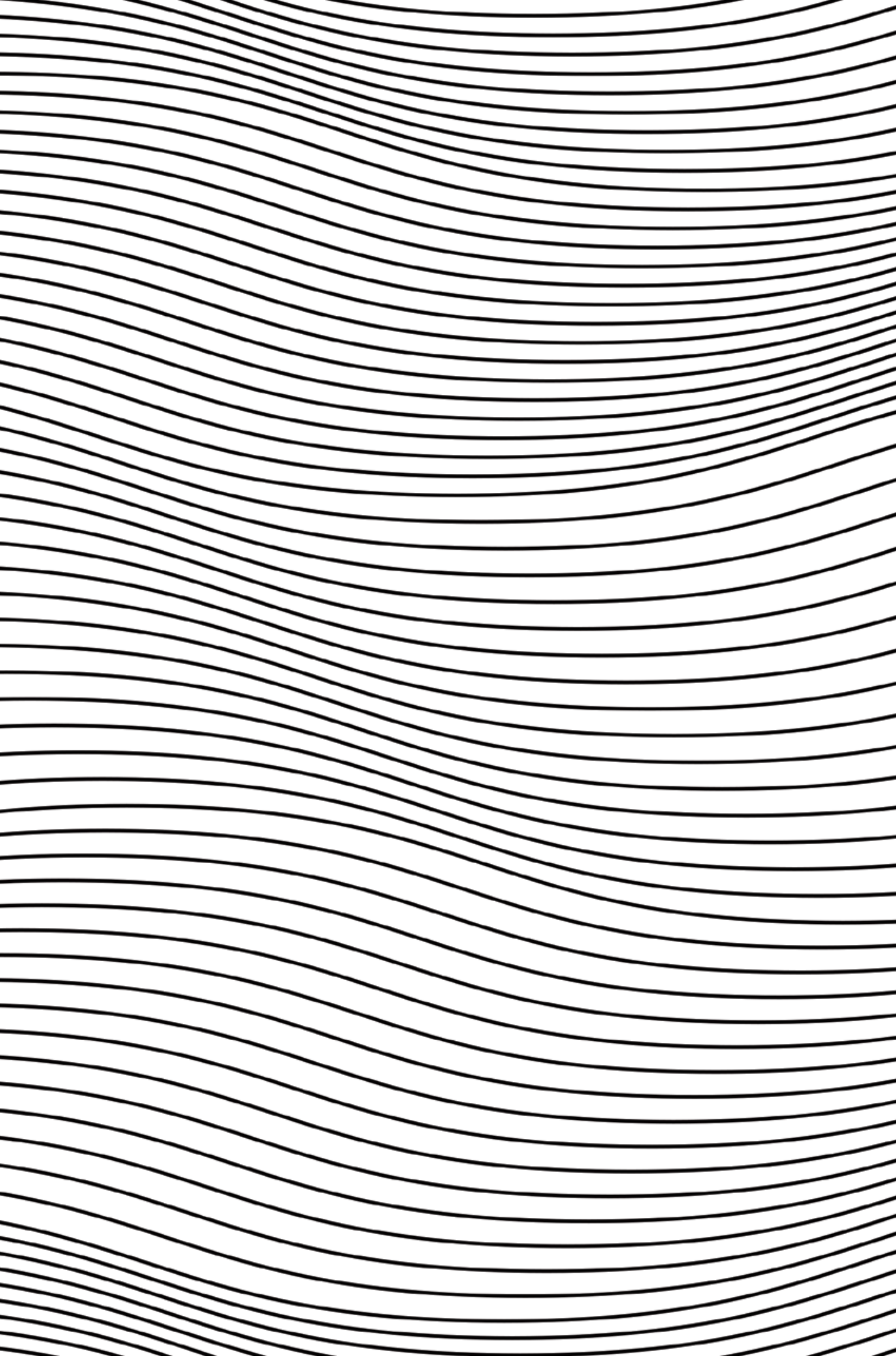

بَابُ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية.

فِي اَلصَّحِيحِ: عَنْ اِبْنِ اَلْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ اَلْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»، فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخَرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ! فَقَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

❋ الإفادات:

بَابُ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية

أتى به الْمُصَنِّف لإبطال هداية التَّوفيق عن سوى الله.

وفي حديث اِبْنِ اَلْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه:

من الفوائد ما يلي: أقسام الهداية:

- هداية التَّوفيق: لا يملكها إِلَّا الله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾.

- هداية الدلالة والإرشاد: يملكها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

*** إشكال:**

كيف يحبُّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا طالب وهو كافر؟ إمَّا أن يكون تقدير الكلام:

[١] من أحببتَ هدايته لا من أحببته (وَهذَا أقوى الأقوال).

[٢] أو من أحببتَ محبَّةً طبيعيَّةً، وهي جائزة.

[٣] أو من أحببته قبل النَّهي عن محبَّة الكفار.

- كيف نجمع بين هذ الحديث وقول العلماء: يُسنُّ تلقين المحتضر دون قول: قل؟

الجواب: أنَّ أبا طالبٍ كان كافرًا، فإذا قيل له: قل وأبى؛ فهو باقٍ عَلَى كفره، لم يضرَّه التَّلقين بهذا، بخلاف المسلم فهو عَلَى خطره؛ لأنَّه ربّما يضرُّه التَّلقين.

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء:١٧١].

وَفِي الصَّحِيحِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نُوح: ٢٣]. قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ».

وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ: «لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمْ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ».

وَعَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» أَخْرجَاهُ.

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ».

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، قَالَهَا ثَلَاثًا.

* **الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

بعد أن فسَّر التوحيد وأبطل عبادة ما سوى الله؛ ناسب أن يذكر أسباب الوقوع في الكفر حَتَّى نتجنبها، فأخطر الأسباب وأعظمها في وقوع بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، وأوَّل شرك حدث سببه شبهة الغلو فيهم.

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

وَفِي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فوائد منها:

أن القوم الَّذِينَ سبقوا نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فعلوا ثلاثة أشياء:

- «صَوَّرُوا»: تماثيلهم، وفيه خطر التصاوير والتماثيل.
- «عكفوا»: عَلَى قبورهم.
- «طال عليهم الأمد»: وبعُد عهد النُّبُوَّة، ففُقد العلم، فحصل الشِّرْك الأكبر، فعبدوها من دون الله، والأصل تعاهد العلم والعمل حَتَّى لا يقع مثل هذا.

أن مفاسد الغلو:

- أنـه تنزيـل للمَغلو فيـه فوق منزلتـه إن كان مدحًـا، وتحتها إن كان قدحًا.

- أنه يؤدي إِلَى عبادة هذَا المغلوِّ فيه.

- أنـه يصـدُّ عـن تعظيـم اللـه تَعَالَـى؛ لأَنَّ النَّفْس إِمَّـا أن تشـتغل بالباطـل أو بالحـقِّ.

- أنَّ المغلـوَّ فيـه إن كان موجـودًا؛ فإنَّه يزهو بنفسـه، وَهذِه مفسـدةٌ تفسـد المَغلـوَّ فيـه إن كانـت مدحًـا، وتوجـب العـداوة والبـلاء إن كانت قدحًا.

أن أقسام النَّاس في الصالحين:

- قسم يغلو مدحًا: كالنصارى مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- قسم يغلو قدحًا: كاليهود مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- قسم توسطوا: لا إفراط ولا تفريط، وهم أهل السُّنَّة.

وَعَـنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُـولَ اللـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَـا أَطْـرَتْ اَلنَّصَارَى اِبْـنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَـا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُـولُهُ» أَخْرِجَاهُ.

وَقَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللـهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «إِيَّاكُـمْ وَالْغُلُـوَّ فَإِنَّمَـا أَهْلَـكَ مَـنْ كَانَ قَبْلَكُـمْ اَلْغُلُـوُّ».

وَلِمُسْـلِمٍ عَـنْ اِبْنِ مَسْـعُودٍ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَالَ: «هَلَـكَ اَلْمُتَنَطِّعُـونَ»، قَالَهَا ثَلَاثًا.

الحقوق ثلاثة:

- حق لله لا يشرك فيه غيره، وهو ما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

- حق خاص بالرسل، وهو إعانتهم وتوقيرهم وتبجيلهم بما يستحقون.

- حق مشترك وهو الإيمان بالله ورسله.

بَابُ مَا جَاءَ مِنْ اَلتَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ

فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ اَلْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ اَلصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ اَلرَّجُلُ اَلصَّالِحُ -أَوْ اَلْعَبْدُ اَلصَّالِحُ-، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ اَلصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ اَلْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ».

فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ اَلْفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةَ اَلْقُبُورِ، وَفِتْنَةَ اَلتَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اِغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا فَقَالَ -وَهُوَ كَذَلِكَ-: «لَعْنَةُ اللهُ عَلَى اَلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ اَلنَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ اِتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اِتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا

ٱلْقُبُـورَ مَسَـاجِدَ؛ إِنِّـي أَنْهَاكُمْ عَـنْ ذَلِكَ».

فَقَـدْ نَهَـى عَنْهُ فِـي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُـمَّ إِنَّهُ لَعَـنَ - وَهُوَ فِي ٱلسِّـيَاقِ - مَنْ فَعَلَـهُ، وَالصَّـلَاةُ عِنْدَهَا مِـنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَـمْ يُبْنَ مَسْـجِدٌ، وَهُوَ مَعْنَـى قَوْلِهِ: «خَشِـيَ أَنْ يُتَّخَـذَ مَسْـجِدًا»؛ فَـإِنَّ ٱلصَّحَابَـةَ لَـمْ يَكُونُـوا لِيَبْنُـوا حَـوْلَ قَبْرِهِ مَسْـجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِـعٍ قُصِـدَتِ ٱلصَّـلَاةُ فِيـهِ، فَقَدِ ٱتُّخِـذَ مَسْـجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِـعٍ يُصَلَّـى فِيـهِ، يُسَـمَّى مَسْـجِدًا، كَمَـا قَالَ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «جُعِلَـتْ لِـيَ ٱلْأَرْضُ مَسْـجِدًا وَطَهُورًا».

وَلِأَحْمَـدَ بِسَـنَدٍ جَيِّدٍ عَـنْ ٱبْنِ مَسْـعُودٍ رَضِيَ اللـهُ عَنْـهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِـنْ شِـرَارِ ٱلنَّـاسِ مَـنْ تُدْرِكُهُـمْ ٱلسَّـاعَةُ وَهُـمْ أَحْيَـاءٌ، وَٱلَّذِيـنَ يَتَّخِـذُونَ ٱلْقُبُـورَ مَسَـاجِدَ» وَرَوَاهُ أَبُـو حَاتِـمٍ فِـي صَحِيحِهِ.

❊ الإفادات:

بَابُ مَا جَاءَ مِنْ ٱلتَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

جـاء الْمُصَنِّـف بهـذا البـاب ليبيـن لـك غربـة الديـن وتـرك النَّـاس للتوحيـد، ومـا جاء مـن النَّهَي عن عبـادة اللـه تَعَالَى عند قبـور الصَّالحين حَتَّـى لا تكـون وسيلة إِلَـى الشِّـرْك بالله، فمـن أسـباب وقـوع الشِّـرْك: التَّماثيـل والتَّصاويـر، واتِّخـاذ القبور مسـاجد.

وفي حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الفوائد:

أن الأصـل فـي القبور: أن تكون خـارج البنيان حَتَّـى لا تكون ذريعة

إِلَـى الشِّـرْك، والقبور أشـد فتنةً من التماثيـل، وذلك لأمور:

- القبور موجودة في كلِّ مكانٍ بخلاف التماثيل.

- عنـد القبـر تحصـل أشـياء لا تحصـل عنـد مـكانٍ آخـر، مثـل: الخـوف.

وَلَهُمَـا عَنْهَـا، قَالَـتْ: لَمَّـا نَزَلَ بِرَسُـولِ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ طَفِـقَ يَطْـرَحُ خَمِيصَـةً لَـهُ عَلَى وَجْهِـهِ، فَـإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَـفَهَا فَقَـالَ -وَهُوَ كَذَلِـكَ-: «لَعْنَـةُ اللـهُ عَلَـى اَلْيَهُـودِ وَالنَّصَـارَى؛ اِتَّخَـذُوا قُبُـورَ أَنْبِيَائِهِـمْ مَسَـاجِدَ». يُحَـذِّرُ مَـا صَنَعُـوا، وَلَوْلَا ذَلِـكَ؛ أُبْـرِزَ قَبْرُهُ، غَيْـرَ أَنَّهُ خَشِـيَ أَنْ يُتَّخَـذَ مَسْـجِدًا. أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْـلِمٍ عَـنْ جُنْـدُبِ بْـنِ عَبْـدِ اللهِ قَـالَ: سَـمِعْتُ اَلنَّبِيَّ صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَبْـلَ أَنْ يَمُـوتَ بِخَمْـسٍ وَهُـوَ يَقُـولُ: «إِنِّي أَبْـرَأُ إِلَى اللـهِ أَنْ يَكُـونَ لِـي مِنْكُمْ خَلِيـلٌ، فَإِنَّ اللـهَ قَدْ اِتَّخَذَنِـي خَلِيلاً، كَمَـا اِتَّخَـذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيـلاً، وَلَـوْ كُنْـتُ مُتَّخِذًا مِـنْ أُمَّتِي خَلِيـلاً؛ لَاِتَّخَـذْتُ أَبَا بَكْـرٍ خَلِيلاً، أَلَا وَإِنَّ مَـنْ كَانَ قَبْلَكُـمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُـورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَـاجِدَ، أَلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا اَلْقُبُـورَ مَسَـاجِدَ؛ إِنِّـي أَنْهَاكُمْ عَـنْ ذَلِكَ».

فَقَـدْ نَهَـى عَنْهُ فِـي آخِرِ حَيَاتِـهِ، ثُمَّ إِنَّـهُ لَعَنَ -وَهُـوَ فِي اَلسِّـيَاقِ- مَنْ فَعَلَـهُ، وَالصَّـلَاةُ عِنْدَهَا مِـنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَـمْ يُبْنَ مَسْـجِدٌ، وَهُوَ مَعْنَـى قَوْلِهِ: «خَشِـيَ أَنْ يُتَّخَـذَ مَسْـجِدًا»؛ فَـإِنَّ اَلصَّحَابَـةَ لَـمْ يَكُونُـوا لِيَبْنُـوا حَـوْلَ قَبْرِهِ مَسْـجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِـعٍ قُصِـدَتِ اَلصَّـلَاةُ فِيـهِ، فَقَدِ اتُّخِـذَ مَسْـجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِـعٍ يُصَلَّـى فِيـهِ، يُسَـمَّى مَسْجِدًا، كَمَـا قَالَ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ:

«جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا».

كيف نرد عَلَى من ادعى أن قبر النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخل المسجد؟

ردٌّ مجملٌ: بأنَّ هذَا من المتشابه، والواجب الأخذ بالمُحكم من الكتاب وَالسُّنَّة، وأنت من الَّذِينَ يتبعون المتشابه ويتركون المُحكَم فلا نسمع لك أبدًا.

(ب) ردٌّ مُفصَّلٌ:

(١) أنَّ المسجد لم يُبن عَلَى القبر، بل بُني المسجد في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُدفن في المسجد، بل دُفن في بيته وكان خارج المسجد.

(٣) إدخال الحجرات إِلَى المسجد ليس باتّفاق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل بعد أن انقرض أكثرهم، وخالف بعض من بقي، كما خالف سعيد بن المسيِّب.

(٤) القبر ليس في المسجد بل في حجرةٍ مُستقلَّةٍ، وليس المسجد مَبنيًّا عليه، بل القبر محفوظٌ بثلاثة جدران، وجُعل الجدار في زاوية مُنحرفةٍ عن القبلة حَتَّى لا يستقبله المصلي.

(٥) المسجد النبوي له مزيَّةٌ في الصَّلَاة وشدِّ الرَّحل وغيره.

تنبيه: الخُلَّة أعظم أنواع المحبَّة وأعلاها، ولم يثبتها الله عَزَّ وَجَلَّ فيما نعلم إِلَّا لاثنين من خلقه، وهما إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبهذا تعرف الجهل العظيم في قول العامَّة: إنَّ إبراهيم خليل الله، ومحمدًا حبيب الله، وَهذَا تنقُّصٌ في حقِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنهم جعلوا مرتبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون مرتبة إبراهيم، ولم يفرِّقوا بينه وبين غيره من النَّاس؛ فإنَّ الله يحبُّ المحسنين مثلًا، فمن يصفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّه حبيب الله، فقد أخطأ.

وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ اَلنَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ اَلسَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَاَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ» وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ.

في معنى اتخاذ القبور مساجد:

- بناء المسجد عليها.
- اتخاذها مكانًا للصَّلَاةِ، تقصد فيصلى فيها.

خلاصة الباب: يجب البعد عن الشِّرْك ووسائله، ويغلَّظ عَلَى من عبد الله عند قبر رجلٍ صالحٍ، ويشمل الصَّلَاة وغيرها، فمن زعم أنَّ الصدقة عند هذَا القبر أفضل من غيره؛ فهو شبيهٌ بمن اتَّخذه مسجدًا.

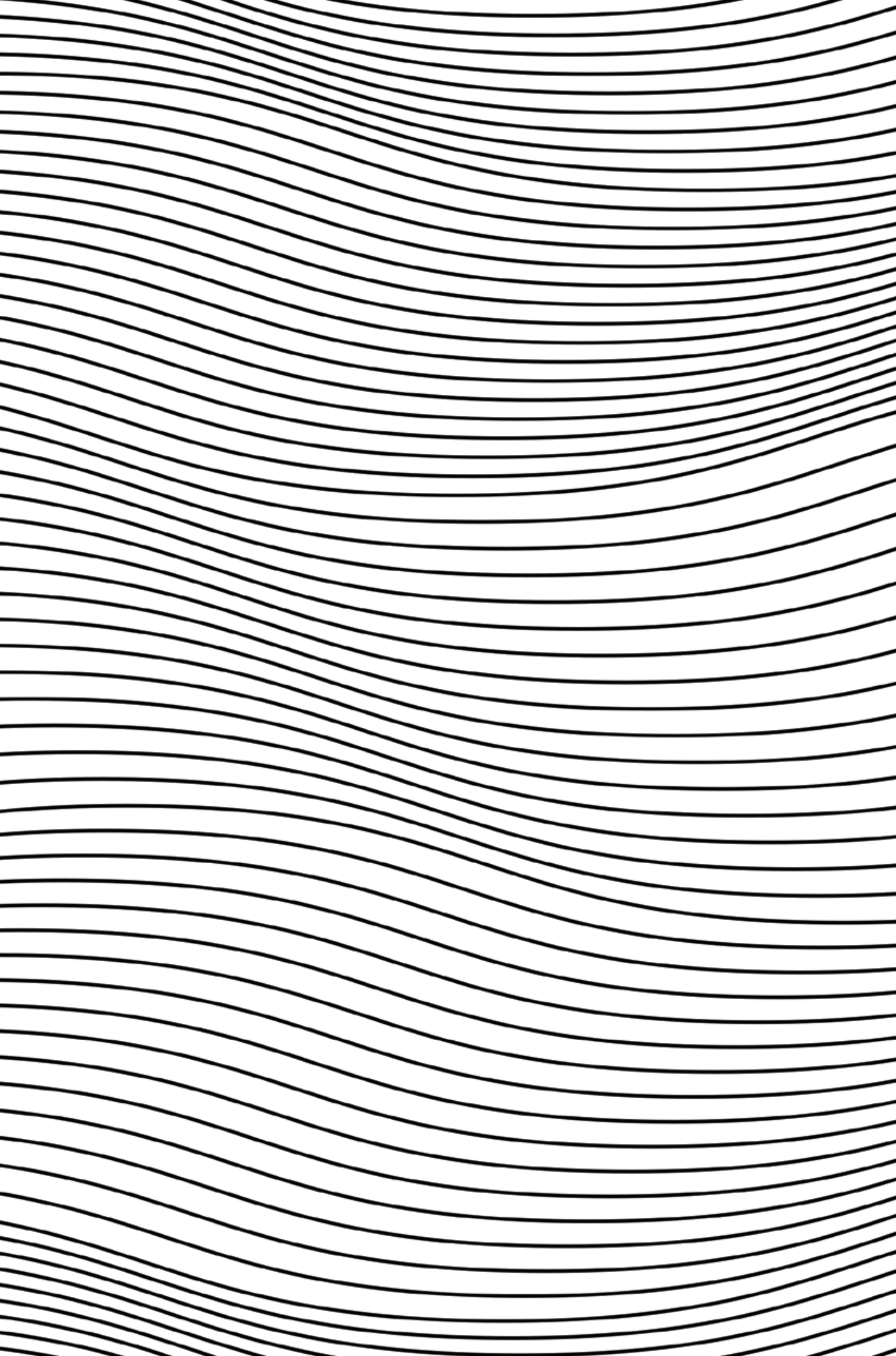

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اَلْغُلُوَّ في قُبُورِ اَلصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ

رَوَى مَالِكٌ فِي اَلْمُوَطَّأ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اِشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمْ اَلسَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ».

وَكَذَا قَالَ أَبُو اَلْجَوْزَاءِ، عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ يَلُتُّ اَلسَّوِيقَ لِلْحَاجِّ».

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ اَلْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا اَلْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» رَوَاهُ أَهْلُ اَلسُّنَنِ.

*** الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اَلْغُلُوَّ فِي قُبُورِ اَلصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ

هـذَا السبب الثَّالِث لحدوث الشِّرْك، فيؤول الأمر بالغالين إِلَى

أن يعبدوا هـذه القبور أو أصحابها، والغلوّ مجاوزة الحدِّ مدحًا أو ذمًّا.

أقسام النَّاس تجاه القبور طرفان ووسط:

- قسمٌ غلا فيها بالعبادة وبناء القِبب.

- وقسمٌ فرَّط فيما يجب لها من الاحترام بالجلوس عليها ونبشها.

- والحقُّ الوسط بينهم: بأن تُحفظ حرمتها ولا يُغلى فيها حَتَّى تُعبد من دون الله.

رَوَى مَالِكٌ فِي اَلْمُوَطَّأِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اِشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمْ اَلسَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ».

وَكَذَا قَالَ أَبُو اَلْجَوْزَاءِ، عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ يَلُتُّ اَلسَّوِيقَ لِلْحَاجِّ».

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ اَلْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا اَلْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» رَوَاهُ أَهْلُ اَلسُّنَنِ.

هل استجيب لدعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن لا يُجعل قبره

وثنًـا يُعبـد، أم اقتضـت حكمـة اللـه غيـر ذلك؟

قَـالَ ابـن القيم رَحِمَـهُ اللَّهُ: إنَّ الله اسـتجاب لـه، فلم يُذكـر أنَّ قبره جُعـل وثنًا، بـل حُميَ بثلاثـة جدران:

وأحاطَه بثلاثـــــة الجُدران　　فأجاب ربُّ العالمين دعاءَه

صحيـحٌ أنـه يوجـد أُنـاس يغلـون فيـه، ولكـن لـم يصلـوا إِلَـى حدٍّ جعـل قبـره وثنًا.

أقسام زيارة القبور:

[١] شـرعيَّة: لا يَشـدُّ لهـا الرَّحـل، وينـوي بهـا تذكُّـر الـدَّار الآخرة والدُّعـاء لـه وللأموات.

[٢] فإن نوى دعاء الأموات زيارةٌ شركيَّةٌ.

[٣] وإن نوى دعاء الله عند الأموات فزيارةٌ بدعيَّةٌ.

مسـألة: المـرأة إذا ذهبـت للرَّوضـة فـي المسـجد النبـوي لتصلِّـي فيهـا، فالقبـر قريـبٌ منهـا فتقـف وتُسـلِّم، ولا مانع فيـه، والأحسـن البُعد عـن الزِّحـام ومُخالطة الرِّجـال، ولئلَّا يظنّ مـن يشـاهدها أنَّ المرأة يجوز لهـا قصـد الزيارة.

للقبور حقوق من وجهين:

لا نهينها ولا نجلس عليها.

لا نغلو فيها فنتجاوز الحد.

التضعيف في زوَّارات:

يحتمل كثرة الفعل.

يحتمل كثرة الفاعلين.

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنَابَ اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى اَلشِّرْكِ.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] الآية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي، عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ، تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ اَلْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ، وَقَالَ أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ لَيَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ». رَوَاهُ فِي اَلْمُخْتَارَةِ.

* **الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنَابَ اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى اَلشِّرْكِ.

جاء به الْمُصَنِّف ليبيِّن أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل مانعًا يمنع من يقرب حول التوحيد حمايةً مُحكمةً، ولم يدع الأبواب مفتوحةً يلج إليها من شاء، ولكنَّه سدَّ كلَّ طريقٍ يوصل إِلَى الشِّرْك.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] الآية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي، عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ، تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي:

(١) بشرٌ من جنسكم، ولكن تميَّز عليكم بالوحي.

(٢) وفي قراءةٍ: «مِنْ أَنْفَسِكُمْ» بفتح الفاء، أي: أشرفكم وأتقاكم.

«بُيُوتَكُمْ قُبُورًا» أي:

[١] لا تدعوا الصَّلَاة فيها.

[٢] ولا تَدفِنوا فيها.

وَعَـنْ عَلِـيِّ بْـنِ اَلْحُسَـيْنِ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا: أَنَّـهُ رَأَى رَجُـلاً يَجِيءُ إِلَـى فُرْجَـةٍ كَانَـتْ عِنْـدَ قَبْـرِ اَلنَّبِـيِّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، فَيَدْخُـلُ فِيهَا فَيَدْعُـو، فَنَهَـاهُ، وَقَـالَ أَلَا أُحَدِّثُكُـمْ حَدِيثًا سَـمِعْتُهُ مِـنْ أَبِي عَـنْ جَدِّي عَنْ رَسُـولِ اللـهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْـرِي عِيـدًا، وَلَا بُيُوتَكُـمْ قُبُـورًا، وَصَلُّوا عَلَـيَّ فَإِنَّ تَسْـلِيمَكُمْ لَيَبْلُغُنِـي أَيْنَ كُنْتُـمْ». رَوَاهُ فِي اَلْمُخْتَارَةِ.

«أَيْـنَ كُنْتُـمْ» المـراد: صلُّوا عليَّ فـي أيِّ مكانٍ كنتـم، ولا حاجة إِلَى أن تأتـوا إِلَـى القبر وتسـلِّموا عليَّ وتصلُّـوا عليَّ عنده.

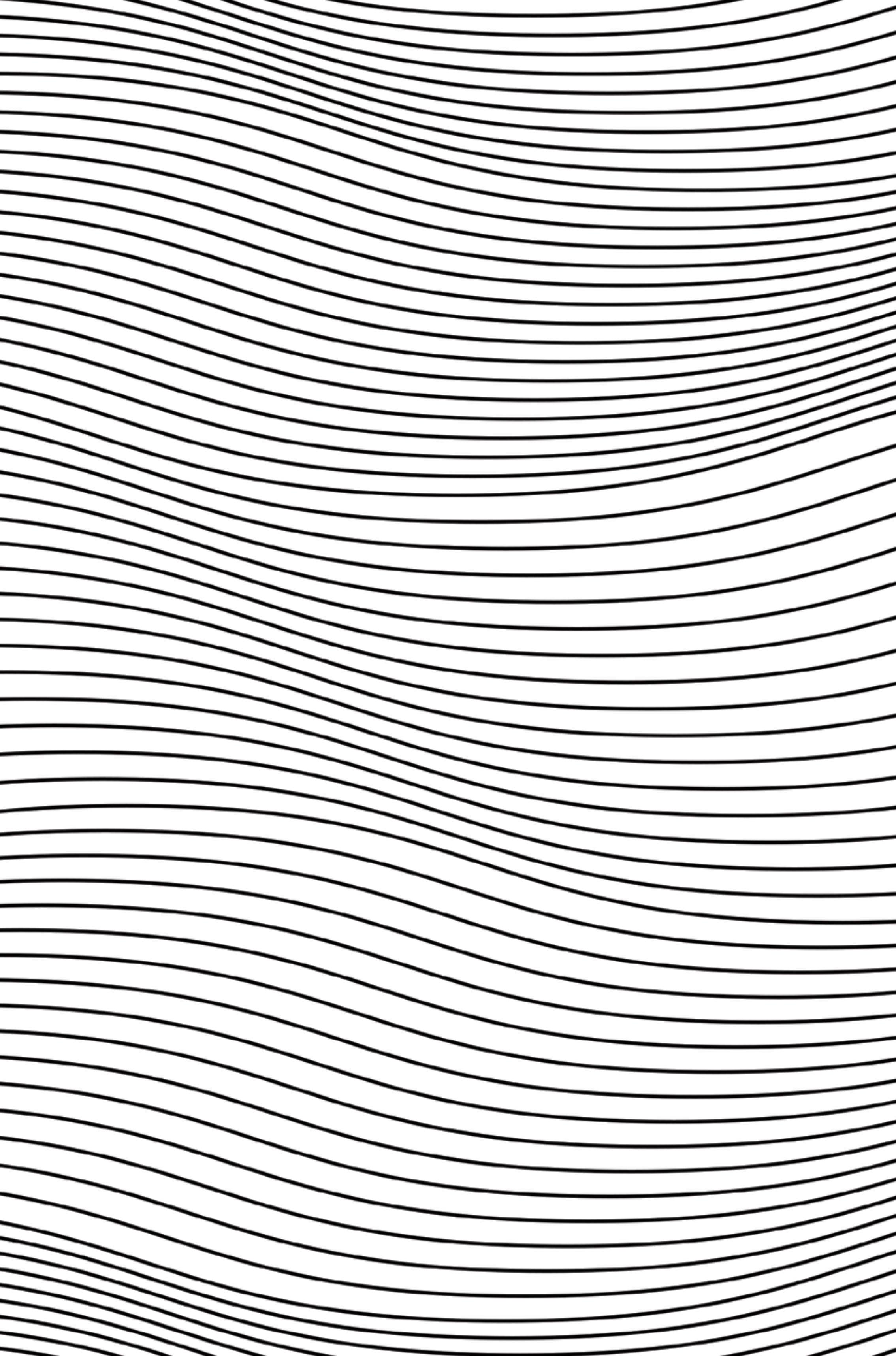

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة: ٦٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟ ». أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ، وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا

أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُّوا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اِجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: اَلْأَئِمَّةَ اَلْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ اَلسَّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ اَلسَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي اَلْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى اَلْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

❋ الإفادات:

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ يَعْبُدُ اَلْأَوْثَانَ

جاء به الْمُصَنِّف لدحض حجَّة من يقول: إنَّ الشِّرْك لا يقع في هذه الأُمَّة؛ لأنَّ الأُمَّة معصومة منه، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الشَّيْطَانَ أَيِسَ أنْ يعبده المصلون في جزيرة العرب».

والجواب لشبهتهم مجملٌ: أنَّ هذَا من اتِّباع المتشابه وترك المحكم.

ومُفصَّلٌ:

[١] الإخبار بيأسه لا يدلُّ عَلَى عدم وقوعه.

[٢] أيس من المصلين ولم ييأس من غير المصلين، والمصلي هو الموحِّد.

[٣] هذَا الفهم يخالف كثيرًا من نصوص الكتاب وَالسُّنَّة.

[٤] الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قاتلوا المرتدين في الجزيرة لأجل شركهم.

[٥] الواقع يشهد عَلَى خلاف هذَا، فترى الذَّبح لغير الله تَعَالَى في الجزيرة مثلًا.

[٦] أنَّ هذَا ما وقع في قلب الشيطان، وهو لم يترك العمل عَلَى إغواء بني آدم.

[٧] أنَّ هذَا وقع عندما كثرت الفتوحات ودخل النَّاس في دين الله أفواجا.

[٨] أنَّ العلماء يذكرون أشياء يرتدُّ بها الرجل ولو كان في الجزيرة.

من ادَّعى أنَّ مسيلمة نبيٌّ فقد كفر، ولم تنفعه الشهادة، فكيف بمن يرفع التِّيجانيّ وغيره إِلَى مرتبة جبَّار السَّموات، ألا يكفر بذلك؟! هذَا من أعجب العجاب!!

- ما هو وجه إيراد المُؤَلِّف الآيات للباب، فليس فيها دليل عَلَى ما أراد؟

- لا يتبيّن المراد إِلَّا بحديث أبي سعيدٍ، فتكون الآيات مطابقةً

تمامًا للترجمة.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

من فوائد الآية:

(١) عجيبٌ أن يُعطى الإنسان نصيبًا من الكتاب ثُمَّ يؤمن بالجبت والطاغوت.

(٢) أنَّ العلم لا يعصم صاحبه من المعصية.

(٣) وجوب إنكار الجبت والطاغوت، فلا يجوز إقرار الجبت والطاغوت.

(٤) أنَّ من هذِه الأُمَّة من يؤمن بالجبت والطاغوت كما وُجد في بني إسرائيل.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

من فوائد الآية:

١) تقرير الخصم والاحتجاج عليه بما لا يستطيع إنكاره، فإنَّ اليهود يعرفون بأنَّ فيهم قومًا غضب الله عليهم ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير، فإذا كانوا يُقرّون بذلك وهم يستهزئون بالمسلمين، فنقول لهم: الَّذِينَ حلَّت بهم العقوبة أحقُّ بالاستهزاء.

٢) اختلاف منازل النَّاس عند الله بزيادة الإيمان ونقصه وما

يترتب عليه.

٣) سوء حال اليهود حيث حلَّت بهم عقوبة اللعن والمسخ وعبد الطاغوت.

٤) إثبات أفعال الله الاختياريَّة من اللّعن والغضب والقدرة، وأنَّ يفعل ما يشاء.

٥) قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ لمْ يجعَلْ لِمَسخٍ نسْلًا ولا عَقَبًا»، فالقردة كانت موجودة قبل.

٦) أنَّ العقوبات من جنس العمل، فاليهود فعلوا فعلًا ظاهره الإباحة وهو مُحرَّمٌ.

٧) أنَّ اليهود صاروا يعبدون الطاغوت، وَلَا شَكَّ أنهم إِلَى الآن يعبدونه.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

من فوائد الآية:

١- ما في قصة أصحاب الكهف من الآيات الدَّالَّة عَلَى كمال قدرة الله.

٢- من أسباب بناء المساجد عَلَى القبور الغلوُّ في أصحاب القبور.

٣- الغلو في القبور وإن قل قد يؤدي إِلَى ما هو أكبر منه.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ اَلْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! اَلْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟». أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ اَلْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ اَلْكَنْزَيْنِ اَلْأَحْمَرَ، وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اِجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: اَلْأَئِمَّةَ اَلْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ اَلسَّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ اَلسَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي اَلْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى اَلْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

«حَـذْوَ اَلْقُـذَّةِ بِالْقُـذَّةِ» القُذَّة هي ريشـة السـهم، وفيه كناية عن شـدَّة المشابهة.

[١] أن بعـض هـذِه الأُمَّـة يعبـد الأوثـان؛ لأنَّـه من سَـنن مـن قبلنا، وأننا سـنتبعهم.

[٢] ينبغـي معرفـة مـا كان عليـه مـن قبلنـا مِمَّـا يجـب الحـذر منـه لنحـذره، وغالـب ذلـك موجـودٌ فـي الكتـاب وَالسُّـنَّة، فـلا نتابعهـم فـي معصيـة الله.

[٣] اسـتعظام الصحابـة لأمـر اتباعنـا سَـنن مـن قبلنا بعـد أن جاءنا الهدى.

[٤] كلمـا طـال العهـد بين الإنسـان وبين الرِّسـالة؛ فإنه يكـون أبعد مـن الحق.

«وإنِّي سـألتُ ربِّـي لأُمَّتِي» سـأل النَّبِيُّ صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ ثلاثة أمـور، أُعطي اثنتين ومُنـع الثالثة:

(١) ألَّا يهلـك الأُمَّـة بسـنةٍ عامَّـةٍ، فلا يسـلِّط عَلَـى كلِّ الأُمَّة القحط والجدب.

(٢) أنَّ الكفار لا يسيطرون عَلَى الأُمَّة الإسلامية كلها.

(٣) ألَّا تقتتـل الأُمَّـة فيمـا بينها، وَهـذِه الأخيرة مُنع النَّبِـيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ منها.

«الأَئِمَّـة المُضِلِّيـن»: حصـر خوفـه فـي الأئمـة المضليـن، والإمـام

يكون في:

١- الخير: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

٢- الشر: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

بَابُ مَا جَاءَ فِي اَلسِّحْرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اَلْجِبْتُ: اَلسِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: اَلشَّيْطَانُ».

وَقَالَ جَابِرٌ: «اَلطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ اَلشَّيْطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اِجْتَنِبُوا اَلسَّبعَ اَلْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «اَلشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ اَلنَّفْسِ اَلَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ اَلرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اَلْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ اَلزَّحْفِ، وَقَذْفُ اَلْمُحْصَنَاتِ اَلْغَافِلَاتِ اَلْمُؤْمِنَاتِ».

وَعَنْ جُنْدَبٍ مَرْفُوعًا: «حَدُّ اَلسَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ». رَوَاهُ الترمذي وَقَالَ: «اَلصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ».

وَفِي «صَحِيحِ اَلْبُخَارِيِّ» عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ اُقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ»، قَالَ: «فَقَتَلْنَا

ثَلَاثَ سَوَاحِرَ».

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا؛ فَقُتِلَتْ».

وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

*** الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

مناسبة هذَا الباب للأبواب الَّتِي قبله أن الشيخ في الأبواب السابقة ذَكَرَ أنواعًا من الشِّرْك، والسحر نوعًا منها، فأتى به الْمُصَنِّف لأن السحر لا يتأتى إِلَّا عن طريق الشِّرْك، فهو من أعظم الوسائل لدعوة النَّاس إِلَى الكفر، فالشياطين لا تخدم الإنسان إِلَّا لمصلحة، وهي إغواء بني آدم وإدخالهم في الشِّرْك والمعاصي.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ».

وَقَالَ جَابِرٌ: «الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فِي كُلِّ

حَـيٍّ وَاحِدٌ».

هل ينتفي الخلاق -النصيب- بالكليَّة أم ينتفي بعضه؟

- القـول اَلْأَوَّل: آيـات الوعيـد تُمَـرُّ كمـا جاءت، ولا يُحـرص عَلَى جمعهـا مـع آيـات الوعـد بالمغفـرة حَتَّـى لا يقلِّـل مـن شـأنها؛ لقولـه: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩]؛ لأنَّ اللـه سـاقها مسـاق التخويـف والترهيـب مـن هـذَا الفعل.

- القـول الْثَّانِـي: تُضَـمُّ نصـوص الوعيـد إِلَـى نصـوص الوعـد، وينتفـي النَّصيـب عَلَـى تفصيـل:

- ينتفي كله: إذا كان السحر باستعمال الشياطين.

- ينتفي بعضه: إذا كان باستعمال أدويةٍ وعقاقير.

السحر نوعان:

- إِمَّا أن يكون سحرًا حقيقيًّا، ويؤثر في بدن المسحور.

- وَإِمَّـا أن يكـون سـحرًا تخييليًّـا، ليـس لـه حقيقة، فالسـاحر يخيل للنَّـاسِ شـيئًا وهو ليـس حقيقة.

وَعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «اِجْتَنِبُوا اَلسَّـبْعَ اَلْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُـولَ اللـهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَـالَ: «اَلشِّـرْكُ بِاللـهِ، وَالسِّـحْرُ، وَقَتْـلُ اَلنَّفْـسِ اَلَّتِي حَـرَّمَ اللـهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ اَلرِّبَـا، وَأَكْلُ مَـالِ اَلْيَتِيـمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ اَلزَّحْفِ، وَقَـذْفُ اَلْمُحْصَنَاتِ اَلْغَافِـلَاتِ اَلْمُؤْمِنَاتِ».

«وَقَتْلُ اَلنَّفْسِ اَلَّتِي حَرَّمَ اللهُ» وهي أربع:

- المؤمن: لإيمانه.

- الذِّمِّي: الَّذِي بيننا وبينه ذمَّةٌ مع بذل الجزية.

- المعاهد: بيننا وبينه عهدٌ أن لا يحاربنا ولا نحاربه.

- المستأمن: بيننا وبينه أمانٌ لتجارةٍ أو ليفهم الإسلام.

«إِلَّا بِالْحَقِّ» وهي ثلاث:

- النَّفْس بِالنَّفْسِ.

- الثَّيِّب الزَّاني.

- التَّارك لدينه المفارق للجماعة.

«وَأَكْلُ اَلرِّبَا» معناه أخذه، سواء استعمله في الأكل أو الفرش أو غير ذلك، وَالرِّبَا هو تفاضلٌ في عقدٍ بين أشياء يجب فيها التساوي، ونسأٌ في عقدٍ بين أشياء يجب فيها التقابض، وينقسم إِلَى قسمين:

[١] ربا فضلٍ -زيادة-.

[٢] ربا نسيئةٍ -تأخير-.

وَالتَّوَلِّي يجوز في ثلاثة مواضع:

﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ كمن ينصرف ليصلح من شأنه ويهيئ الأسلحة، أو ينحرف ليأتي من جهةٍ أخرى.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ ينضمُّ مع طائفةٍ أخرى لضرورة، بشرط ألا يكون عَلَى الجيش ضرر.

إذا كان الكفَّار أكثر من مثلي المسلمين: فيجوز الفرار حِيْنَئِذٍ.

وَعَـنْ جُنْـدَبٍ مَرْفُوعًـا: «حَـدُّ اَلسَّـاحِرِ ضَرْبَـةٌ بِالسَّـيْفِ». رَوَاهُ الترمـذي وَقَـالَ: «اَلصَّحِيـحُ أَنَّـهُ مَوْقُـوفٌ».

وَفِـي «صَحِيـحِ اَلْبُخَـارِيِّ» عَـنْ بَجَالَةَ بْـنِ عَبَدَةَ قَـالَ: كَتَـبَ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّـابِ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُ: «أَنَّ اُقْتُلُوا كُلَّ سَـاحِرٍ وَسَـاحِرَةٍ»، قَـالَ: «فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَـوَاحِرَ».

وَصَـحَّ عَـنْ حَفْصَةَ رَضِـيَ اللـهُ عَنْهَا: «أَنَّهَـا أَمَـرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَـةٍ لَهَا سَـحَرَتْهَا؛ فَقُتِلَـتْ» وَكَذَلِـكَ صَحَّ عَـنْ جُنْدَبٍ.

قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- ما هو حكم الساحر؟

- القـول اَلْأَوَّلُ -الإمـام المجـدد مُحَمَّـد بـن عبـد الوهَّـاب رَحِمَهُ اللَّـهُ-: السِّـحر كلُّه كفرٌ، والسـاحر يُقتـل مُطْلَقًـا، وتوبته عند اللـه تَعَالَى.

- القـول اَلثَّانِـي -الشَّـافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّـهُ تَعَالَى-: وَهـذَا اَلَّذِي رجحه الشـيخ ابن عثيمين رَحِمَـهُ اللَّهُ:

- سـحر الشـياطين: فاعلـه مُرتدٌّ يُسـتتاب، فإن تاب قتلنـاه حدًّا لأنه مسـلمٌ، وإن لـم يتب قتلنـاه عَلَى أنه كافـرٌ مرتد.

- سـحر الأدويـة والعقاقيـر: حكـم فاعلـه هـو حكـم الصَّائـل المعتـدي، ويُقتـل حـدًّا عَلَـى أنـه مسـلمٌ.

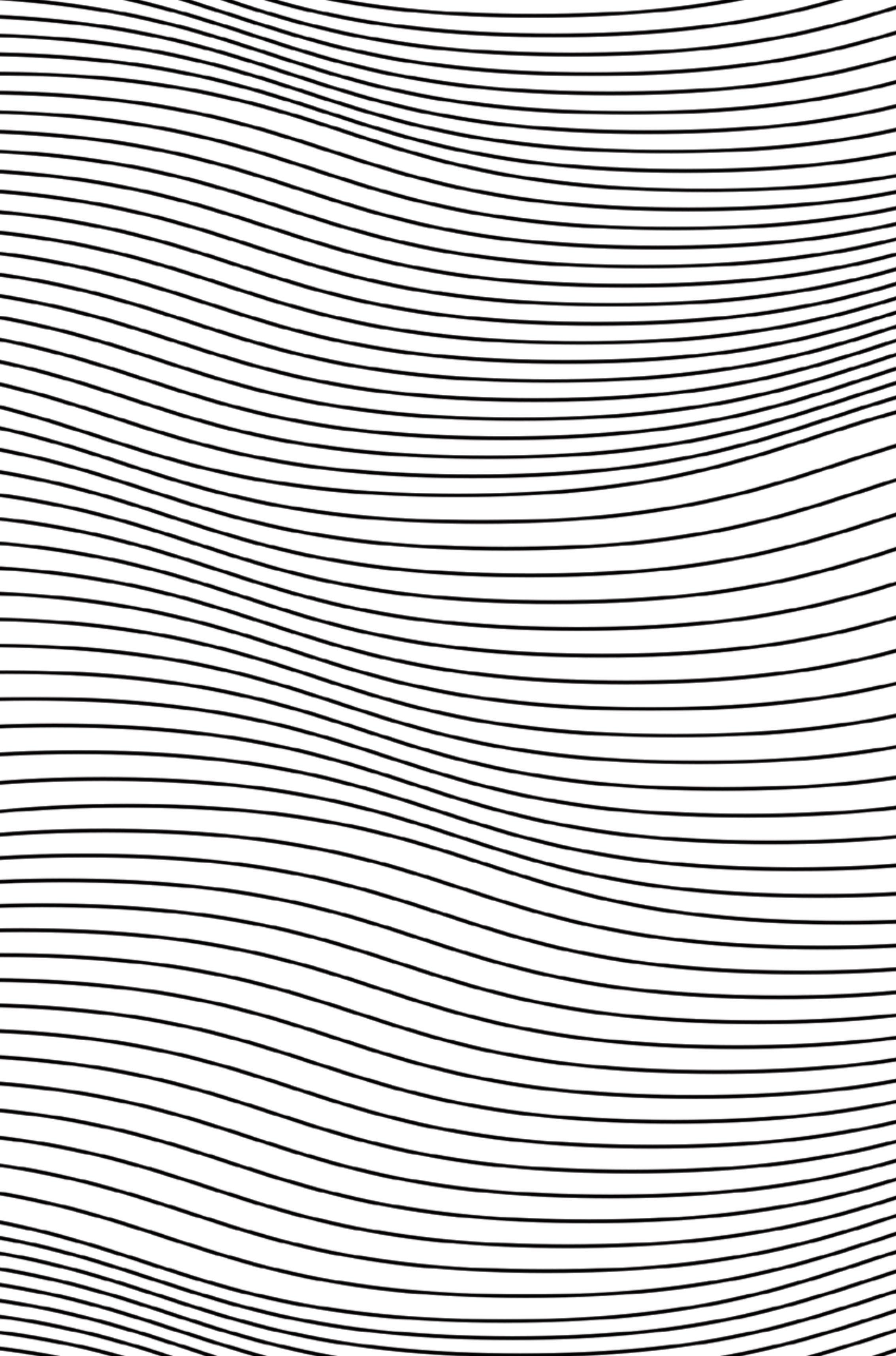

بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَـالَ أَحْمَـدُ رَحِمَهُ اللَّـهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْـنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَـا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّـانَ بْـنِ الْعَـلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بْـنُ قَبِيصَةَ عَـنْ أَبِيهِ: أَنَّـهُ سَـمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «إِنَّ الْعِيَافَـةَ وَالطَّرْق وَالطِّيَرَةَ مِـنَ الْجِبْتِ».

قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ بِالْأَرْضِ.

وَالْجِبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ: «رَنَّةُ الشَّيْطَانِ» إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَلِأَبِـي دَاوُدَ وَالنَّسَـائِيِّ، وَابْـنِ حِبَّـانَ فِـي «صَحِيحِـهِ» لَهُـمُ الْمُسْـنَدُ مِنْهُ.

وَعَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا؛ قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «مَـنِ اقْتَبَسَ شُـعْبَةً مِنَ النُّجُـومِ؛ فَقَـدِ اقْتَبَسَ شُـعْبَةً مِنَ السِّـحْرِ، زَادَ مَـا زَادَ» رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ، وَإِسْـنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَلِلنَّسَـائِيِّ مِـنْ حَدِيثِ أَبِـي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ: «مَنْ عَقَـدَ عُقْدَةً، ثُـمَّ نَفَـثَ فِيهَـا؛ فَقَـدْ سَـحَرَ، وَمَنْ سَـحَرَ؛ فَقَـدْ أَشْـرَكَ، وَمَـنْ تَعَلَّقَ شَـيْئًا، وُكِلَ إِلَيْهِ».

وَعَـنِ ابْـنِ مَسْـعُودٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «أَلَا هَـلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْـهُ؟ هِيَ النَّمِيمَـةُ، الْقَالَةُ بَيْـنَ النَّاسِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».

❊ الإفادات:

بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

بعد أن ذَكَرَ الْمُصَنِّف السِّحر، أتى بهذا الباب ليعلمنا أنَّ السحر أنواع يجب تجنبها كلها.

«الْعِيَافَةُ»: زَجْرُ الطَّيْرِ للتشاؤم أو التفاؤل، من التَّطيُّر بالفعل.

«وَالطَّرْقُ»: يضربون عَلَى الرَّمل عَلَى سبيل السحر والكهانة.

«الطِّيَرَة»: هي التشاؤم بمعلوم مرئيًّا كان أو مسموعًا، زمانًا كان أو مكانًا.

«رَنَّةُ الشَّيْطَانِ» أي: وحي الشَّيطان؛ هذَا من وحي الشيطان وإملائه.

«العَضْهُ»: بمعنى القطع والتفريق، ووجه إيرادها تحت باب السحر؛ ليبيِّن أنَّ التفريق هو هدف كلّ من النَّمَّام والسَّاحر، والنَّمَّام يُفسد أكثر من السَّاحر.

علم النجوم قسمان:

- علم التأثير: أن يستدلّ بالأحوال الفلكيَّة عَلَى الحوادث الأرضية، وحكمه:

- شركٌ أصغر: إذا اعتقد أنَّ النُّجوم سببٌ، والله تَعَالَى لم يجعلها

سببًا عَلَى الاطّلاع عَلَى الغيب.

- وشرك أكبر: إذا اعتقد أنَّ النجوم مؤثرةٌ بذاتها، وبيدها جلب المنافع ودفع المضار.

- علم التَّسيير: أن يستدل به عَلَى الجهات والأوقات ووجهة القبلة، وحكمه:

- جائزٌ: يستدل بها عَلَى الأزمان والأماكن، ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

- واجبٌ: ما لا يتمُّ الواجب إِلَّا به فهو واجب، كمن يكون في صحراء أو في فلاةٍ وأراد معرفة القبلة.

البيان: الفصاحة التَّامَّة الَّتِي تسبي العقول وتغيِّر الأفكار، وينقسم إِلَى:

(١) ممدوح: المقصود منه إثبات الحقِّ وإبطال الباطل.

(٢) مذموم: المقصود منه ردُّ الحقِّ وإثبات الباطل.

- ما علاقة البيان بالسحر؟

- لأنَّ البيان الباطل والسِّحر اشتركا في قلب الحقائق.

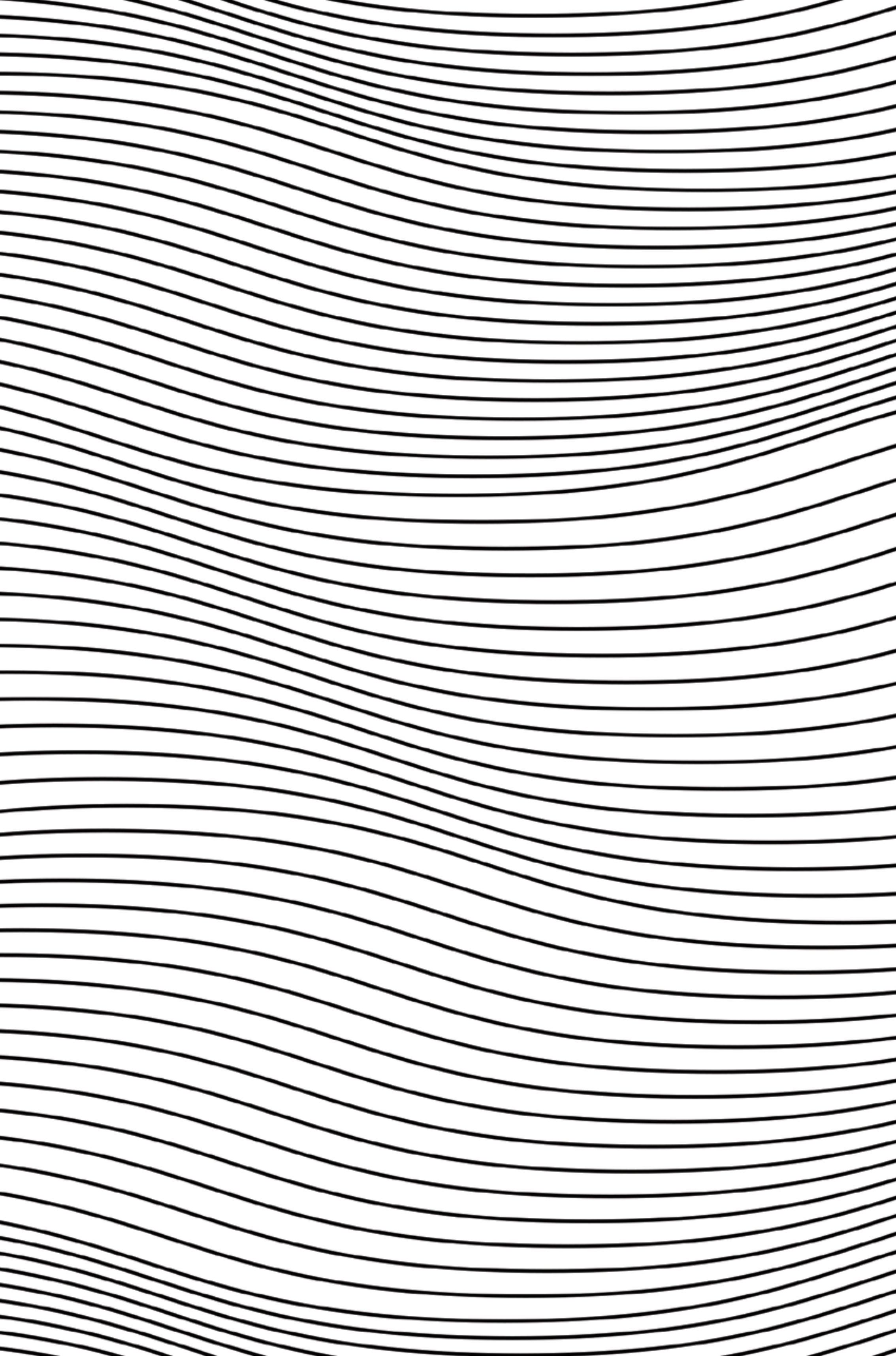

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا»، عَنْ «أَبِي هُرَيْرَةَ»: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَلِأَبِي يَعَلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا: مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى... » إِلَى آخِرِهِ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ: «الْعَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ».

وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ، وَالْكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «الْعَرَّافُ: اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ (أَبَا جَادٍ) وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: «مَا أُرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلَاقٍ».

❊ الإفادات:

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

هـذَا من أحسن ما يكون في الترتيب، فبعد أن بيَّن لك السحر وشيئًا من أنواعه هاهو يبيِّن لك من الكاهن والرَّمَّال والمنجِّم، وحكم إتيانهم، وكيفية الإتيان.

ما حكم سؤال العراف ونحوه:

- السؤال المجرَّد: كبيرة؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لم تُقْبل له صلاةٌ أربعين يومًا».

- السؤال والتصديق: كفرٌ أكبر؛ لأنَّه تكذيبٌ للقرآن.

- السؤال لاختباره: جائز؛ ليعرف صدقه من كذبه، لا لأجل أن

يأخـذ بقولـه، ويكون أهـلًا لذلك.

- السـؤال لإظهـار عجـزه وكذبـه: مطلـوبٌ أو واجـبٌ بشـرط أن يكـون أهـلًا لذلك.

من علامات السحر:

[١] مخالفة شروط جواز الرُّقية الشَّرعيَّة.

[٢] العقد مع النَّفث.

[٣] كتابة الحروف المقطعة والكلام غير المفهوم.

[٤] الصَّرف والعطف.

[٥] النظر في النجوم -علم التأثير-.

[٦] قراءة الكفِّ والفنجان.

[٧] أن يسأل عن اسم الأمِّ مثلًا.

[٨] أن يدّعي معرفة الغيب.

[٩] أن يأمـر المريـض بمخالفـة الشـرع كتـرك الصَّـلَاة، أو تـرك التسـمية عنـد الذبـح.

[١٠] أنه يُعلِّق المريض به لا بالله.

[١١] أنَّه من أولياء الشيطان.

استخدام الجن له ثلاث حالات عند ابن تَيْمِيَّة:

- أن يُستخدم في طاعة الله، كأن يكون له نائبًا في تبليغ الشرع.

- أن يُستخدم في أمور مباحة:

- إذا كانت الوسيلة مباحة فهو جائز.

- إذا كانت الوسيلة محرمة فهو حرام، كأن يُذبح له.

- أن يُستخدم في أمور محرمة، كنهب أموال النَّاس وترويعهم.

النظر إِلَى النجوم:

- يستدل بحركتها وسيرها عَلَى الحوادث الأرضية، وحكمه:

- شركٌ إذا اعتقد أن النجوم مدبرة للأمور.

- اعتقد أنها سبب فَقَطْ، فكفره غير مخرج من الملة.

- يستدل بحركتها وسيرها عَلَى الفصول وأوقات البذور والحصاد مباح.

- يتعلمونها لمعرفة أوقات الصلوات وجهات القبلة، وَالتَّعَلُّم هنا مشروع، وقد يكون فرض كفاية أو فرض عين.

خلاف أهل العلم في العراف والكاهن:

- العراف هو الكاهن، فهما مترادفان.

- العراف: يستدل عَلَى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها فهو أعم من الكاهن وغيره، فهما من باب الخاص والعام.

- العراف يخبر عن أمور بمقدمات يستدل عليها، والكاهن هو الَّذِي يخبر عما في الضمير أو عن المغيبات في المستقبل.

بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَـنْ جَابِـرٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ سُـئِلَ عَـنْ النُّشْـرَةِ، فَقَـالَ: «هِـيَ مِـنْ عَمَـلِ الشَّـيْطَانِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَـنَدٍ جَيِّـدٍ، وَأَبُـو دَاوُدَ.

وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؟ فَقَالَ: «ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ».

وَفِـي «الْبُخَـارِيِّ» عَنْ قَتَـادَةَ قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَـيِّبِ: رَجُلٌ بِـهِ طِبٌّ، أَوْ يُؤْخَـذُ عَـنِ امْرَأَتِـهِ، أَيُحَـلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَـرُ؟ قَـالَ: «لَا بَـأْسَ بِهِ، إِنَّمَـا يُرِيدُونَ بِـهِ الْإِصْـلَاحَ، فَأَمَّا مَـا يَنْفَعُ، فَلَـمْ يُنْهَ عَنْـهُ» انتهى.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحُلُّ السِّحَرَ إِلَّا سَاحِرٌ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

حَـلٌّ بِسِـحْرٍ مِثْلِـهِ، وَهُـوَ الَّـذِي مِـنْ عَمَـلِ الشَّـيْطَانِ، وَعَلَيْـهِ يُحْمَلُ قَـوْلُ الْحَسَـنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِـرُ وَالْمُنْتَشَـرُ إِلَى الشَّـيْطَانِ بِمَا يُحِـبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَـهُ عَنِ الْمَسْـحُورِ.

وَالثَّانِـي: النُّشْـرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَـوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعَـوَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَهَـذَا جَائِزٌ.

* **الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

هـذَا مـن حسـن الترتيـب، فبعـد أن ذَكَـرَ الْمُصَنِّـف السـحر أراد أن يذكـر لـك كيفيـة علاجـه، ولا ريـب أنَّ حـلَّ السِّـحر عـن المسـحور بالمشـروع فيـه فضلٌ كبيرٌ لمـن ابتغى وجه اللـه، فأتى به لإزالة الإشـكال بذكـر المنهـي عنـه والمرخَّـص فيه.

النشرة: حل السحر:

- بالسحر؛ وهو حرام.

- بدواء مباح أو قرآن أو أدعية.

- بما لا يعلم هل هو مباح أو محرم.

- كيف نردّ عَلَى من قَالَ بأنَّ السّحر يُحَلُّ بالسّحر؟

[١] بأنـه مُخالـفٌ للكتاب وَالسُّـنَّة ومـا كان عليه الصحابة وسـلف الأُمَّـة رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ.

[٢] وفيـه تضعيـفٌ للتَّـداوي بالقـرآن والأدعيـة المأثورة في السُّـنَّة النَّبَويَّة.

[٣] وفيه تقويةٌ للسِّحر والسَّحرة وتمكينٌ لهم عند عامَّة النَّاس.

[٤] فيـه عـدولٌ عـن اليقيـن الَّـذِي هـو التَّـداوي بالقـرآن والأدعية المأثـورة إِلَـى الظَّـنِّ وهـو التَّداوي بالسِّـحر.

[٥] لَا بُـدَّ فـي حـلِّ السِّـحر عـن المسـحور مـن أن يتقـرَّب النَّاشـر

والمنتشر للشّيطان بما يحب حَتَّى يبطل السِّحر.

[٦] إذا صبر المسحور فإنَّ له الجَنَّة كما ورد عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[٧] حلُّ السِّحر بسحرٍ يزيد المسحور سحرًا عَلَى سحره.

[٨] سُحر النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يتداوَ بالسِّحر بل بالرُّقية الشَّرعيَّة.

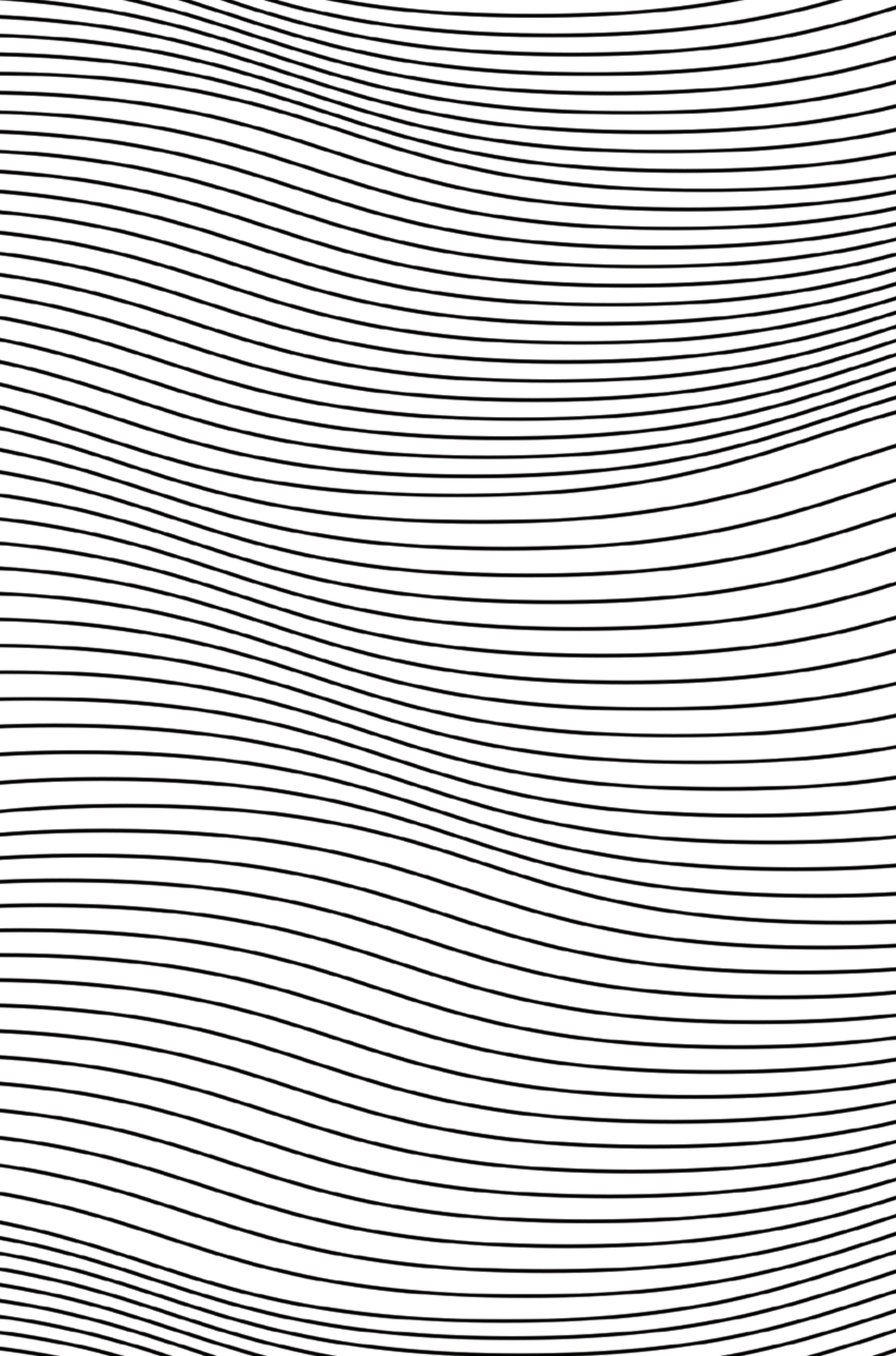

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩] الآية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ» أَخْرَجَاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ».

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ».

وَلِأَبِي دَاوُدَ -بِسَنَدٍ صَحِيحٍ- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا: الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»، وَمَا مِنَّا إِلَّا. وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ.

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ» قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ: مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ».

❊ الإفادات:

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

أتى به الْمُصَنِّف لنفي ما كان عليه أهل الجاهليَّة من التشاؤم، والتَّطيُّر ينافي التَّوحيد:

(١) لأنَّ المُتطيِّر قطع توكله عَلَى الله، واعتمد عَلَى غير الله.

(٢) لأنه تعلَّق بأمرٍ لا حقيقة له، بل هو وَهمٌ وتَخيُّلٌ، والتَّوحيد عبادةٌ واستعانةٌ.

«التَّطَيُّر» شرعًا: التَّشاؤم بمرئيٍّ أو مسموعٍ أو معلومٍ من زمانٍ أو مكانٍ:

١) بمرئيٍّ: مثل لو رأى طيرًا فتشاءم لكونه موحشًا أو أسودًا.

٢) مسموعٍ: مثل من هم بأمر فسمع أحدًا يقول لآخر: يا خسران؛ فيتشاءم.

٣) معلـومٍ: كالتَّشـاؤم ببعـض الأيَّـام أو الشُّـهور أو السَّـنوات أو بعـض الأماكـن.

وَقَـوْلِ اللَّـهِ تَعَالَـى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعـراف: ١٣١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس: ١٩] الآية.

لا منافـاة بيـن الآيتيـن: فالأولـى تـدلُّ عَلَـى أنَّ المُقدِّر لهذا الشـيء هـو اللـه، والثانيـة تبيِّـن سـببه وهو أنـه منهـم؛ فهم فـي الحقيقـة طائرهم معهـم أي: مـلازم لهم.

عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «لَا عَـدْوَى، وَلَا طِيَـرَةَ، وَلَا هَامَـةَ، وَلَا صَفَـرَ» أَخْرَجَـاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ».

وَلَهُمَـا عَنْ أَنَـسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «لَا عَـدْوَى، وَلَا طِيَـرَةَ، وَيُعْجِبُنِـي الْفَـأْلُ» قَالُـوا: وَمَـا الْفَـأْلُ؟ قَـالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ».

«لَا عَـدْوَى» أراد أن يبطـل اعتقـاد الجاهليـة فـي أنَّ المـرض هـو المؤثِّـر بذاتـه، أو المعنـى: لا عدوى مؤثِّـرة بذاتها؛ بل هي سـببٌ لانتقال المـرض بـإِذْنِ اللهِ.

«وَلَا هَامَةَ» طيرٌ يشبه البومة، أو هي البومة يتطيرون بها.

«وَلَا صَفَرَ» المقصود:

[١] إِمَّا شهر صفر، كانت العرب يتشاءمون به، لاسيما في النِّكَاح.

[٢] أو داءٌ في البطن يصيب الإبل، ويتنقل من بعيرٍ إِلَى آخر.

[٣] أو النَّسيء، فيؤخرون الحرمة إِلَى شهر صفر حَتَّى يقاتلوا في شهر المُحرَّم.

«وَلَا نَوْءَ»: منازل القمر، كلُّ منزلةٍ لها نجم، وكان العرب يتشاءمون بها، يقولون: هذَا نجم نحس لا خير فيه، وبعضهم بالعكس يقولون: هذَا نجم سعود وخير.

«وَلَا غَوْلَ»: كانت العرب إذا سافروا تلوَّنت لهم الشياطين فتدخل في قلوبهم الرعب، فتجدهم يكتئبون ويمتنعون عن الذهاب إِلَى الوجه الَّذِي أرادوا.

- وَالَّذِي نفاه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو تأثيرها، وليس المقصود بالنفي نفي الوجود، فالعبد ينطلق إِلَى ما يريد بانشراح صدر وتيسير واعتماد عَلَى الله، ولا يُسيء الظَّنَّ بالله.

- ولا تعارض بين هذِه النصوص وبين قوله: «إنْ كان الشُّؤمُ في شيءٍ... » لأنَّ:

(١) هذَا الحديث من المتشابه والنصوص في ذم التطير وأنه شرك من المحكم.

(٢) الطيرة كلها مذمومة، وَالَّذِي بيده جلب المنافع ودفع

المضـارّ هـو اللـه.

(٣) يُشـرع للعبـد الفرار من قدر اللـه إِلَى قدر الله أخذًا بالأسـباب، ولا يتطيَّر.

(٤) الشـؤم فـي الحديـث يلحـق من تشـاءم بهـا، لا من تـوكَّل عَلَى الله ولم يتشـاءم.

(٥) كلُّ مـن خـاف شـيئًا غير الله سُـلِّط عليـه، كما أنَّ مـن أحبَّ مع اللـه غيـره عُـذِّب بـه، ومن رجا مـع الله غيـره خُذِل مـن جهته (ذكـره ابن القيم رَحِمَـهُ اللَّهُ).

وَلِأَبِـي دَاوُدَ -بِسَـنَدٍ صَحِيـحٍ- عَـنْ عُقْبَـةَ بْـنِ عَامِـرٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَـالَ: ذُكِـرَتِ الطِّيَـرَةُ عِنْـدَ رَسُـولِ اللَّـهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فَقَـالَ: «أَحْسَـنُهَا: الْفَـأْلُ، وَلَا تَـرُدُّ مُسْـلِمًا، فَـإِذَا رَأَى أَحَدُكُـمْ مَـا يَكْـرَهُ، فَلْيَقُـلْ: اللَّهُـمَّ لَا يَأْتِـي بِالْحَسَـنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّـيِّئَاتِ إِلَّا أَنْـتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـكَ».

- الفرق بين الفأل والتَّطيُّر:

- أنَّ الفـأل كلُّ مـا يُنشِّـط الإنسـان عَلَـى شـيءٍ محمـودٍ مـن قـولٍ أو فعـل مرئـيٍّ أو مسـموعٍ، وَأَمَّـا التَّطَيُّـر؛ فالتشـاؤم بمرئيٍّ أو مسـموعٍ أو معلـومٍ من زمـانٍ أو مـكانٍ.

- أنَّ الفأل يزيد في التَّوكُّل، وَأَمَّا التَّطَيُّر؛ يضعف التَّوكُّل.

- حكـم الفأل: أنه مسـتحب، وَأَمَّـا التَّطَيُّر فحكمه: إِمَّا شـركٌ أصغر

إذا اعتقد أنها سببٌ، أو شرك أكبر إن اعتقد تأثيرها بنفسها.

- أنَّ الفأل فيه حسن ظنٍّ بالله تَعَالَى، وَأَمَّا التَّطَيُّر ففيه سوء ظنٍّ بالله تَعَالَى.

- أن الفأل هذَا حال الموحِّد المُحَقِّق للتوحيد، وَأَمَّا التَّطَيُّر فَهذَا حال المنافق والكافر.

- أنَّ الفأل يأتي بلا قصدٍ ولا تكلُّفٍ، وَأَمَّا التَّطَيُّر فقد يأتي بقصدٍ مثل العيافة.

- أنَّ الفأل لا يكون ما تسمع أو ترى سببًا في مُضيِّك أو رجوعك، وَإِنَّمَا تفرح به وتنشط، وَأَمَّا التَّطَيُّر فما أمضاك أو ردَّك، بأن، تعتمد عَلَى ما ترى أو تسمع ويكون ذلك سببًا لإقدامك.

- أن الفأل يوجب التَّعَلُّق بالله، وَأَمَّا التَّطَيُّر يوجب التَّعَلُّق بالمُتَطَيَّر به.

أقسام النَّاس مع الطيرة:

- لا ترده عن حاجته ويمضي متوكلًا عَلَى الله، هذَا هو حال الموحِّد لله تَعَالَى، وَهذَا هو الأصل.

- يحجم ويستجيب للطيرة ويترك العمل: شركٌ أصغر باعتقادها سببًا، وأكبر باعتقادها مؤثرة بذاتها.

- يمضي لكن مع قلق وهمٍّ وغمٍّ يخشى من تأثير هذَا المُتطيَّر به: فَهذَا آثمٌ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»، وَمَا مِنَّا إِلَّا. وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ» قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ: مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ».

ما هو علاج التَّطَيُّر؟

[١] بتحقيق التوحيد؛ لأنَّ التَّطَيُّر يذهبه الله بِالتَّوَكُّلِ، ويكون منشرح الصدر.

[٢] قول الدُّعَاء الوارد عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ... ».

[٣] يتفاءل بالخير ولا يتشاءم، ولا يطرأ التشاؤم عَلَى باله.

[٤] ما فيه مصلحةٌ لا تتقاعس عنه في أَوَّل محاولة، حاول مرَّاتٍ حَتَّى يفتح الله.

- الفرق بين القرعة، والاستقسام بالأزلام:

- أنَّ القرعة حكمها: جائزة، والاستقسام بالأزلام: كبيرة، وهي من الميسر.

- أنَّ القرعـة يحصـل بها المقصود الشـرعي، والاستقسـام بالأزلام لا يحصـل بها المقصود الشـرعي.

- أنَّ القرعـة تُسـتعمل لتعييـن من له الحـقُّ بين متنازعيـن لهم نفس الحـق دون تعييـن، وَأَمَّا الاستقسـام بـالأزلام تُسـتعمل لتعييـن الخير من الشـر، وتشـبه ادِّعاء الغيـب بالاعتمـاد عَلَى الحظ.

- أنَّ القرعـة عمـل أهـل التوحيـد، وَأَمَّا الاستقسـام بـالأزلام عمل أهل الشِّـرْك.

- أنَّ القرعـة مثالهـا: القرعـة للصـفِّ اَلْأَوَّل والأذان، والاستقسـام بـالأزلام مثالهـا: الخيـرة برمـي النقـود المعدنيـة والعد.

- أنَّ القرعـة تميِّـز لصاحب الحق ولا يمكن القسـمة، والاستقسـام بـالأزلام تميِّـز لمن ليس له حـقٌّ والقسـمة ممكنة.

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ؛ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ» انْتَهَى.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ، ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

*** الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

أتى به الْمُصَنِّف ليبطل علم التأثير المزعوم، ولم يقل: «من الشِّرْك»؛ لأنَّ فيه تفصيلًا: علمُ تأثيرٍ وعلم تسييرٍ، وقد تقدَّم هذا.

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ

تَـأَوَّلَ فِيهَـا غَيْـرَ ذَلِكَ؛ أَخْطَـأَ، وَأَضَـاعَ نَصِيبَـهُ، وَتَكَلَّفَ مَـا لَا عِلْمَ لَـهُ بِهِ» انْتَهَى.

وَكَـرِهَ قَتَـادَةُ تَعَلُّـمَ مَنَـازِلِ الْقَمَرِ، وَلَـمْ يُرَخِّصِ ابْـنُ عُيَيْنَةَ فِيـهِ، ذَكَرَهُ حَـرْبٌ عَنْهُمَا.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.

- كلُّ مـن حـرَّم تعلُّـم منازل النجـوم من السَّـلف يُحمَل قولـه عَلَى علـم التأثير.

- وكلُّ مـن أجـاز تعلُّـم منـازل النجـوم مـن السـلف يُحمَـل قولـه عَلَـى علـم التَّسـيير.

- كأن يعتقـد أنَّ هـذِه النجـوم مؤثـرة فاعلـة بمعنـى أنهـا تخلـق الحـوادث والشـرور وهـذا (شـرك أكبـر).

- أن يجعلها سببا يدعى به علم الغيب وهذا (كفر أكبر).

- يعتقدهـا سـببًا لحـدوث الخيـر والشـر، ولا ينسـب إِلَـى النجـوم شـيئًا إِلَّا بعـد وقوعـه وهـذا (شـرك أصغر).

- علم التسيير:

يُسـتدل بسـيرها عَلَـى المصالـح الدينيـة مطلـوب كتحديـد جهـة القبلـة.

- يستدل بها عَلَى المصالح الدنيوية:

- يستدل عَلَى الجهات وهذا (جائز).

– يستدل عَلَى الفصول كرهه بعض السلف والصحيح عدم الكراهة.

– الحكمة من خلق النجوم:

– زينة للسماء.

– رجوم للشياطين.

– علامات يُهتدى بها.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

– تَعْرِيْف الكبيرة: عرَّفها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بأنَّها: «كلُّ ما رُتِّب عليه عقوبة خاصَّة» مثل اللعن أو الغضب، أو الطرد، أو البراءة من فاعله، أو أنَّه من الكافرين أو المشركين، أو ليس من المؤمنين، أو شُبِّه بأقبح الحيوانات...

– حكم فاعلها: مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، تحت مشيئة الله؛ إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له.

– هل الكبائر معدودة أم محدودة؟ محدودة بِالتَّعْرِيْفِ السابق؛ لا معدودة.

– هل الكبائر أكبر أم الشِّرْك الأصغر؟ المعاصي تبدأ بالصغائر ثُمَّ الكبائر ثُمَّ الشِّرْك الأصغر، ثُمَّ الأكبر؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

أَنْ يُشْـرَكَ بِـهِ وَيَغْفِـرُ مَـا دُونَ ذَلِـكَ لِمَـنْ يَشَـاءُ﴾ [النسـاء: ٤٨]، وقـول ابن مسـعودٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ: «لأنَّ أحلـف باللـه كاذبًـا خيـرٌ مـن أن أحلـف بغيـره صادقًـا»، والحلـف باللـه كاذبًـا كبيـرةٌ والحلـف بغيره ولـو صادقًا شـركٌ أصغر.

- هـل الكبائـر تكفّـر بالعمـل الصالـح أو لَا بُدَّ لهـا من توبـة؟ لَا بُدَّ لهـا مـن توبـةٍ؛ لقولـه صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «النَّائحـةُ إنْ لم تتُـبْ قبل موتِهـا... »، و«... إذا اجتُنِبـت الكبائـر... ».

- هـل تصـح التوبـة مـن بعضهـا دون البعـض الآخـر؟ نعـم تصـحُّ التوبـة مـن البعـض دون البعـض الآخـر، مـع ضـرورة الإقـلاع عـن كلِّ المعاصـي.

- هـل يحـب فاعـل الكبيـرة أم يُبغَـض؟ يُحـبُّ بقـدر مـا معـه مـن الإيمـان، ويُبغـض بقـدر ما معه مـن المعصيـة، ولا يُجالس حـال ارتكابه للكبيرة.

- هـل الكبائـر تتفـاوت؟ نعـم تتفـاوت، لقولـه صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «أَلَا أدُلُّكـم عَلَـى أكبـر الكبائـر؟ ».

- كيـف نسـمي مرتكب الكبيـرة؟ هو مؤمـنٌ بإيمانه فاسـقٌ بكبيرته، وهـو مؤمنٌ ناقـص الإيمـان، ولا نقول كالمرجئـة: مؤمنٌ كامـل الإيمان، ولا كالخـوارج: كافر.

بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢].

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ».

وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ.

قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءَ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إِلَى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٢]».

* **الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ

أتى به الْمُصَنِّف لإبطال التَّعَلُّق بالأسباب الشركية، وحكمه:

(١) شركٌ أكبر:

أن يدعو الأنواء بالسُّقيا؛ لأنه دعا غير الله [شرك في العبادة].

أو أن ينسب حصول الأمطار إِلَى هذِه الأنواء عَلَى أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله ولم يدعها [شرك في الربوبية].

(٢) شركٌ أصغر: أن يعتقد أنَّها سببٌ وأنَّ الله هو الخالق الفاعل.

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة:٨٢].

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ».

وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

سمي يوم القيامة بهذا الاسم لقيام:

- النَّاس: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦].
- الأشهاد: ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].
- الموازين: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

التكذيب نوعان:

التكذيب بلسان المقال بأن يقول: هذَا كذب.

التكذيب بلسان الحال.

وفي حديث زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الفوائد:

- نسبة المطر إِلَى النوء:

- نسبة إيجاد؛ وَهذِه شرك أكبر.

- نسبة سبب؛ وَهذِه شرك أصغر.

- نسبة وقت؛ وَهذِه جائزة.

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءَ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إِلَى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٢]».

الفائدة من إقسامه سُبْحَانَهُ مع أنه صادق دون حاجة إِلَى القسم:

١) أنَّ هذَا أسلوبٌ عربيٌّ؛ لتأكيد الأشياء بالقسم.

٢) أنَّ المؤمن يزداد يقينًا، ولا مانع من زيادة المؤكِّدات الَّتِي تزيد يقين العبد.

٣) أنَّ الله يقسم بأمورٍ عظيمةٍ دالَّةٍ عَلَى كمال قدرته وعظمته وعلمه.

٤) التَّنويه بحال المُقسَم به؛ لأنَّه لا يقسم إلَّا بشيءٍ عظيمٍ.

٥) الاهتمام بالمقسَم عليه، وأنَّه جديرٌ بالعناية والإثبات.

﴿كَرِيمٌ﴾ معناه:

[١] البهيُّ الحَسَن، فالقرآن لا أحسنَ منه.

[٢] كثير العطاء، يُعطي أهله من الخيرات الدِّينيَّة والدُّنيويَّة والجسميَّة والقلبيَّة.

﴿تَنزِيلٌ﴾: فيها:

(١) أنَّ القرآن نازلٌ لجميع الخلق، وعموم رسالته.

(٢) أنه نازلٌ من ربهم، وإذا كان كذلك؛ فهو الحكم بينهم الحاكم عليهم.

(٣) أنَّ نزول القرآن من كمال رُبوبيَّة الله، وفيه أنَّ القرآن رحمةٌ للعباد.

(٤) أنَّ القرآن كلام الله، مُنزَّلٌ غير مخلوقٍ.

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ إِلَى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤] الآية.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ؛ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى... » إِلَى آخِرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ، حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا). رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَـالَ ابْـنُ عَبَّـاسٍ فِـي قَوْلِـهِ تَعَالَـى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقـرة: ١٦٦] قَـالَ (الْمَـوَدَّةُ).

*** الإفادات:**

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لنفي التوحيـد عمَّـن أحـبَّ مخلوقًا كمَحبَّـة الله أو أشدَّ.

أقسام المحبة:

- محبة مع الله؛ شركٌ أكبر.

- محبة لله؛ واجبة، من أوثق عُرى الإيمان لـ:

- العمـل الَّـذِي يرضـاه اللـه تَعَالَـى، وهـو كل مـا جـاء بـه الشـرع كالتوحيـد.

- العامل به كالأنبياء والرُّسل والملائكة والصحابة وكلِّ موحِّدٍ.

- الأزمنـة الَّتِـي يحبُّهـا اللـه تَعَالَـى مثـل ليلـة القـدر وثلـث اَللَّيْـل الآخـر.

- الأمكنة الَّتِي يحبُّها الله تَعَالَى مثل مكَّة والمدينة النَّبَويَّة.

- محبة طبيعية؛ جائزة، كحبِّ الولد.

وَقَوْلِـهِ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ إِلَى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ

ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤] الآية.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أَخْرَجَاهُ.

- حالات نفي الشيء:

- نفي الوجود: هـذَا هو الأصل، مثل: «لا إيمان لعابد صنم»، فإن لم نستطع الحمل عليه نحمل عَلَى:

- نفي الصحَّة: مثل: «لا صلاة بغير طهور»، فإن لم نستطع الحمل عليه نحمل عَلَى:

- نفي الكمال: مثل: «لا صلاة بحضرة طعام».

مناسبة الحديث ظاهرة إذ محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من محبة الله، ومحبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكون لأمور:

[١] لأنَّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا كان الله أحبَّ إليك من كلِّ شيءٍ؛ فرسوله أحبُّ إليك من كلِّ مخلوقٍ.

[٢] لما قام به من عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ وتبليغ رسالته.

[٣] لما آتاه الله عَزَّ وَجَلَّ من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

[٤] لأنَّه سبب هدايتك وتعليمك وتوجيهك.

[٥] لصبره عَلَى الأذى في تبليغ الرِّسالة.

[٦] لبذله جهده بالمال والنَّفس لإعلاء كلمة الله عَزَّ وَجَلَّ.

- كيف تكون محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته؟

- بتعلُّم السُّنَّة، والعمل بها، والدَّعوة إليها، والذَّبِّ عنها، وتقديم قوله عَلَى قول كل أحدٍ من النَّاس، وَالتَّمَسُّك بهديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- انقسم النَّاس في المحبة مع الله إِلَى أربعة أقسام:

- يحبُّ الله ولا يحبُّ معه أحدًا، وَهذَا هو الإخلاص.

- يحبُّ الأنداد محبَّةً مساويةً لمحبَّة الله، وَهذَا شركٌ أكبر.

- يحبُّ الأنداد أكثر من محبَّة الله، وَهذَا شركٌ أكبر.

- يحبُّ الأنداد ولا يحب الله أصلًا، وَهذَا هو أعظم الشِّرْك.

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ؛ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى... » إِلَى آخِرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا،

وَذَلِـكَ لَا يُجْـدِي عَلَـى أَهْلِـهِ شَـيْئًا). رَوَاهُ ابْـنُ جَرِيرٍ.

وَقَـالَ ابْـنُ عَبَّـاسٍ فِـي قَوْلِـهِ تَعَالَـى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقـرة: ١٦٦] قَـالَ (الْمَـوَدَّةُ).

المحبة باعتبار العبادة:

- عبـادة فـي ذاتهـا: محبَّـة العبـادة لا تكـون إلَّا للـه عَـزَّ وَجَـلَّ، وهـي توجـب التَّذَلُّـل والتَّعظيـم الَّـذِي يقتضي امتثـال الأوامـر واجتناب النَّواهـي.

- ليست عبادة في ذاتها:

- المحبة في الله ولله: كمحبة الرُّسل والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

- محبة الإشفاق والرحمة: كمحبة الولد والصغار...

- محبة الإجلال والتعظيم: كمحبَّة الوالد والمعلِّم...

- محبة طبيعية: كمحبَّة الطعام والشراب...

أشـرف الأنـواع هـو اَلْأَوَّل، أمَّـا الباقـي فمـن قسـم المُبـاح، إلَّا إذا اقتـرن بهـا مـا يقتضـي التَّعَبُّـد فإنَّهـا تصير عبـادةً.

الولاية:

- من الله للعبد: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهي:

- عامـة: الولايـة عَلَى العبـاد بالتدبيـر والتصريف وتشـمل المؤمن والكافر.

- وخاصـة: يتولـى الله العبـد بعنايته وتوفيقه وهدايتـه، وهي خاصة

بالمؤمنين.

- من العبد لله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٦]، قَالَ شيخ الإسلام: من كان مؤمنًا تقيًّا كان وليًّا لله.

بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ١٨] الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠] الآية.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ: أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ؛ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي (صَحِيحِهِ).

*** الإفادات:**

بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

جاء الْمُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بباب الخوف عقب باب المحبة؛ لأنَّ عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ ترتكز عَلَى أمرين:

- المحبة: وبها يكون امتثال الأوامر.

- الخوف: به يكون اجتناب النَّواهي.

- أقسام الخوف:

- خوف السر: هو الخوف الَّذِي يكون معه عبادة لغير الله، أو ترك ما أوجب الله كأن يخاف الإنسان من الأصنام والأوثان، ومن القبور والأضرحة أو الشياطين والجن فيتقرَّب إليهم بما يحبونه -من الشِّرْك- خوفًا منهم، فَهذَا شركٌ أكبر يخرج من الملة.

- الخوف المذموم: وهو أن يترك الإنسان ما أوجبه الله عليه من الدعوة إِلَى الله والأمر بالمعروف وَالنَّهي عن المنكر؛ خوفًا من أذى النَّاس وأن يضايقوه أو يعذبوه، فيترك الأمر بالمعروف وَالنَّهي عن المنكر والدعوة إِلَى الله، فَهذَا شرك أصغر وهو محرّم، وقد جاء الحديث: «إن الله يحاسب العبد يوم القيامة: لِمَ لَمْ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: يا ربِّ خشيتُ النَّاس، فيقول: إيَّاي أحق أن تخشى».

- الخوف الطبيعي والجِبلي (مُباح): ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]، فإن حَمل عَلَى ترك واجبٍ أو فعل مُحرَّمٍ؛ فهو مُحرَّمٌ.

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] الآية.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أتى بها عَلَى وجه قويمٍ لا نقصَ فيه، والإقامة نوعان:

[١] إقامة واجبة: يقتصر فيها عَلَى الواجب من الشُّروط والأركان والواجبات.

[٢] إقامة مستحبَّة: يزيد فيها عَلَى الواجب، فيأتي بالواجب والمُستحبّ.

الفرق بين الخشية والخوف:

-الخشية تكون مع العلم بالمخشيّ وحاله، بينما الخوف قد يكون من الجاهل.

- الخشية تكون بسبب عظمة المَخشيّ، بينما الخوف يكون لضعف الخائف.

- أقسام عمارة المساجد وضدّه خرابها:

- عمارة حسيَّة: بالبناء والفرش والنَّظافة وترميمها، وضدُّها الخراب الحسِّيُّ بالهدم والتخريب.

- عمارة معنويَّة: بِالصَّلَاةِ والذكر والقراءة، وضدُّها الخراب

المعنـويُّ كجعـل المسـاجد أماكـن للشِّـرْكِ والبـدع.

وَقَوْلِـهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبـوت: ١٠] الآيـة.

عَـنْ أَبِـي سَـعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ مَرْفُوعًـا: «إِنَّ مِنْ ضَعْـفِ الْيَقِينِ: أَنْ تُرْضِـيَ النَّـاسَ بِسَـخَطِ اللَّـهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُـمْ عَلَـى رِزْقِ اللَّـهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَـى مَـا لَـمْ يُؤْتِكَ اللَّـهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّـهِ لَا يَجُرُّهُ حِـرْصُ حَرِيـصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ».

وَعَـنْ عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا: أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «مَـنِ الْتَمَـسَ رِضَـا اللَّـهِ بِسَـخَطِ النَّـاسِ؛ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، وَأَرْضَـى عَنْـهُ النَّـاسَ، وَمَـنِ الْتَمَسَ رِضـا النَّاسِ بِسَـخَطِ اللَّهِ؛ سَـخِطَ اللَّهُ عَلَيْـهِ وَأَسْـخَطَ عَلَيْـهِ النَّـاسَ» رَوَاهُ ابْـنُ حِبَّـانَ فِـي (صَحِيحِـهِ).

فوائد الحديث:

[١] وجـوب طلـب مـا يُرضـي اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ وإن سـخط النَّاس؛ لأنَّ اللـه هـو الَّـذِي ينفـع ويضر.

[٢] أنـه لا يجـوز أن يُلتمـس ما يسـخط الله من أجل إرضـاء النَّاس كائنًا مـن كانوا.

[٣] إثبـات الرِّضـا والسَّـخط للـه عَلَـى وجـه الحقيقـة، لكـن بـلا مماثلـة للمخلوقيـن.

ابتلاء الله للعبد:

ما يقدره الله نفسه عَلَى العبد.

ما يقدره الله عَلَى أيدي الخلق من الإيذاء امتحانًا.

الأقيسة العقلية الَّتِي تبطل النصوص، هي الباطلة:

إبطالها للنصوص يقتضي أنها هي الحق، والنصوص باطلة؛ وَهذَا ممتنع.

تقول عَلَى الله بغير علم.

فيها جناية عَلَى النصوص، حيث اعتقدوا أنها دالة عَلَى النصوص.

فيها طعنًا بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفائه الراشدين.

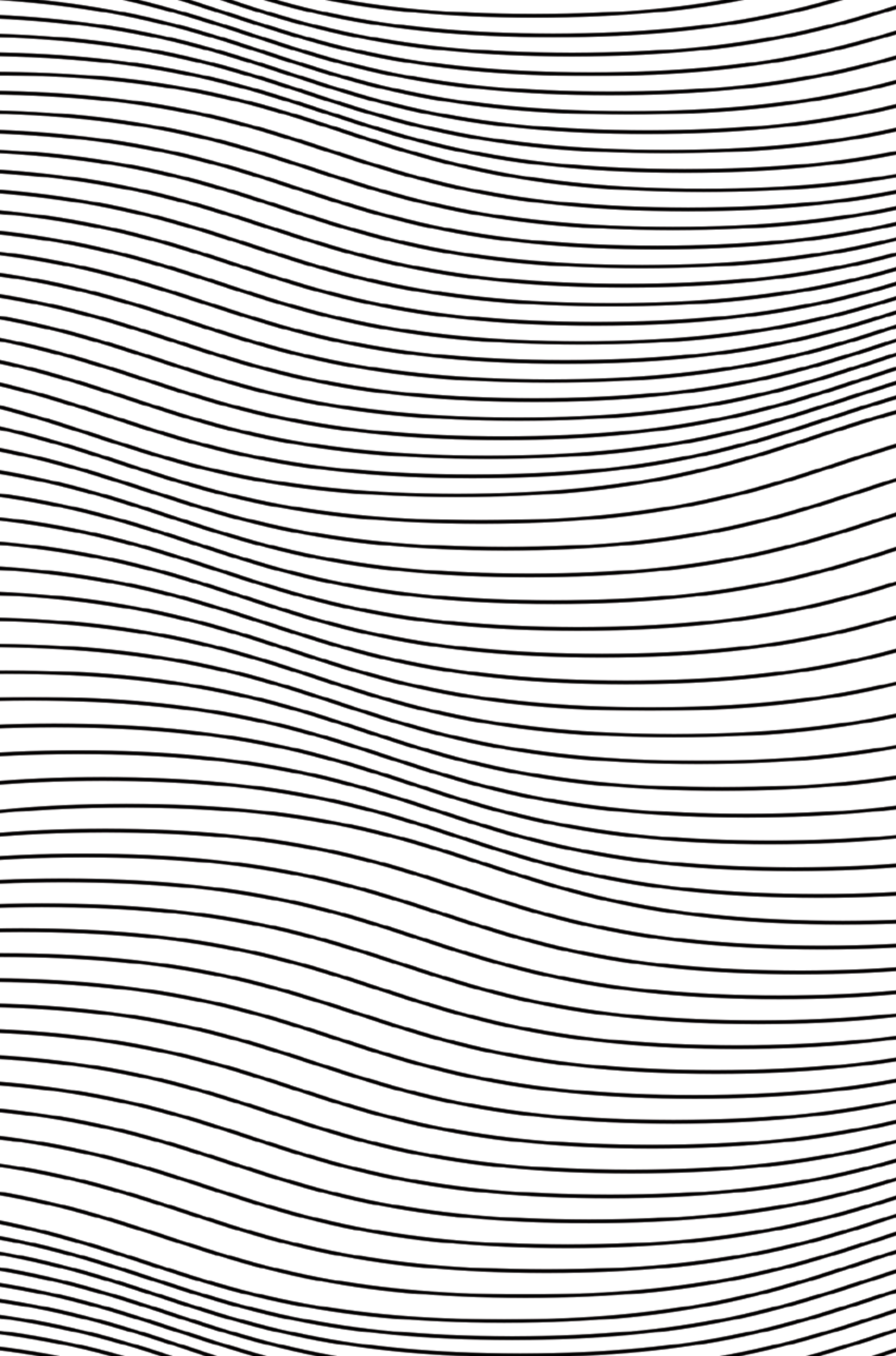

بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال:٢] الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطَّلَاق: ٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآية. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

*** الإفادات:**

بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

أتى به الْمُصَنِّف لنفي التوحيد عمن توكل عَلَى غير اللـه، فبعد المحبَّة والخوف بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ حصول المطلوب وزوال المكروه، لا يكون إِلَّا بِالتَّوَكُّلِ، ولا يمكن تحقيق العبادة إِلَّا بِالتَّوَكُّلِ، وهو أعلى

المقامات، ويجب عَلَى الإنسان أن يكون مصطحبًا له في جميع شؤونه.

التَّوَكُّلُ: هو صدق الاعتماد عَلَى الله مع الثِّقة به والأخذ بالأسباب المشروعة، فَلَا بُدَّ من الاعتماد الصَّادق الحقيقيِّ وفعل الأسباب المأذون فيها، وأقسامه:

- تفويض جميع الأمور إِلَى الله، واعتقاد أنَّ بيده جلب المنافع ودفع المضارّ، فَهذَا صرفه لغير الله شركٌ أكبر.

- الاعتماد عَلَى حيٍّ مع نوع افتقارٍ، فَهذَا شركٌ أصغر؛ كالذي يعتمد في رزقه عَلَى شخصٍ مع الافتقار إليه.

- الوكالة: ولا يصحُّ أن يُقال: توكَّلت عَلَى فلانٍ، أو: توكّلت عَلَى الله ثُمَّ فلانٍ، بل يقول: وكَّلت فلانًا أو فوَّضته، وقد وكّل النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شؤونه الخاصَّة والعامَّة.

وَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢] الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤] الآية.

ذَكَرَ الله في هذِه الآية وما بعدها خمسة أوصاف للإيمان الكامل:

- ﴿ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: خافت لما فيها من تعظيم الله، فعلامة الإيمان أنَّه إذا ذُكِّر بالله خاف.

- ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي: تصديقًا وامتثالًا، وفيها أنَّ الإنسان قد ينتفع بقراءة غيره أكثر مِمَّا ينتفع بقراءة نفسه.

- ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يعتمدون عَلَى الله لا عَلَى غيره، وهم مع ذلك يعملون الأسباب، وَهذَا هو الشاهد.

- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يأتون بها مستقيمةً كاملةً، وَالصَّلَاة اسم جنسٍ يشمل الفرائض والنَّوافل.

- ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يشمل الثَّناء من أنفق البعض ومن أنفق الكلّ، ومن أنفق الكل يدخل في الثَّناء إذا توكَّل عَلَى الله.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلَاق: ٣].

أي: يكفيه مهماته وييسِّر له أمره، ولو حصل له بعض الأذيَّة فإنَّ الله يكفيه، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيِّد المتوكِّلين، ومع ذلك يصيبه الأذى ولا تحصل له المضرَّة.

والآية تفيد بمفهومها أنَّ من توكَّل عَلَى غير الله خُذِلَ، وتخلَّى الله عنه.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآية. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

تنبيه:

كـون ابـن عبَّـاس رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا ممَّن يـروي عن بني إسـرائيل هـو قـولٌ مشـهورٌ عنـد علمـاء المصطلح، لكـن فيه نظـرٌ؛ فإنَّ ابـن عبَّاسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا ممَّـن ينكر الأخـذ عن بني إسـرائيل.

والأخبار الواردة عن بني إسرائيل هل نصدِّقها أو لا؟

[١] نصدِّقها إذا ورد في شرعنا أنَّها صدقٌ.

[٢] نكذبها إذا ورد في شرعنا أنَّها كذبٌ.

[٣] نتوقَّف فيها إذا لم يأتِ في شرعنا تصديقها ولا تكذيبها.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ، قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهُ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ» رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

*** الإفادات:**

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

أتى به الْمُصَنِّف ليجمع الموحِّد في سيره إِلَى الله بين الخوف والرجاء، فاشتمل الباب عَلَى: الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، وكلاهما طرفا نقيض، أراد أن يجمع السَّائر إِلَى الله بين الخوف والرجاء، ويُستفاد من الآية:

[١] الحذر من النِّعم الَّتِي يجلبها الله للعبد لئلَّا تكون استدراجًا.

[٢] تحريم الأمن من مكر الله.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

المعنى: أنه لا يقنط من رحمة الله إِلَّا فاقد الهداية، التَّائه الَّذِي لا يدري ما يجب لله، مع أنه سُبْحَانَهُ قريب الغِيَر، والقنوط لا يجوز لأنَّه سوء ظنٍّ بالله لأنَّه:

(١) طعنٌ في قدرته؛ لأنَّ من عَلِمَ أنَّ الله عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ لم يستبعد شيئًا عليه.

(٢) طعنٌ في رحمته؛ لأنَّ من عَلِمَ أنَّ الله رحيمٌ لا يستبعد أن يرحمه الله.

وَعَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ اَلْكَبَائِرِ، قَالَ: «اَلشِّرْكُ بِاللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهُ».

وَعَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَكْبَرُ اَلْكَبَائِرِ: اَلْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ» رَوَاهُ عَبْدُ اَلرَّزَّاقِ.

المكر: التوصل إِلَى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر.

* **الخلاصة:**

أنَّ السَّائر إِلَى الله يعتريه شيئان يعوِّقانه عن ربِّه، وهما الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته، فإذا أُصيب بالضَّرَّاء أو فات عليه ما

يحبُّ؛ تجده إن لم يتداركه ربُّه يستولي عليه القنوط ويستبعد الفرج ولا يسعى لأسبابه، وَأَمَّا الأمن من مكر الله فنجد الإنسان مقيمًا عَلَى المعاصي مع توافر النِّعم عليه، ويرى أَنَّه عَلَى حقٍّ فيستمرُّ في باطله؛ فَلَا شَكَّ أنَّ هذَا استدراجٌ.

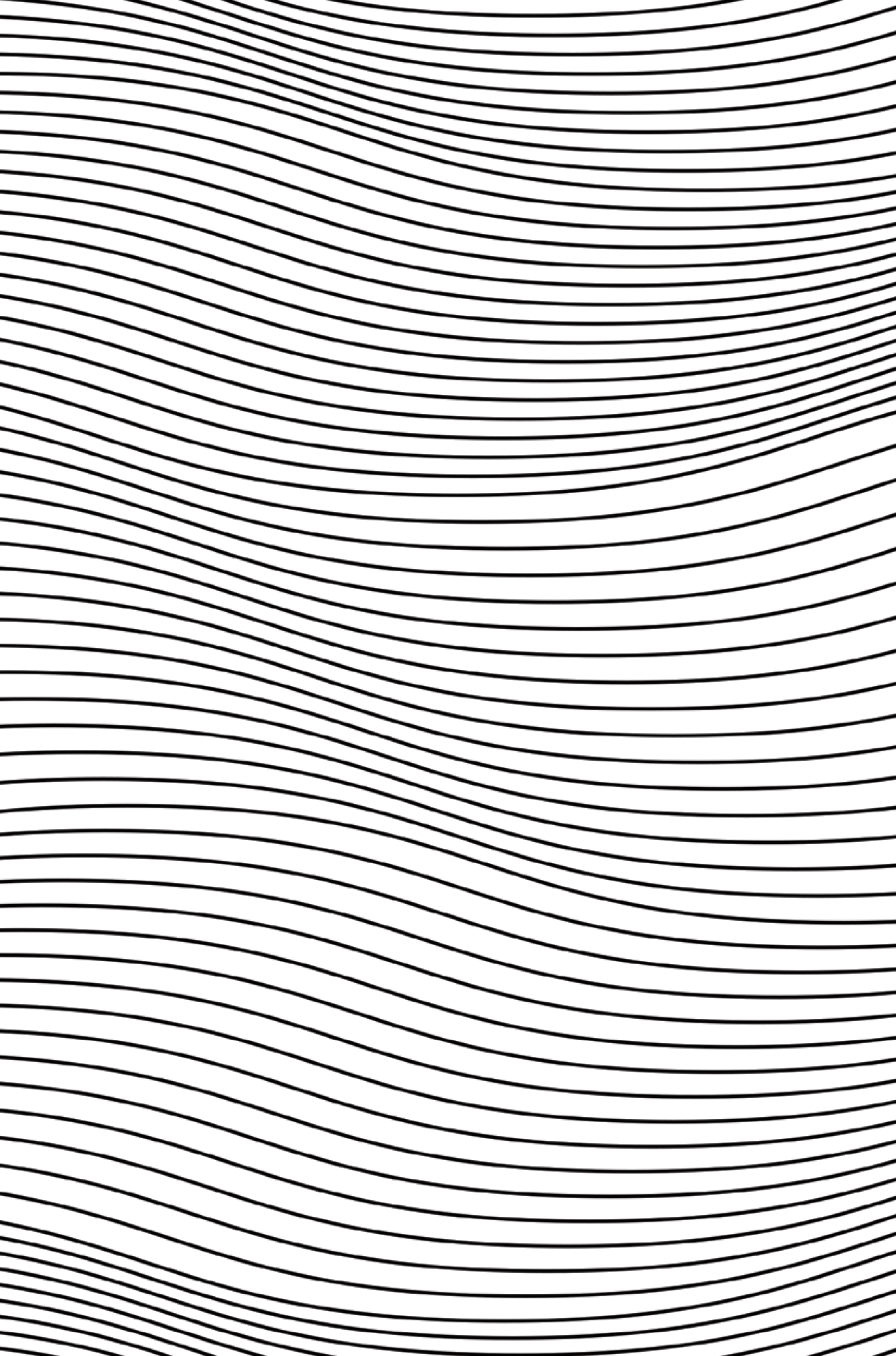

بَابٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ».

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا: مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ؛ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخِطَ؛ فَلَهُ السُّخْطُ» حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

* **الإفادات:**

بَابٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ

أتى به الْمُصَنِّف لبيان حال الموحِّد عند البلاء

الصبر لغة: الحبس، وأما في الشرع: فهو حبس النفس على طاعة الله تَعَالَى وترك معصيته.

أقسام الصبر ثلاثة:

- الصبر على طاعة الله حتى تُؤدَّى: وهذا من الصبر على الأوامر كالصلاة والصيام.

- الصبر عن معصية الله حتى تُجتنب: كاجتناب الشرك وسائر المُحرَّمات.

- الصبر على أقدار الله المؤلمة: كموت قريبٍ، وهذا يُقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: حب النفس عن الجزع.

النوع الثاني: حبس اللسان عن التشكي لغير الله.

النوع الثالث: حبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب.

أقسام الناس عند المصيبة أربعة:

- متسخطٌ (كبيرة، ويؤدي للكفر) بالقلب (يغضب)، واللسان (الدعاء بالويل والثُّبور)، والجوارح (اللطم والشَّقُّ والنَّتف).

- صابرٌ (واجب بالإجماع) بالقلب واللسان والجوارح، فهو ثقيلٌ عليه ويكرهه لكنَّه يتحمَّل ويصبر.

- راضٍ (مستحب) لتمام رضاه بربه، عند النعمة وضدها سواء، ينظر إليها باعتبارها قضاء من ربه.

- شاكر (أعلى المراتب) يرى أنها لتكفير السَّيِّئات وزيادة الحسنات والإيمان، وهناك مصائب أعظم منها.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ».

إصابة الإنسان بالمصائب:

تعتبر تكفير لسيئاته وتعجيلا للعقوبة في الدنيا، وَهـذَا خير من تأخيرها له في الآخرة.

قد تكون المصائب أكبر من المعائب ليصل المرء بصبره أعلى درجات الصابرين.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».

في الحديث بيَّن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ خصلتان في

النَّـاس همـا بهـم كفر:

- الخصلة الأولى: الطعن في الأنساب.

- الخصلـة الثانيـة -وهـي موضـع الشـاهد-: النياحة عَلَـى الميت، يعنـي: إظهـار الجـزع عَلَـى الميـت، والمطلـوب هـو الصبـر عَلَـى موت الأقـارب والأحبـاب؛ لأنـه مـن أقـدار اللـه، ولا يمنـع هـذَا أنَّ الإنسـان يتألـم ويبكـي، ولكـن لا يقـول إِلَّا مـا يرضـي الله.

وَفِـي صَحِيحِ مُسْـلِمٍ عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ الله صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَالَ: «اثْنَتَـانِ فِي النَّاسِ هُمَـا بِهِمْ كُفْـرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَـبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَـى المَيِّتِ».

وَلَهُمَـا عَـنِ ابْـنِ مَسْـعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْـسَ مِنَّا: مَـنْ ضَـرَبَ الْخُدُودَ، وَشَـقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَـا بِدَعْـوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

وَعَـنْ أَنَـسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّـهُ بِعَبْـدِهِ الْخَيْـرَ عَجَّـلَ لَـهُ بِالْعُقُوبَةِ فِـي الدُّنْيَـا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْـدِهِ الشَّـرَّ؛ أَمْسَـكَ عَنْـهُ بِذَنْبِهِ حَتَّـى يُوَافِيَ بِـهِ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ».

الغـرض مـن الحديـث: تسـلية المُصاب لئـلَّا يجزع، فإنـه قد يكون خيـرًا، وعـذاب الدنيا أهون من عذاب الآخـرة، فيحمد الله أنـه لم يؤخِّر عقوبته إِلَـى الآخرة.

وَقَـالَ النَّبِـيُّ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «إِنَّ عِظَـمَ الْجَـزَاءِ مَـعَ عِظَمِ الْبَـلَاءِ، وَإِنَّ اللَّـهَ تَعَالَـى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًـا ابْتَلَاهُـمْ، فَمَنْ رَضِـيَ؛ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَـخِطَ؛ فَلَـهُ السُّـخْطُ» حَسَّـنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

يُستفاد منه:

[١] كلَّما كان البلاء أشدَّ وصبر الإنسان صار الجزاء أعظم.

[٢] أنَّ الله إذا أحبَّ قومًا اختبرهم بما يقدِّر عليهم كونًا وشرعًا.

[٣] إثبـات المحبَّـة والسَّـخط والرِّضـا لله عَـزَّ وَجَلَّ مـع الحذر من التَّمثيـل أو التَّكييف.

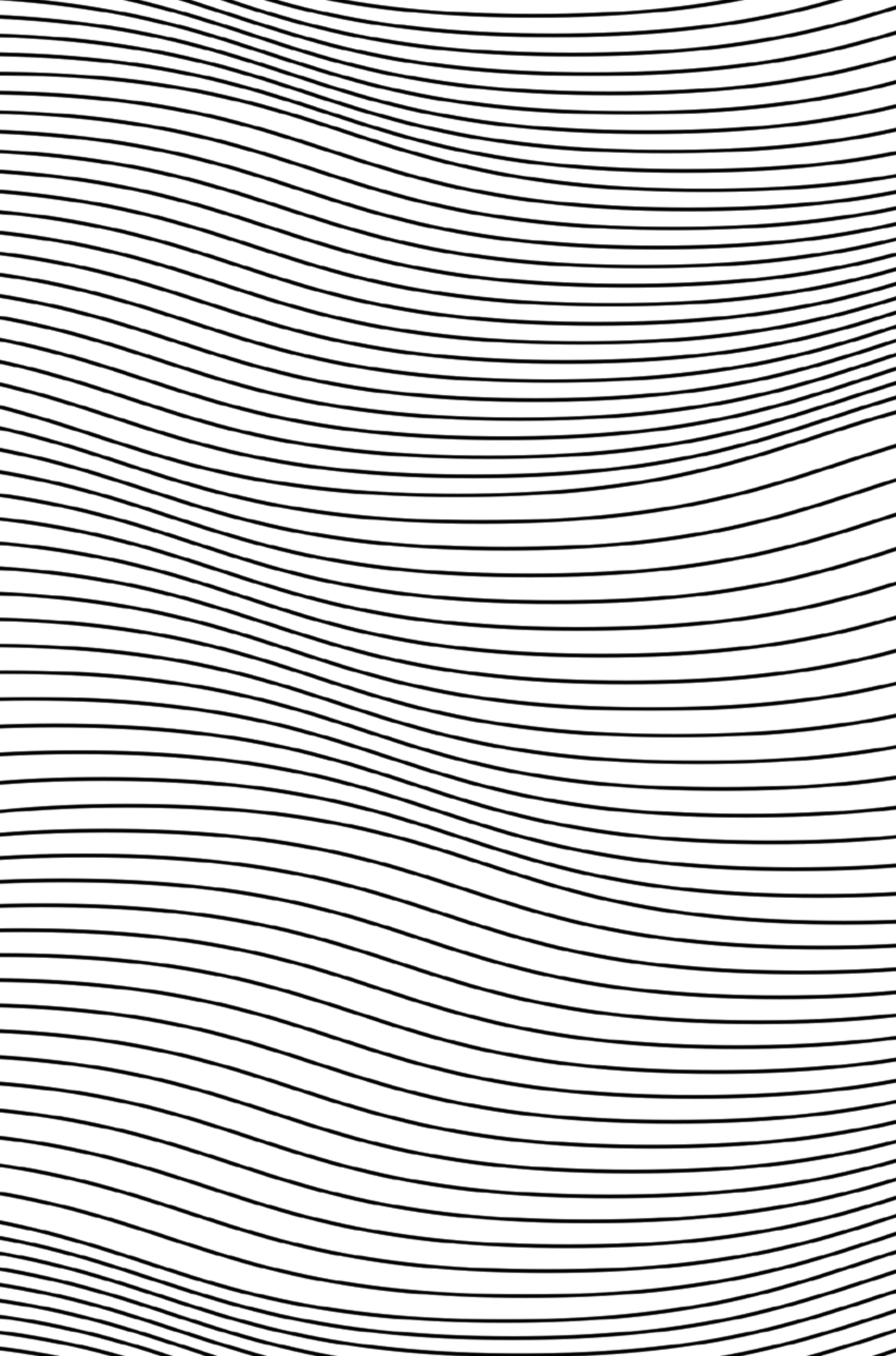

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَـوْلُ اللَّـهِ تَعَالَـى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهـف: ١١٠] الآيـة.

وَعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ مَرْفُوعًـا: «قَـالَ تَعَالَى: أَنَـا أَغْنَى الشُّـرَكَاءِ عَـنِ الشِّـرْكِ، مَـنْ عَمِـلَ عَمَـلاً أَشْـرَكَ مَعِـي فِيـهِ غَيْـرِي؛ تَرَكْتُـهُ وَشِـرْكَهُ». رَوَاهُ مُسْـلِمٌ.

وَعَـنْ أَبِـي سَـعِيدٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ مَرْفُوعًـا: «أَلَا أُخْبِرُكُـمْ مَـا هُـوَ أَخْـوَفُ عَلَيْكُـمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِـيحِ الدَّجَّـالِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «الشِّـرْكُ الْخَفِـيُّ؛ يَقُـومُ الرَّجُـلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّـنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَـا يَرَى مِنْ نَظَـرِ رَجُلٍ». رَوَاهُ أَحْمَـدُ.

❊ الإفادات:

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لبيـان عظـم خطـر الرِّيـاء عَلَـى المُوحِّـد، وأَنَّـه أخـوَفُ مـا يُخـاف منـه عَلَـى الصالحيـن.

الريـاء مأخـوذ مـن الرؤيا بـأن يزيِّـن العمل من أجـل أن يـراه النَّاس ويمدحـوه عليـه، أمـا السـمعة لما يسـمع مـن الأقـوال الَّتِي ظاهرهـا لله، والقصـد منهـا لغيـر اللـه كأن يقـرأ القـرآن أو يعـظ، وقصـد المتكلـم أن

يسمع النَّاس كلامه فيثنوا عليه.

والرياء يكون شركٌ أكبر إذا كان الإنسان يقصد بجميع أعماله مراءاة النَّاس، ولا يقصد وجه الله أبدًا، وَإِنَّمَا يقصد العيش مع المسلمين، وحقن دمه، وحفظ ماله، وَهذَا هو رياء المنافقين.

وقد يصدر الرياء من المؤمن في بعض أعماله وهو أن يكون العمل فيه قصدٌ لله وقصدٌ لغير الله، وهذا شركٌ أصغر، وهذا النوع له ثلاث حالات:

- الأولى: إذا كان الرياء مقصوداً في العمل من أوله، واستمر معه إلى آخره، فهذا عمل مردود، لا يقبله الله تعالى، وذلك كمن صلى وهو يحب أن يُمدح واستمر معه الرياء إلى آخر صلاته، فهذا لا تُقبل صلاته.

- الثانية: أن يكون أصل العمل لله ثم يطرأ عليه الرياء، فهذا إن تاب منه صاحبه في الحال ودفعه وأخلص العمل لله فإنه لا يضرّ صاحبه قولاً واحداً.

- الثالثة: أن يطرأ الرياء في أثناء العمل ويستمر معه، فهذا فيه خلاف بين العلماء، فمنهم من قال: إنه يحبط العمل، ومنهم من قال: إنه يُثاب على قدر نيته لله في هذا العمل.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] الآية.

في هـذِه الآيـة: أن العمـل لا يكـون صالحـاً ومتقبـلاً عنـد اللـه إلا بشـرطيْن:

- الشـرط الأول: الإخـلاص للـه عـز وجـل مـن الريـاء والسـمعة ومـن جميـع أنـواع الشـرك.

- الشـرط الثانـي: أن يكـون موافقـاً لسـنة رسـول اللـه صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، خاليـاً مـن البـدع والمحدثـات والخرافـات.

وَعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ مَرْفُوعًـا: «قَـالَ تَعَالَى: أَنَـا أَغْنَى الشُّـرَكَاءِ عَـنِ الشِّـرْكِ، مَـنْ عَمِـلَ عَمَـلاً أَشْـرَكَ مَعِـي فِيـهِ غَيْـرِي؛ تَرَكْتُـهُ وَشِـرْكَهُ». رَوَاهُ مُسْـلِمٌ.

وَعَـنْ أَبِـي سَـعِيدٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ مَرْفُوعًـا: «أَلَا أُخْبِرُكُـمْ مَـا هُـوَ أَخْـوَفُ عَلَيْكُـمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِـيحِ الدَّجَّـالِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «الشِّـرْكُ الْخَفِـيُّ؛ يَقُـومُ الرَّجُـلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّـنُ صَلَاتَهَ؛ لِمَـا يَرَى مِنْ نَظَـرِ رَجُلٍ». رَوَاهُ أَحْمَـدُ.

«أَنَا أَغْنَى» فيه معنيان:

[١] بطلان العمل الَّذِي صاحبه الرِّياء، وتحريم الرِّياء.

[٢] بيـان غنـى الله عَـزَّ وَجَـلَّ وعظم حقِّـه، وأنَّه لا يجـوز لأحدٍ أن يشرك شـيئًا معه.

لمـاذا خـاف النَّبِـيّ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ عليهـم من الرياء أشـد مـن المسـيح الدجال؟

(١) لأنَّ فتنـة الدَّجَّـال ظاهـرةٌ، وفتنـة الرِّيـاء خفيَّـةٌ، والتَّخَلُّـص من الرِّيـاء صعـبٌ جدًّا.

(٢) لأنَّ فتنـة الدَّجَّـال محصـورةٌ فـي آخـر الزَّمـان، بعكـس الرِّيـاء فتنتـه فـي كلِّ وقتٍ.

الشِّرْك نوعان:

١) خفيٌّ: ما كان في القلب مثل الرياء، ويُسمَّى شرك السَّرائر.

٢) جلـيٌّ: مـا كان بالقـول كالحلف بغيـر الله، أو بالفعـل كالانحناء لغيـر الله.

الريـاء: أن يعمـل عمـلًا حَتَّـى يـراه أو يسـمعه النَّـاس، وهـو مـن أخـلاق المنافقيـن.

- في أصل العبادة: يبطل العبادة.

- طارئ: فيه تفصيل:

- يدافعه صاحبه: فعل الواجب عليه، والعبادة صحيحةٌ.

- يسترسل فيه: فيه تفصيلٌ:

- أوّل العبادة متصلٌ بآخرها: مثل الصَّلَاة، فالعبادة باطلةٌ كلُّها.

- أوّل العبـادة مُنفصـلٌ عـن آخرهـا: كالـزكاة، فيبطـل الجـزء الَّذِي فيـه رياءٌ.

- بعـد الفـراغ مـن العبـادة: لا يؤثِّر فـي العبـادة شـيئًا إِلَّا إذا كان فيه عـدوانٌ كالمـنِّ والأذى بعـد الصَّدقة.

- ما هو علاج الرِّياء؟

[١] تعظيم اللـه بتعلُّـم التَّوحيـد والعمل بـه؛ لأنَّ الإنسـان لو عظَّم اللـه لا يبالـي بأحدٍ.

[٢] عـدم تـرك العمل خوفًا من الرِّيـاء؛ لأنَّ الشَّـيطان إِمَّا أن يوقعك فـي الرِّياء أو فـي الخوف مـن غير الله.

[٣] الْدُّعَاء.

[٤] إخفاء الأعمال خشية الوقوع في الرِّياء.

[٥] زيـارة القبـور الزِّيـارة الشَّـرعيَّة فإنَّهـا تُذكِّـر الآخـرة، والرِّيـاء يُعلِّـق الإنسـان بالدُّنيـا.

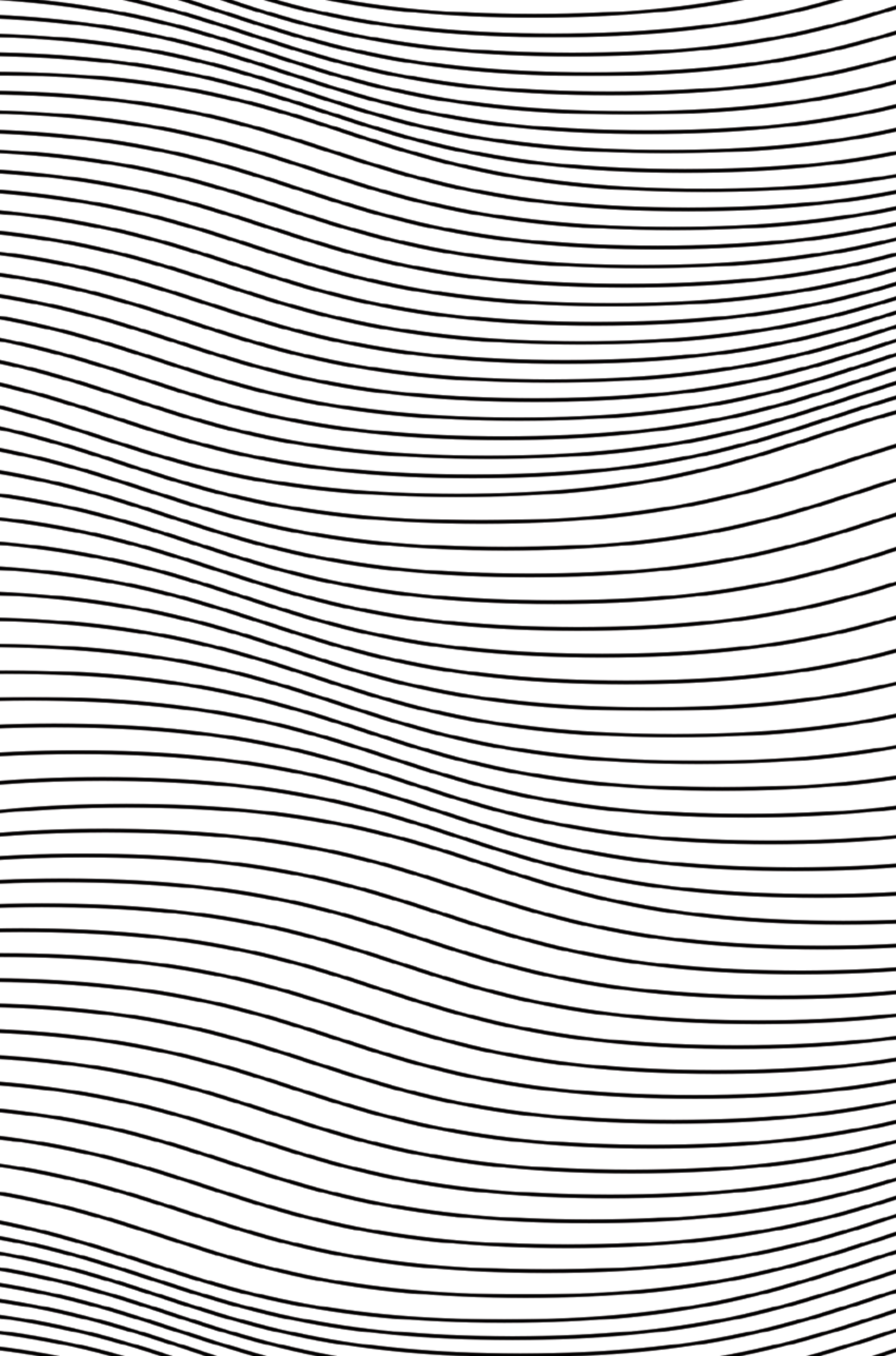

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥- ١٦] الْآيَتَيْنِ.

وفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ؛ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ؛ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ؛ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ؛ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ؛ لَمْ يُشَفَّعْ».

❁ الإفادات:

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

أتى به الْمُصَنِّف لبيان أنَّ من أراد الدُّنيا يعمل بعمل الآخرة وقع في الشِّرْك، وتفسير ذلك بأن يرضى ويسخط للدُّنيا.

فَهذَا الباب في من لا يريد أن يُمدح لعبادته ولا يريد الرِّياء، بل يعبد الله مخلصًا له، ولكنَّه يريد شيئًا في الدُّنيا؛ كالمال والمرتبة والصِّحَّة في نفسه وما أشبه ذلك، فهو يريد بعمله نفعًا في الدنيا،

غافـلًا عـن ثـواب الآخرة.

لا مانـع أن يدعو الإنسـان في صلاتـه، ويطلب أن يرزقـه الله المال، ولكـن لا يصلـي من أجـل هـذَا؛ فَهـذِه مرتبةٌ دنيئـةٌ، وهـي أن يريـد الدُّنيا بعمـل الآخرة.

تنبيـهٌ: بعـض النَّاس عندما يتكلَّمـون عَلَى فوائد العبـادات يحوّلونها إِلَـى فوائـد دنيويَّة، والمفـروض ألَّا نجعل الفوائـد الدُّنيويَّة هي الأصل.

هـذَا البـاب مـن أخطـر أبـواب الرِّيـاء؛ لأنَّ الريـاء قـد يطـرأ عَلَـى صـلاةٍ واحـدةٍ مثـلًا، أمَّـا إرادة الدنيـا بعمـل الآخرة فـإنَّ خطره يمتـدُّ إِلَى جميـع العبـادات.

أقسام النَّاس بالنسبة إِلَى هذَا الباب خمسة:

- يريد الدنيا بعمل الدنيا: وَهذَا جائزٌ، كمن يتاجر ليشتري منزلًا.
- يريد الآخرة بعمل الدنيا: وَهذَا مستحبٌّ، كمن يزرع ليتصدَّق.
- يريد الآخرة بعمل الآخرة: طوبى له، فَهذِه أعلى المراتب.
- يريد الدنيا والآخرة بعمل الآخرة: يصح بشرط أن يغلِّب الآخرة: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١].
- يريـد الدنيـا بعمل الآخرة: شـركٌ أصغـر، كمن يصلِّـي بِالنَّاسِ من أجل المال.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥- ١٦] الآيتين.

هذه الآية تشمل أنواعاً:

- النوع الأول: المشرك والكافر الذي يعمل أعمالاً صالحة في هذه الدنيا من إطعام الطعام وإكرام الجار، وبر الوالدَيْن والصدقات والتبرعات وجميع وجوه الإحسان، فهذا لا يؤجر على ذلك في الآخرة لأنها لم تبْنَ على التوحيد؛ فيُجازى بها في الدنيا وليس له في الآخرة إلا النار.

- النوع الثاني: المؤمن الذي يعمل أعمالاً من أعمال الآخرة، لكنه لا يريد بها وجه الله وإنما يريد بها طمع الدنيا، كالذي يحجّ ويعتمر عن غيره يريد أخذ العِوض والمال، وكالذي يتعلّم العلم الشرعي من أجل أن يحصل على وظيفة، فهذا عمله باطلٌ في الدنيا، وحابطٌ في الآخرة، وهو شركٌ أصغر.

- النوع الثالث: مؤمن عمل العمل الصالح مخلصاً لله عز وجل لا يريد به مالاً أو متاعاً من متاع الدنيا ولا وظيفة، لكن يريد أن يجازيه الله به، بأن يشفيه الله من المرض، ويدفع عنه العين والأعداء، فإذا كان هذا هو قصده فهذا قصدٌ سيء ويكون عمله هذا داخلاً في قوله تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾.

- والمفروض في المسلم: أن يرجو ثواب الآخرة، ويرجو أعلى مما في الدنيا، وتكون همّته عالية، وهو إن فعل ذلك أعانه الله على أمور الدنيا ويسّرها له، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

- النوع الرابع: من يعمل أعمالاً صالحة ثم يفسدها بالشرك، كأن يدعو غير الله من الموتى وأصحاب الأضرحة، كما عليه كثير من المنتسبين للإسلام اليوم.

وفِي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الفوائد قوله:

«أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ»: من الغبار في سبيل الله، فهو لا يهتمُّ بحاله ولا بدنه مادام هذَا ناتجًا عن طاعة الله، وقدمه مُغبَرَّة من السَّير في سبيل الله، والأثر الناشئ عن العبادة إذا لم يكن فيه تكلُّف يؤجر عليه؛ كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لخلوف فم الصائم».

«السَّاقَة»: يكون في مؤخرة الجيش، وللجملتين معنيان الحديث صالحٌ لهما:

[١] أنه لا يبالي أن وُضع، فلا يطلب رتبة أعلى كمُقدَّم الجيش مثلًا .

[٢] إن كان في الحراسة أدَّى حقَّها، وكذلك السَّاقَة.

«إِنْ اِسْتَأْذَنَ؛ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ؛ لَمْ يُشَفَّعْ»: ليس له جاهٌ ولا شرفٌ ولا مرتبةٌ عند النَّاس، وله عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

الشَّاهد: أنَّ من النَّاس من يعبد الدنيا، يغضب لها، والحديث قسَّم النَّاس إِلَى:

١) من ليس له همٌّ إِلَّا الدنيا بتحصيل المال أو تجميل الحال،

استعبدت قلبه فأشغلته عن ذكر الله وعبادته، فينقلب عليه الأمر ولا يتخلَّص من أدنى أذيَّة.

٢) أكبر همِّه الآخرة؛ فهو يسعى لها بأعلى ما يكون مشقَّةً، وهو الجهاد في سبيل الله، ومع ذلك أدَّى ما يجب عليه من كل الوجوه، ويعمه الخير فيشفع للنَّاسِ.

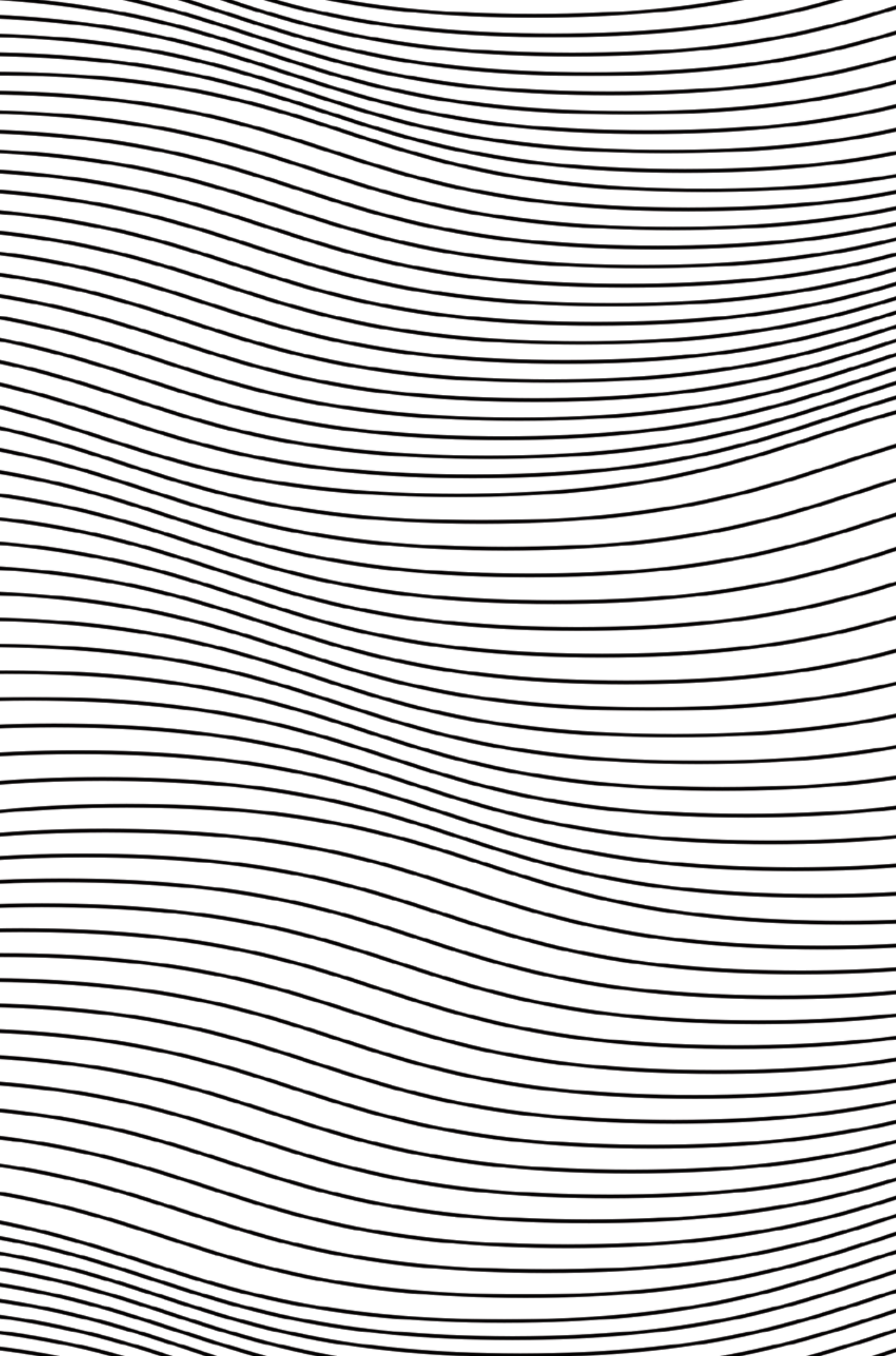

بَابُ مَنْ أَطَاعَ اَلْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ؛ فَقَدْ اِتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ

وَقَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ اَلسَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!».

وَقَالَ اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا اَلْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ١٦٣] الآية، أَتَدْرِي مَا اَلْفِتْنَةُ؟ اَلْفِتْنَةُ: اَلشِّرْكُ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ، أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ اَلزَّيْغِ؛ فَيَهْلَكَ.

وَعَنْ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ اَلنَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآية، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ! قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ؛ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ؛ فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاَلتِّرْمِذِيُّ

وَ حَسَّنَهُ.

*** الإفادات:**

بَابٌ مَنْ أَطَاعَ اَلْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ؛ فَقَدْ اِتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ

أتى به الْمُصَنِّف لبيان ما ينقض التَّوحيد من التَّحاكُم لغير الله، فلمَّا كان التَّحْلِيْل وَالتَّحْرِيْم حق لله تَعَالَى لا يشاركه فيه أحد، فإذا حلَّل الإنسان أو حرَّم شيئًا من غير دليل من كتاب الله أو سنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد جعل نفسه شريكًا لله، ومن أطاعه فقد أشركه مع الله في التشريع.

- حالات طاعة العلماء أو الأمراء في معصية الله عَزَّ وَجَلَّ:

- كفر أكبر: أن يتابعهم راضيًا بقولهم، مُقدِّمًا له، ساخطًا لحكم الله، فكلُّ من كره ما أنزل الله كفر، وكذلك لو اعتقد أنَّ حكمهم مساوٍ لحكم الله أو أفضل منه.

- كفرٌ أصغر وخطرٌ عظيمٌ، يوشك أن يقع في الكفر الأكبر: أن يتابعهم راضيًا بحكم الله وعالمًا بأنَّه أمثل وأصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوًى في نفسه اختاره؛ كأن يريد وظيفةً، وإذا اقتطع به حق مسلمٍ يكون ظالمًا.

- فيه تفصيلٌ بأن يتابعهم جاهلًا ويظن أنه حكم الله:

[١] أن يمكنه معرفة الحق بنفسه؛ فهو مُفرِّطٌ أو مُقصِّرٌ فهو آثمٌ.

[٢] أن لا يكـون عالمًـا ولا يمكنـه التَّعلُّم فيتابعهم تقليـدًا ويظنُّ أنَّ هـذَا هو الحـق، فلا شـيء عليه، وهـو معذور.

الْرَّبّ: هو المتصرف المالك تصرف قدري، وتصرف شرعي.

وَقَـالَ اِبْـنُ عَبَّـاسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا: «يُوشِـكُ أَنْ تَنْـزِلَ عَلَيْكُـمْ حِجَـارَةٌ مِـنَ اَلسَّـمَاءِ، أَقُـولُ: قَـالَ رَسُـولُ اللـهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وَتَقُولُـونَ: قَـالَ أَبُـو بَكْـرٍ وَعُمَـرُ؟!».

وَقَـالَ اَلْإِمَـامُ أَحْمَـدُ بْـنُ حَنْبَـلٍ رَحِمَـهُ اللَّـهُ: عَجِبْـتُ لِقَـوْمٍ عَرَفُـوا اَلْإِسْـنَادَ وَصِحَّتَـهُ، وَيَذْهَبُـونَ إِلَـى رَأْيِ سُـفْيَانَ، وَاللـهُ تَعَالَـى يَقُـولُ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النـور: ١٦٣] الآيـة، أَتَـدْرِي مَـا اَلْفِتْنَـةُ؟ اَلْفِتْنَةُ: اَلشِّـرْكُ لَعَلَّـهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ، أَنْ يَقَـعَ فِي قَلْبِهِ شَـيْءٌ مِـنَ اَلزَّيْـغِ؛ فَيَهْلَكَ.

وَعَـنْ عَـدِيٍّ بْـنِ حَاتِـمٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ: أَنَّـهُ سَـمِعَ اَلنَّبِـيَّ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يَقْـرَأُ هَـذِهِ الآيـة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبـة: ٣١] الآيـة، فَقُلْـتُ لَـهُ: إِنَّـا لَسْـنَا نَعْبُدُهُمْ! قَـالَ: «أَلَيْـسَ يُحَرِّمُـونَ مَـا أَحَـلَّ اللـهُ؛ فَتُحَرِّمُونَـهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَـرَّمَ اللهُ؛ فَتُحِلُّونَـهُ؟ » فَقُلْـتُ: بَلَى، قَـالَ: «فَتِلْـكَ عِبَادَتُهُـم» رَوَاهُ أَحْمَـدُ وَاَلتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

اختُلف في التقليد عَلَى ثلاثة أقوال:

- وجوب التقليد؛ لأنَّ الاجتهاد أُغلق بموت الأئمة الأربعة.

- التَّحْرِيْم مُطْلَقًا؛ لأنَّ فيه قبول من قوله ليس بحجَّةٍ.

- الجواز (الراجح) عند الضرورة وعدم القدرة عَلَى معرفة الأحكام، فيقلِّد من يثق بدينه وعلمه، ويأخذ بقوله في جميع المسائل، ولا يتتبع الرُّخص.

بَابُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ الْآيَاتِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] الآية.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ». قَالَ النَّوَوِيُّ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ «الْحُجَّة» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ».

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ؛ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ -عَرِفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ-. وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ -لَعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ-؛ فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] الآيَةَ.

وَقِيلَ: «نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اِخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكَذَلِكَ؟» قَالَ: نَعَمْ؛ «فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ»».

*** الإفادات:**

بَابُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ الآيات.

أتى به لإعانة المُوحِّد عَلَى فهم معنى الكفر بالطَّاغوت، وتفسير الإيمان الصَّادق والكاذب، فَهذَا الباب له صلة قويَّةٌ بما قبله؛ لأنَّ ما قبله فيه حكم من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرَّم الله أو تحريم ما أحلَّ الله، وَهذَا الباب فيه الإنكار عَلَى من أراد التحاكم إِلَى غير الله.

﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: إظهار في موضع الإضمار لثلاث فوائد:

[١] أنَّ هؤلاء الَّذِينَ يزعمون الإيمان كانوا منافقين.

[٢] أنَّ هذَا لا يصدر إِلَّا من منافقٍ؛ لأنَّ المؤمن حقًّا لَا بُدَّ أن ينقاد بدون صدود.

[٣] التَّنبيه؛ لأنَّ الكلام إذا كان عَلَى نسقٍ واحدٍ قد يغفل، فإذا

تغيَّـر السِّـياق انتبه.

قَـالَ شـيخ الإسـلام رَحِمَـهُ اللَّـهُ: إنَّ هذِه الآيـات تنطبق تمامًـا عَلَى أهـل التحريـف والتأويل في صفـات الله عَـزَّ وَجَلَّ؛ لأنَّ هـؤلاء يقولون: إنهـم يؤمنون بالله ورسـوله صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، وإذا قيـل لهم: تعالوا إلَـى مـا أنزل الله وَإِلَى الرسـول؛ يُعرضـون، ويصـدُّون، ويقولون: نذهب إلَـى فـلانٍ وفـلانٍ، وإذا اعتُرض عليهـم قالوا: نريـد الإحسـان والتَّوفيق، وأن نجمـع بين دلالـة العقل ودلالة السـمع.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] الآية.

الإفساد في الأرض نوعان:

(١) إفسادٌ حسِّيٌّ مادِّيٌّ: وذلك مثل هدم البيوت وإفساد الطُّرق.

(٢) إفسـادٌ معنـويٌّ: وذلـك بالمعاصـي؛ فهـي أكبـر الفسـاد فـي الأرض.

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ الاسـتفهام للتوبيـخ، أي: أفـلا يبغـون إلَّا حكـم الجاهليَّـة؟ والجاهليَّـة تحتمـل معنييـن: الَّتِي سـبقت الرِّسـالة، وَالَّتِـي تُبنـى عَلَـى الجهل.

عَـنْ عَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ عَمْـرو رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ». قَالَ النَّوَوِيُّ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ «الْحُجَّة» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ».

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ؛ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ -عَرِفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ-. وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ -لَعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ-؛ فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] الآيَة.

وَقِيلَ: «نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكَذَلِكَ؟» قَالَ: نَعَمْ؛ «فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ».

«لَا يُؤْمِنُ» أي: إيمانًا كاملًا، إِلَّا إذا كان لا يهوى بالكلية؛ فينتفي عنه الإيمان، الحديث ضعفه جماعة من أهل العلم، ولكن معناه صحيح .

«مَنَ الْمُنَافِقِينَ»: هو ممَّن يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

«اليَهُودِ»: هم المنتسبون إِلَى دين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسُمُّوا بذلك:

[١] لأنهم قالوا: (إِنَّا هُدنا إليك) أي: رجعنا.

[٢] أو نسبةً إِلَى أبيهم يهوذا.

«الرِّشْوَةَ» هي المال المدفوع للتَّوصُّل إِلَى شيءٍ.

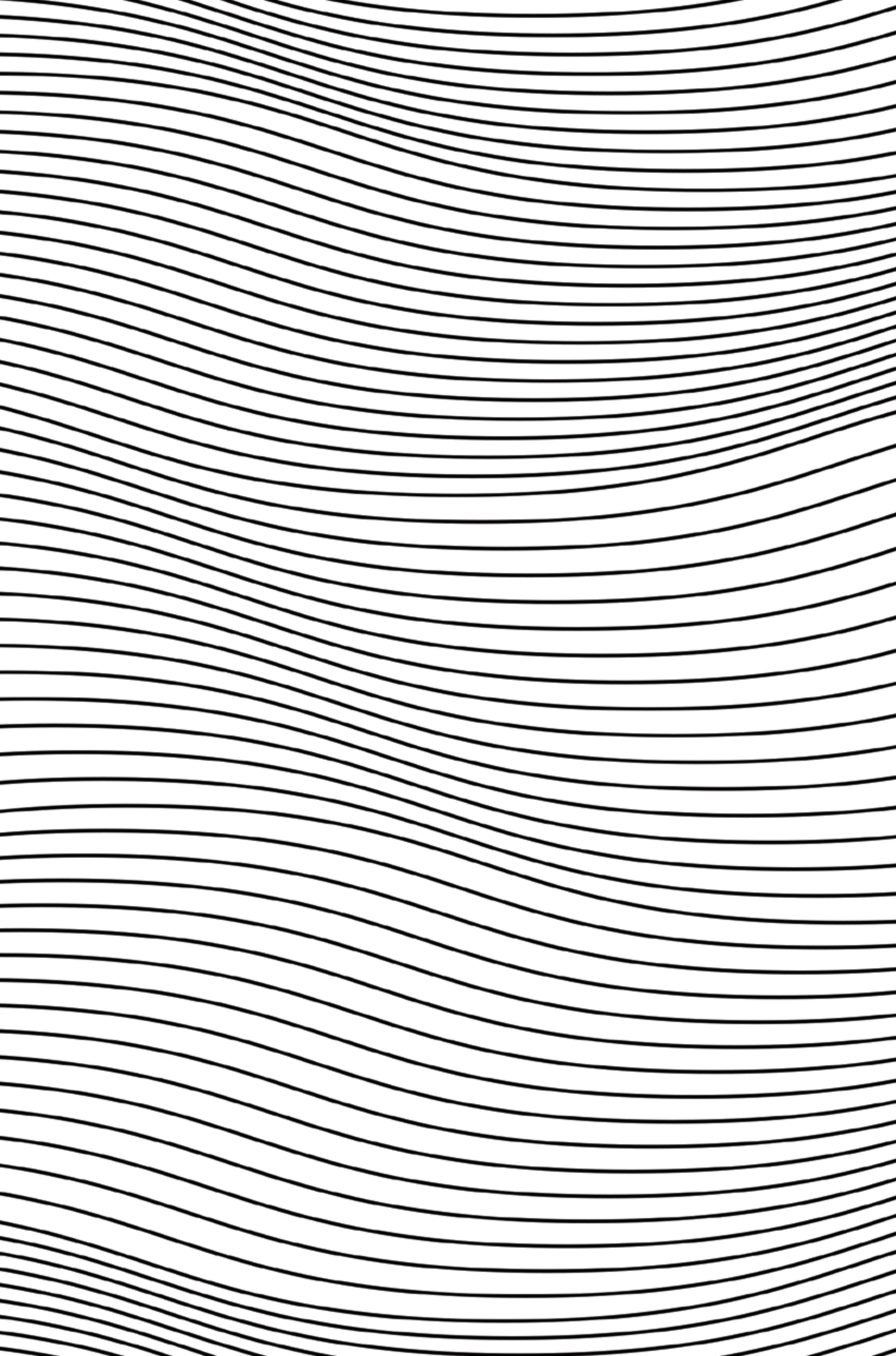

بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠] الآية.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟».

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً اِنْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصِّفَاتِ اِسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟! يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ!» اِنْتَهَى.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾.

*** الإفادات:**

بَابٌ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

أتى به الْمُصَنِّف لبيان نفي التوحيد عمَّن جحد شيئًا من الأسماء والصفات.

- والجحود هو الإنكار، والإنكار نوعان:

- إنكار تكذيب (كفرٌ بِلَا شَكٍّ): فمن أنكر اسمًا لله أو صفةً من صفاته الثابتة في الكتاب وَالسُّنَّة فهو كافر بالإجماع؛ لأنَّ تكذيب الله

ورسـوله كفرٌ مخـرجٌ من الملـة بالإجماع.

- إنكار تأويل: لا ينكرها، ولكن يتأولها إِلَى معنًى يخالف:

- مـا ليـس لـه مسـوّغٌ فـي اللُّغَـة؛ فَهـذَا يكفـر: كأن يقـول بـأنَّ اليد هـي السَّـموات، فَهـذَا يكفر؛ لأنه لا مسـوِّغ له فـي اللُّغَـة، ولا هو مقتضى الحقيقـة الشـرعية، فهـو منكـرٌ ومُكذِّبٌ.

- مـا لـه مسـوغٌ فـي اللُّغَـة؛ فَهـذَا لا يكفـر لكنـه عَلَى خطـر عظيم، ونـرد عليـه: كمـا لـو قَـالَ فـي قولـه: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائـدة: ٦٤] المـراد باليـد النِّعمـة، فلا يكفـر؛ لأنَّ اليـد في اللُّغَـة تُطلق بمعنـى النعمة، لكـن يُـردُّ عليه بـ:

(١) أنه مخالفٌ لظاهر النَّصِّ وإجماع السَّلف، وليس عليه دليلٌ.

(٢) أنَّ اليـد وُصفـت بأوصـافٍ لا يمكـن أن توصـف بهـا النعمة أو القـوَّة؛ كالتَّثنيـة والجمـع والقبـض والبسـط، ولا يكـون هـذَا للنّعمـة ولا للقوَّة.

(٣) أنَّ اللـه تَعَالَـى امتـنَّ عَلَـى آدم بأن خلقـه بيديه، ولـو كانت اليد بمعنـى النعمـة أو القوة ما كانـت مزيَّـة لآدم عَلَى جميـع المخلوقات.

توحيـد الأسـماء والصفـات: هـو إفـراد اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ بما سـمَّى ووصـف به نفسـه في كتابه أو عَلَى لسـان رسـوله صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، وذلـك بإثبـات مـا أثبتـه لنفسـه ونفي ما نفـاه عن نفسـه، من غيـر تحريفٍ ولا تعطيـلٍ ومـن غيـر تكييـفٍ ولا تمثيلٍ.

- لماذا قَالَ: (من غير تحريف) ولم يقل: (من غير تأويل)؟

- لأنَّ هذَا الَّذِي جاء في القرآن، فلا نعدل عنه.

- لأنَّه أقرب للعدل، فهم أهل تحريفٍ وليسوا أهل تأويل.

- تنفير النَّاس منهم؛ لأنَّ أهل التحريف لو وصفتهم بالتأويل فرحوا.

- التأويل ليس كلُّه مذمومًا، فما دلَّ عليه دليلٌ فهو صحيحٌ مقبولٌ، وما لم يدلَّ عليه دليلٌ فهو فاسدٌ مردودٌ، أمَّا التحريف فكلُّه مذمومٌ.

- لماذا نفى التمثيل ولم ينف التشبيه؟

- لأنَّ التمثيل هو الَّذِي جاء به القرآن وهو منفيٌّ مُطْلَقًا، بخلاف التشبيه.

- لأنَّ نفي التشبيه عَلَى الإطلاق لا يصحُّ، فكل موجودين لَا بُدَّ أن يكون بينهما قَدْرٌ مشتركٌ يشتبهان فيه ويتميَّز كلُّ واحدٍ بما يختصُّ به.

- النَّاس اختلفوا في مُسمَّى التشبيه، فجعل بعضهم إثبات الصفات تشبيهًا.

- الاسمُ: مُشتقٌّ إمَّا من:

(١) السُّمُو وهو الارتفاع، فالمُسمَّى يرتفع باسمه ويتبيَّن ويظهر.

(٢) من السِّمة وهي العلامة، فهو علامةٌ عَلَى مُسمَّاه.

- الفرق بين الاسم والصفة: أنَّ الاسم ما تَسمَّى به الله والصِّفة ما اتَّصف به.

- لماذا ندرس توحيد الأسماء والصِّفات؟

- حَتَّى نحقِّق التَّوحيد، بل لا يكون مُوحِّدًا حَتَّى يفرد الله بأنواع التَّوحيد الثَّلاثة.

- لأنَّ فيه حياة القلوب، وأعظم شيءٍ لحياتها وأشرف العلوم التَّعَرُّف عَلَى الله.

- دخول الجَنَّة؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «للهِ تسعةٌ وتسعون اسمًا، من أحصاها؛ دخل الجَنَّة».

- لأنَّ هذَا هو الأصل الَّذِي كان عليه السلف.

- حَتَّى لا نقع فيما وقعت فيه الفرق الضَّالَّة من التمثيل والتَّعطيل...

- لندعوا الله بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

- التحريف: تغيير ما يجب إثباته لله:

- معنويّ: مثل الَّذِي يقول بأنَّ اليد هي النعمة.

- لفظيّ: كتحريف لفظ الجلالة (اللهُ) إِلَى (اللهَ) في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فأنكروا صفة الكلام لله بزعمهم أنَّ الكلام من موسى، والرَّدُّ عليهم بسؤالهم عن قوله تَعَالَى:

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلا ردَّ لهم وتنقطع حجتهم.

- التعطيل: إنكار ما يجب لله من الأسماء والصفات.

- تعطيل جزئيٍّ: كالأشاعرة يثبتون بعض الصفات وينكرون البعض.

- تعطيل كليّ: كالجهميَّة عطَّلوا الله تَعَالَى عن جميع الصفات.

- التكييف: ويُسأل عنه بكيف ويكون:

- باللسان تعبيرًا: بأن يصف الشيء بلسانه.

- بالبنان تحريرًا: بأن يرسم الشّيء ببنانه.

- بالقلب تقديرًا: بأن يتصوَّر الشيء بقلبه.

- دلالات الاسم:

- المطابقة: وهي دلالته عَلَى جميع معناه المحيط به.

- التَّضَمُّن: وهي دلالته عَلَى جزء معناه.

- الالتزام: وهي دلالته عَلَى أمرٍ خارجٍ لازمٍ.

- كيف ندرس علم الأسماء والصفات؟

- العلم عبادة، وَلَا بُدَّ أن نسير عَلَى النهج الَّذِي سار عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- أن يكون الغرض من الدراسة تعظيم الله؛ ولذا لمَّا سُئل الإمام مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الاستواء طأطأ رأسه وعلاه العرق (لأنَّه سُئل عن عظيمٍ).

- لا نسأل عن أشياء لم يسأل عنها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- ذَكَرَ الدليل أوَّلًا ثُمَّ الاعتقاد ثانيًا، والمخالفون لأهل السُّنَّة يعتقدون أشياء ثُمَّ يبحثون لها عن أدلةٍ فلا يجدون لها، فيتخبَّطون ويقعون في البدع.

- نطبِّق طريقة الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (آمِنْ تَهْتَدِ)، فتؤمن بالله وما جاء عن الله عَلَى مراد الله، وتؤمن برسول الله وما جاء عن رسول الله عَلَى مراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- بعض ما يتعلَّق بالأسماء والصفات:

- أسماء الله ليست محصورة بعدد معين: والدَّليل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، وَأَمَّا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا» فليس معناه أنه ليس له إِلَّا هذِه الأسماء، بل كقول القائل: عندي مائة فرسٍ أعددتها للصدقة.

- أسماء الله أعلامٌ وأوصافٌ: وليست أعلامًا محضة، فهي من حيث دلالتها عَلَى ذات الله أعلامٌ، ومن حيث دلالتها عَلَى الصفة الَّتِي يتضمنها هذَا الاسم أوصاف، بخلاف أسمائنا؛ فقد يكون اسمه عليًّا وهو من أوضع النَّاس.

- أسماء الله مترادفةٌ متباينة: فهي مترادفة باعتبار دلالتها عَلَى ذات الله؛ لأنها تدل عَلَى مسمى واحد، فالسميع والبصير والحكيم كلُّها تدلُّ عَلَى مُسمّى واحد هو الله، لكنَّها متباينة باعتبار معانيها،

فمعنـى الحكيـم غيـر معنى السـميع.

- الاسـم من أسـماء اللـه يدلُّ عَلَـى الـذات وعَلَى المعنـى: فيجب علينـا أن نؤمـن بـه اسـمًا مـن الأسـماء، ونؤمـن بمـا تضمَّنـه مـن الصفة، ونؤمـن بمـا تـدلُّ عليـه هـذِه الصفـة مـن الأثـر والحكـم إن كان الاسـم متعديًـا؛ فمثـلًا: السـميع نؤمن بـأنَّ من أسـمائه تَعَالَـى السـميع، وأنه دالٌّ عَلَـى صفـة السـمع، وأنَّ لهـذا السـمع حُكمًـا وأثـرًا وهـو أنـه يسـمع به، أمَّـا إن كان الاسم غيـر مُتَعـدٍّ كالعظيـم والحـيّ والجليل؛ فنثبت الاسـم والصفـة، ولا حكـم يتعـدَّى إليه.

- الصفـات أوسـع مـن الأسـماء: لأنَّ كل اسـم متضمِّـنٌ لصفـةٍ، وليـس كلُّ صفةٍ تكون اسـمًا، فيوصـف الله بالكلام والإرادة، ولا يُسـمَّى بالمتكلِّـم والمريد.

- كلُّ مـا وصـف اللـه بـه نفسـه فهـو عَلَـى حقيقتـه، لكـن يُنـزَّه عن التمثيـل والتكييـف.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠] الآية.

وَفِـي صَحِيـحِ الْبُخَـارِيِّ قَـالَ عَلِيٌّ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ: «حَدِّثُـوا النَّاسَ بِمَـا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيـدُونَ أَنْ يُكَـذَّبَ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ؟!».

يجـب عَلَى الدَّاعـي أن ينظر في عقـول المَدعُوِّين ويُنزِّل كلَّ إنسـانٍ منزلتـه، ويُحـدِّث النَّاس بطريـقٍ تبلغه عقولهـم، وذلك بأن ننقلهـم رُويدًا رُويـدًا حَتَّـى يتقبَّلوا الحديـث ويَطْمَئِنُّوا إليه.

وَرَوَى عَبْـدُ الـرَّزَّاقِ عَـنْ مَعْمَـرٍ عَـنِ ابْـنِ طَـاوُسٍ عَـنْ أَبِيهِ عَـنِ ابْنِ

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً اِنْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصِّفَاتِ اِسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟! يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!» اِنْتَهَى.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

- يوصف القرآن بأنه:
- مُحكمٌ كلُّه: بمعنى الإتقان.
- مُتشابهٌ كلُّه: يشبه بعضه بعضًا ويصدِّق بعضه بعضًا.
- منه المُحكم ومنه المتشابه:

مُحكمٌ: اتضح معناه.

متشابه: لم يتضح معناه، ويُصدِّق بعضه بعضًا.

نسبي: قراءة الوصل.

مطلق: عَلَى قراءة الوقف.

- للتوبة خمسة شروط:
- الإخلاص لله تَعَالَى في توبته.
- أن تكون في وقت قبول التوبة.
- الندم عَلَى ما مضى من فعله.
- الإقلاع عن الذنب، ويتمنى أنه لم يكن.
- العزم عَلَى عدم العودة.

بَابُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآية.

قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ-: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي».

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا».

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا».

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ... » الْحَدِيثِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ-: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ».

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ.

*** الإفادات:**

بَابُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآية.

أتى به الْمُصَنِّف لبيان ما يجب عَلَى المُوحِّد تُجاه النِّعم.

قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ-: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ

آبَائِـي». وَقَـالَ عَـوْنُ بْـنُ عَبْـدِ اللَّـهِ: «يَقُولُونَ: لَـوْلَا فُـلَانٌ لَمْ يَكُـنْ كَذَا». وَقَـالَ ابْنُ قُتَيْبَـةَ: «يَقُولُونَ: هَـذَا بِشَـفَاعَةِ آلِهَتِنَا».

إضافة نعمة الخالق إِلَى غيره إجلالٌ بتوحيد:

[١] الربوبية: لأَنَّه أضافها إِلَى السَّبب عَلَى أنه فاعلٌ.

[٢] العبادة: لأَنَّه ترك القيام بالشُّكر.

- النعمة ابتلاءٌ، فكيف نسلم منها؟

قبـل أن تأتـي النِّعمـة: لَا بُـدَّ أن تُطلب مـن الله ويكـون تعلُّق القلب بـه، فبعـض النَّـاس يفكِّـر فـي أن يتعـرَّف عليـه الوزيـر أو الرَّئيـس ويُنعِم عليـه، فَالجَنَّـة لا تُطلـب إِلَّا مـن الله وكذلـك الرِّزق.

بعـد أن تأتـي النعمـة: فَـلَا بُـدَّ أن تشـكر المنعـم المتفضِّـل بالقلب واللسـان والجـوارح.

- أقسام النَّاس في إضافة النعمة:

- صحيـحٌ: بحيـث يضيفه إِلَى سـببٍ صحيح ثابتٍ شـرعًا أو حسًّـا، فَهذَا جائزٌ بشـرطين:

أن لا يعتقد أنَّ السَّبب مؤثِّرٌ بنفسه.

أن لا يتناسى شكر المُنعم.

- شـركٌ أصغـر: أن يضيفـه إِلَـى سـببٍ ظاهـرٍ، لكـن لم يثبـت كونه سـببًا لا شـرعًا ولا حسًّا.

- شركٌ أكبر: أن يكون سببًا خفيًّا لا تأثير له إطلاقًا.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ... » الْحَدِيثِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ-: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ».

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ.

- لولا فلان لم يكن كذا:

- إذا أراد الخبر وكان صدقًا مطابقًا للواقع؛ لا بأس.

- إذا أراد لسبب، فله ثلاث حالات:

- سببًا خفيًّا لا تأثير له إطلاقًا (لولا الولي الفلاني...) شركٌ أكبر.

- يضيفه إِلَى سبب صحيح ثابت شرعًا وحسًّا (جائز بشرط أن لا يعتقد أن الشرط مؤثر بنفسه).

- يضيفه إِلَى سببٍ ظاهر، لكن لم يثبت كونه سببًا لا شرعًا ولا حسًّا (نوع من الشِّرْك الأصغر مثل: التولة والقلائد).

- شكر الله على النعمة يقوم عَلَى ثلاثة أركان -كما يقول العلماء-:

- الركن الأول: التحدث بها ظاهراً، كما قال تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١].

- الركن الثاني: الاعتراف بها باطناً، يعني: أن تعترف بقرارة نفسك أنها من الله تَعَالَى، فيكون قلبك موافقاً للسانك بالاعتراف أنها من الله.

- الركن الثالث: صرف هذه النعمة في طاعة موليها ومسديها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتستعين بها على طاعة الله وعبادته ولا تسخرها لمعصية الله، وَإِلَّا فلا تكون شاكراً لها.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -فِي الْآيَةِ-: «الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانة، وَحَيَاتِي، وَتَقُولَ: لَوْلَا كَلْبَةُ هَذَا؛ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ، لَأَتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لِصَاحِبِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَقَوْل الرَّجُلِ لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا؛ هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لِأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا».

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ: «أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَعُوذُ

بِاللَّـهِ وَبِـكَ، وَيَجُـوزُ أَنْ يَقُـولَ: بِاللَّـهِ ثُـمَّ بِـكَ»، قَـالَ: «وَيَقُولُ: لَـوْلَا اللَّهُ ثُـمَّ فُـلَانٌ، وَلَا تَقُولُـوا: لَـوْلَا اللَّـهُ وَفُلَانٌ».

❊ **الإفادات:**

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

أتى به الْمُصَنِّف لبيان حال المُوحِّد من الحلف بالله لا بغيره، والفرق بين الواو وثُمَّ.

لا تجعلوا له أندادًا في العبادة وأنتم تعلمون أنَّه لا أنداد له في الرُّبوبيَّة، وَهذِه الآية فيها أوَّل أمرٍ ونداءٍ بالتَّوحيد وأوَّل نهيٍ عن الشِّرْك في القرآن.

وَقَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْآيَةِ: «الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانة، وَحَيَاتِي، وَتَقُولَ: لَوْلَا كَلْبَةُ هَذَا؛ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ، لَأَتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لِصَاحِبِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَقَوْل الرَّجُلِ لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا؛ هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ» رَوَاهُ اِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

«أخفى من... »: وَهذَا أبلغ ما يكون في الخفاء، فإذا كان الشِّرْك في قلوب بني آدم أخفى من هذَا؛ فنسأل الله أن يعيننا عَلَى التخلص منه .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَـفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَـرَ أَوْ أَشْـرَكَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّـنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَقَـالَ ابْـنُ مَسْـعُودٍ: «لِأَنْ أَحْلِـفَ بِاللَّـهِ كَاذِبًـا أَحَـبُّ إِلَـيَّ مِـنْ أَنْ أَحْلِـفَ بِغَيْـرِهِ صَادِقًـا».

«كَفَـرَ أَوْ أَشْـرَكَ» كفـرًا أو شـركًا أكبـر إن اعتقـد أنَّ المَحلـوف بـه مسـاوٍ للـه فـي التعظيـم والعظمـة، وَإِلَّا فهـو أصغـر.

ابـن مسـعودٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ لا يحـبُّ هـذَا ولا هـذَا، لكـنَّ سـيئة الشِّـرْك أعظـم مـن سـيئة الكـذب؛ لأنَّ الشِّـرْك لا يُغفـر.

وَعَـنْ حُذَيْفَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ عـن النَّبِـيّ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «لَا تَقُولُـوا: مَا شَـاءَ اللَّهُ وَشَـاءَ فُـلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُـوا: مَا شَـاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَـاءَ فُـلَانٌ». رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ بِسَـنَدٍ صَحِيحٍ.

وَجَـاءَ عَـنْ إِبْرَاهِيـمَ النَّخَعِـيِّ: «أَنَّـهُ يَكْـرَهُ أَنْ يَقُـولَ الرَّجُـلُ: أَعُـوذُ بِاللَّـهِ وَبِـكَ، وَيَجُـوزُ أَنْ يَقُـولَ: بِاللَّـهِ ثُـمَّ بِـكَ»، قَـالَ: «وَيَقُولُ: لَـوْلَا اللَّهُ ثُـمَّ فُـلَانٌ، وَلَا تَقُولُـوا: لَـوْلَا اللَّـهُ وَفُلَانٌ».

«وَلَكِـنْ قُولُـوا»: الشَّـرع إذا أغلـق بـاب المُحـرَّم فتح بـاب الجواز، حَتَّـى يسـهل تـرك المُحـرَّم، وَحَتَّى نعلم سـموَّ الشَّـريعة.

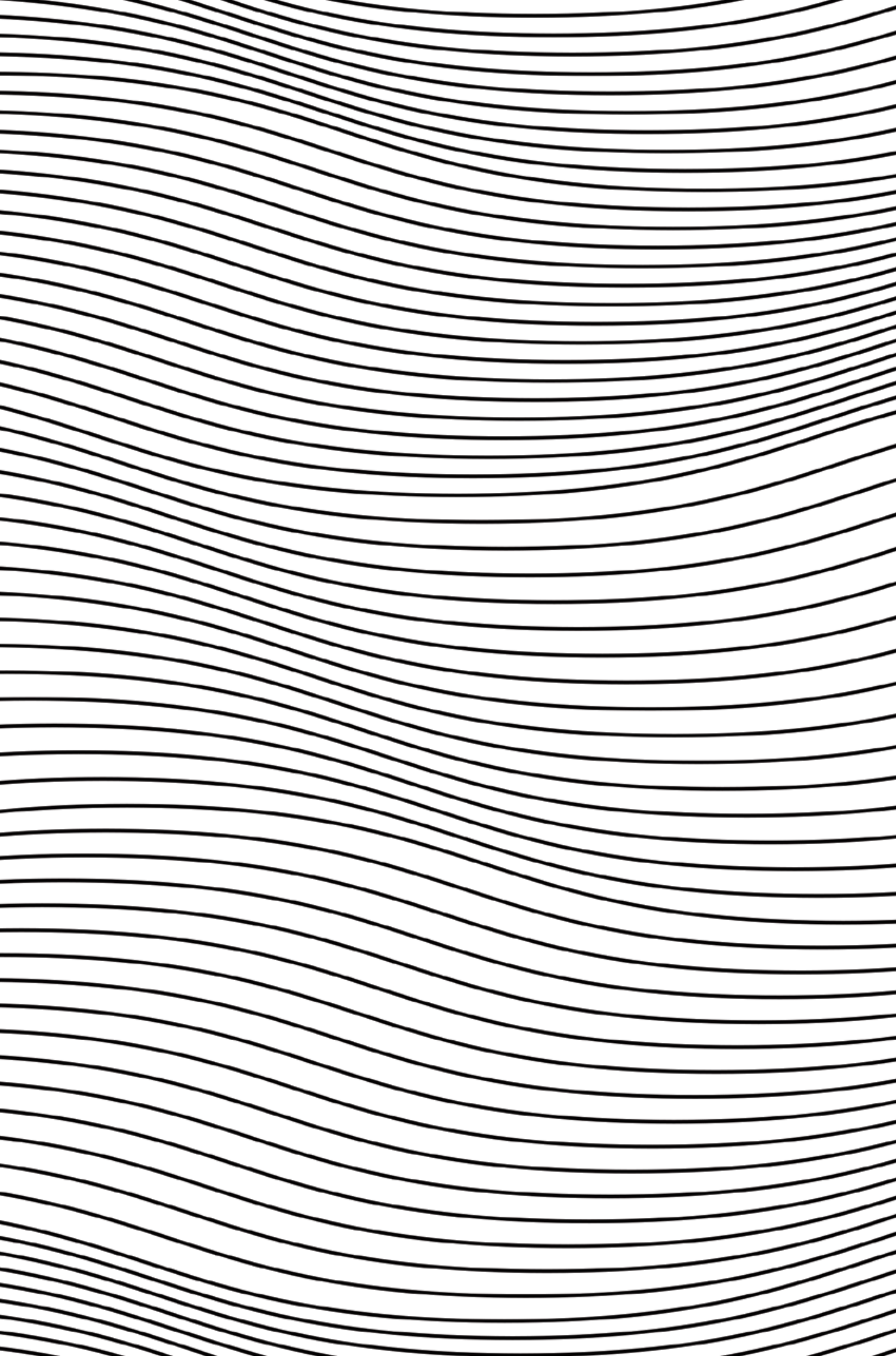

بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ

عَـنْ اِبْـنِ عُمَـرَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا: أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «لَا تَحْلِفُـوا بِآبَائِكُـمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّـهِ فَلْيَصْـدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَـهُ بِاللَّـهِ، فَلْيَـرْضَ، وَمَنْ لَـمْ يَرْضَ؛ فَلَيْـسَ مِنَ اللَّـهِ» رَوَاهُ اِبْنُ مَاجَهْ بِسَـنَدٍ حَسَنٍ.

❋ الإفادات:

بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لبيـان حـال عظمـة اللـه فـي قلـب المُوحِّـد عند الحلـف لـه به.

الحالـف أكَّـد مـا حلـف عليـه بالتعظيـم باليميـن، وهـو تعظيـم المحلـوف بـه؛ فيكـون عـدم الاقتنـاع بالحلـف باللـه فيه شـيءٌ من نقص تعظيـم اللـه، وَهـذَا ينافـي كمـال التوحيـد.

عَـنْ اِبْـنِ عُمَـرَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا: أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «لَا تَحْلِفُـوا بِآبَائِكُـمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّـهِ فَلْيَصْـدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَـهُ بِاللَّـهِ، فَلْيَـرْضَ، وَمَنْ لَـمْ يَرْضَ؛ فَلَيْـسَ مِنَ اللَّـهِ» رَوَاهُ اِبْنُ مَاجَهْ بِسَـنَدٍ حَسَنٍ.

أقسام الاقتناع بالحلف بالله:

- شرعًا: يجب الرِّضا بالحلف بالله فيما إذا توجهت اليمين عَلَى المُدَّعى عليه فحلف، بمقتضى الحكم الشَّرعيّ.

- حسًّا: المَحلوف له لا يخلو من أحوالٍ خمسة:

(١) أن يعلم كذبه؛ فلا يلزمه تصديقه.

(٢) أن يترجَّح كذبه؛ فلا يلزم تصديقه.

(٣) أن يتساوى الأمران.

(٤) أن يترجَّح صدقه؛ فيجب أن يصدِّق.

(٥) أن يعلم صدقه؛ فيجب أن يصدِّقه.

بَابُ قَوْلُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ

عَنْ قُتَيْلَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، وَأَنْ يَقُولُوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ! مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ».

وَلِابْنِ مَاجَهْ عَنِ الطُّفَيْلِ -أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا- قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ.

قَالُوا: وَأَنْتُمْ، لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ !

ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنْ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ!

قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ .

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ

عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فَأَخْبَرْتُـهُ، قَـالَ: «هَلْ أَخْبَـرْتَ بِهَا أَحَـدًا؟» قُلْتُ: نَعَـمْ، قَالَ: فَحَمِـدَ اللَّـهَ وَأَثْنَـى عَلَيْـهِ، ثُمَّ قَـالَ: «أَمَّا بَعْـدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْـلاً رَأَى رُؤْيَـا، أَخْبَرَ بِهَـا مَـنْ أَخْبَـرَ مِنْكُـمْ، وَأَنَّكُـمْ قُلْتُـمْ كَلِمَـةً يَمْنَعُنِـي كَـذَا وَكَـذَا أَنْ أَنْهَاكُـمْ عَنْهَـا، فَـلَا تَقُولُـوا: مَا شَـاءَ اللَّهُ وَشَـاءَ مُحَمَّـدٌ، وَلَكِـنْ قُولُوا: مَا شَـاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ».

* **الإفادات:**

بَابُ قَوْلُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ

أتى به الْمُصَنِّف ليُحذِّر المُوحِّد من التَّشريك في المشيئة.

وفـي حديـث قُتَيْلَـةَ وحديـث اِبْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا مـن الفوائـد مـا يلـي:

- لماذا سُمِّي اليهود بهذا الاسم؟

(١) لأنهم قالوا: (هدنا إليك) أي: رجعنا.

(٢) لأنَّ جدَّهم اسمه يهوذا بن يعقوب.

الحديث اَلْأَوَّل فيه فوائد منها:

[١] عـدم إنـكاره صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ عَلَـى اليهـوديّ مـع أنـه قصـده الـذَّمُّ؛ لأنَّ مـا قالـه حـقٌّ.

[٢] مشـروعيَّة الرُّجـوع إِلَى الحـقِّ وإن كان الَّذِي نبَّـه عليه ليس من أهل الحقّ.

[٣] ينبغي عند تغيير الشيء أن يغيَّر إِلَى شيءٍ قريبٍ منه.

- كيف لم يُنبِّه عَلَى هذَا العمل إِلَّا هذَا اليهوديّ؟

الحكمة ابتلاء هؤلاء اليهود الَّذِينَ انتقدوا المسلمين مع أنهم يشركون شركًا أكبر، ولا يرون عيبهم.

وفي حديث الطُّفَيْلِ -أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا- من الفوائد:

- أن الرؤيا ثلاثة أنواع:

- رؤيا حق: وهي ما يجري عَلَى يد ملك الرؤيا.

- رؤيا من الشيطان: ليكدّر عَلَى الإنسان.

- رؤيا حديث النَّفس: ذلك أنَّ الإنسان يفكر أو يهتم بأشياء في اليقظة، فإذا نام تعرض له في نومه، وَهذَا أضغاث أحلام.

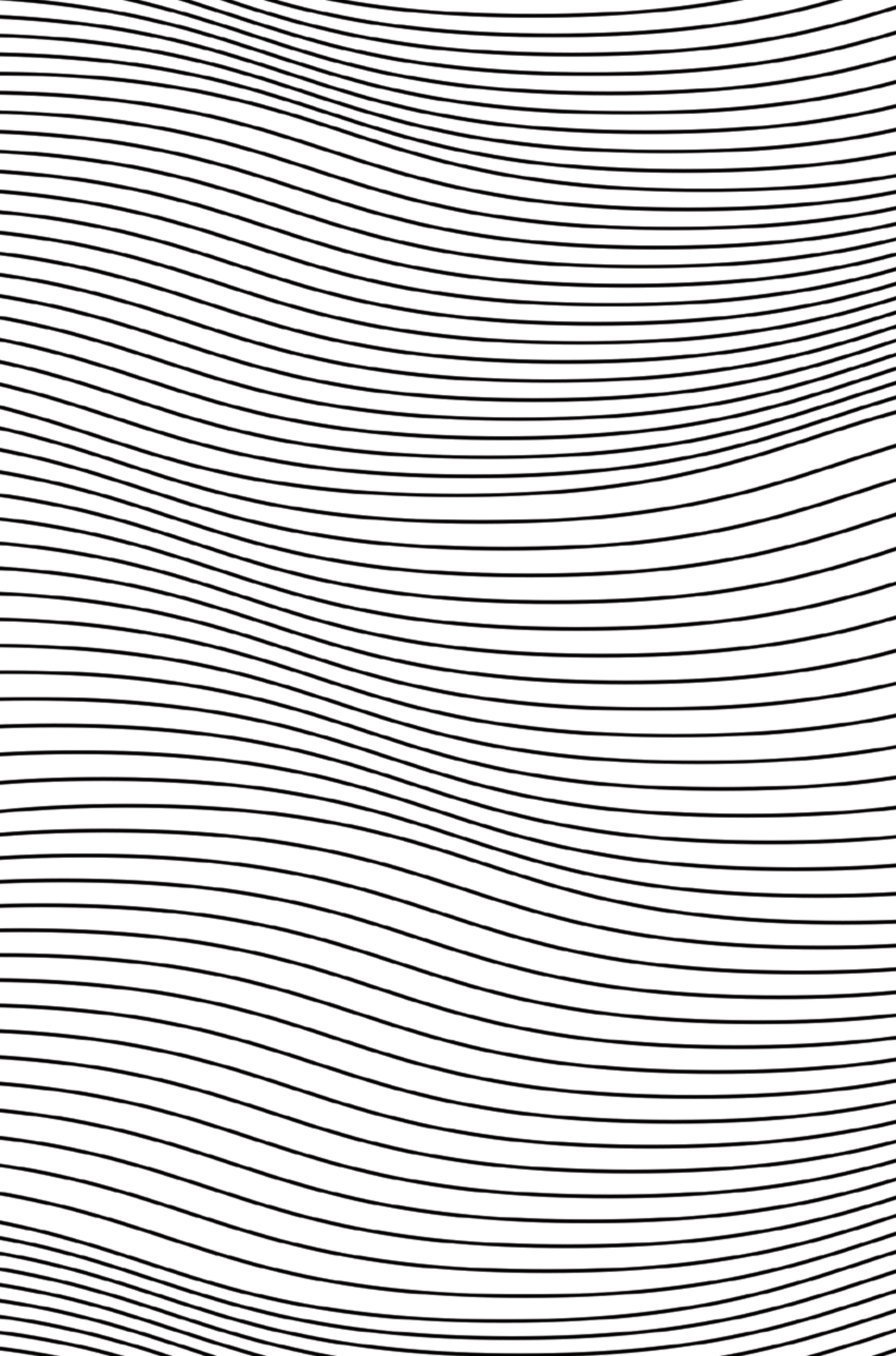

بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] الآية.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

*** الإفادات:**

بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ

أتى به الْمُصَنِّف لتحذير المُوحِّد أن من يسُبَّ شيئًا فيكون بذلك سابًّا للَّذِي أمره وسخَّره.

«فَقَدْ آذَى اللَّهَ» لا يلزم من الأذيَّة الضَّرر؛ فالإنسان يتأذَّى بسماع القبيح، ولكن لا يتضرَّر بذلك، ولهذا أثبت الله الأذيَّة في القرآن، ونفى أن يضرَّه شيءٌ.

- أقسام سبِّ الدهر:

- شركٌ أكبر: أن يسبَّ الدهر عَلَى أنه هو الفاعل، كأن يعتقد أنه هو الَّذِي يُقلِّب الأمور إِلَى الخير والشَّرِّ.

- مُحـرَّمٌ: أن يسـبَّ الدَّهـر لا لاعتقـاده أنَّه هو الفاعل، بـل يعتقد أنَّ اللـه هـو الفاعل، لكن يسـبُّه لأنَّه محـلٌّ لهذا الأمـر المكروه.

- جائـزٌ: أن يقصـد الخبر المحـض دون اللَّوم، كأن يقـول: تعبنا من حـرّ هذَا اليوم، ومنه قـول: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٌ ﴾.

وَقَـوْلُ اللَّـهِ تَعَالَـى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ [الجاثيـة: ٢٤] الآية.

وَفِـي الصَّحِيـحِ عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ عَـنِ النَّبِـيِّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «قَـالَ اللَّهُ تَعَالَـى: يُؤْذِينِي ابْـنُ آدَمَ؛ يَسُـبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْـرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْـلَ وَالنَّهَارَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

- هل الدَّهر من أسماء الله؟

ليس من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ الدّهر، وذلك لأسباب:

[١] سـياق الآيـة يردُّه، ولـو كان من أسـمائه لكان اعتقـادًا الجاهليَّة صحيحًا.

[٢] سياق الحديث يردُّ هذَا أيضًا.

[٣] من جعل الدَّهر هو (الله) فقد جعل المَخلوق هو الخالق.

[٤] أسـماء اللـه كلُّها حُسـنى بالغةٌ في الحسـن أكمله، ولهـا معنًى، والدَّهر لا حُسـن فيه.

[٥] أسماء الله كلُّها مُشتقَّةٌ، والدَّهر اسمٌ جامدٌ.

[٦] جاء النَّهي عن سبِّ الدَّابَّة والرِّيح والحُمَّى.

بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اِسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى: مَلَكَ الْأَمْلَاكِ؛ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهَ».

قَالَ سُفْيَانُ: «مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ».

قَوْلُهُ: «أَخْنَعُ» يَعْنِي أَوْضَعَ.

*** الإفادات:**

بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

أي كوضع الشَّخص لنفسه هـذَا الاسم، أو رضاه به من غيره، وقد أتى به الْمُصَنِّف لتحذير المُوحِّد من التَّعدِّي عَلَى جانب الرُّبوبيَّة.

- ما حكم التَّسَمِّي بقاضي القضاة؟

- كبيرةٌ إن قصد به مُجرَّد التسمية.

- شركٌ أكبر إذا اعتقد بأنَّه قاضٍ عَلَى كلِّ قاضي حَتَّى عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ.

- جائزٌ والأفضل ألَّا يفعل إن قيَّدناه وحصرناه بطائفةٍ أو بلدٍ أو

زمانٍ.

فِـي الصَّحِيـحِ عَنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ عَـنِ النَّبِـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اِسْـمٍ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ تَسَـمَّى: مَلَـكَ الْأَمْلَاكِ؛ لَا مَالِـكَ إِلَّا اللَّهَ». قَالَ سُـفْيَانُ: «مِثْلُ شَـاهَانْ شَـاهْ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ».

قَوْلُهُ: «أَخْنَعُ» يَعْنِي أَوْضَعَ.

«أَخْنَـعُ»: عُوقـب بنقيـض قصـده، ومثله كلُّ مـا دلَّ عَلَـى الجبروت والسُّـلطة والتعظيم.

«أَغْيَـظُ»: فيـه إثبـات الغيـظ للـه، فهي صفـةٌ تليق بـه، والظَّاهـر أنَّها أشـدُّ مـن الغضب.

بَابُ اِحْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ».

فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اِخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ؛ فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ »، قُلْتُ: شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ » قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

* **الإفادات:**

بَابُ اِحْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

أتى به الْمُصَنِّف ليُبيِّن حال المُوحِّد من التَّأدُّب مع الله وأسمائه وصفاته ودينه وأنبيائه.

- أقسام أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ:

- مختصَّةٌ: ما لا يصحُّ إِلَّا لله، فَهذَا لا يُسمَّى به غيره، وإن سُمِّي به وجب تغييره، مثل: الله، الرحمن، ربُّ العالمين، وما أشبه ذلك.

- غير مختصَّة: ما يصحُّ أن يُسمَّى به غير الله، مثل: الرَّحيم والسَّميع والبصير، فإن لوحظت الصفة مُنِع من التَّسمِّي به، وإن لم

تُلاحظ الصفة جاز التسمي به عَلَى أنه علمٌ محضٌ.

عَنْ أَبِي شُرَيْح أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اِخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ؛ فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ »، قُلْتُ: شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ » قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

الكنية: ما صُدِّر بـ(أب) أو (أم) أو (أخ) أو (عم) أو (خال)، وَهذَا الاسم الَّذِي جُعل لهذا الرجل لوحِظ فيه معنى الصفة وهي الحكم، فصار بذلك مطابقًا لاسم الله، وليس لمجرَّد العلميَّة المحضة، بل للعَلَميَّة المُتضمنة للمعنى، وبهذا يكون مشاركًا لله في ذلك، ولهذا كنَّاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما ينبغي أن يُكنَّى به، ولم يأمره بإعادة العقيقة.

بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة: ٦٥] الآية.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ-: أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ-.

فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيقِ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَـلَّمَ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾؟ مَـا يَلْتَفِـتُ إِلَيْهِ، وَمَـا يَزِيـدُهُ عَلَيْهِ.

*** الإفادات:**

بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ

أتـى بـه الْمُصَنِّف لبيان نفـي أصل التَّوحيـد عن المُسـتهزئ، وكيفيَّة التَّعامُـل معه، ووجوب حفظ اللسـان.

من سـخر واسـتهزأ بالله أو بآياته الكونيَّة أو الشـرعيَّة أو برسـله كفر كفـرًا أكبـر؛ لأنَّ مُنافاةَ الاسـتهزاء للإيمان منافاةٌ عظيمـة، والكفر كفران:

- كفر معارضة: وهو أعظم وأشدُّ، ككفر أبي جهلٍ وأبي لهبٍ.

- كفـر إعـراض: لا يدخـل فـي دين اللـه، ولا يتعرَّض لـه بالإرصاد والمحاربة.

والمسـتهزئ كافـرٌ كفـر معارضـةٍ؛ فهـو أعظـم ممَّـن يسـجد لصنمٍ فَقَـطْ، وَهـذِه المسـألة خطيـرةٌ جدًّا، فـرُبَّ كلمـةٍ أوقعت بصاحبهـا البلاء بـل والهـلاك وهو لا يشـعر، فقد يتكلَّـم الإنسـان بالكلمة من سـخط الله لا يلقـي لهـا بـالًا يهـوي بها فـي النَّار.

فمـن اسـتهزأ بِالصَّـلَاةِ -ولـو نافلـةً-، أو بِالـزَّكَاةَ، أو الصـوم، أو الحـجّ؛ فهـو كافـرٌ بإجمـاع المسـلمين، كذلـك مـن اسـتهزأ بالآيـات الكونيَّـة بـأن قَـالَ مثـلًا: إنَّ وجـود الحـرِّ فـي أيَّـام الشِّـتاء سَـفهٌ، أو قَالَ: إنَّ وجـود البـرد فـي أيام الصيف سَـفَهٌ؛ فَهـذَا كفرٌ مخـرجٌ مـن الملَّة؛ لأنَّ

الْـرَّبَّ تَعَالَـى كلُّ أفعالـه مبنيَّـةٌ عَلَى الحكمـة، وقد لا نسـتطيع بلوغها، بل لا نسـتطيع بلوغهـا.

العلمـاء اختلفـوا فيمن سَـبَّ الله أو رسـوله أو كتابه هـل تُقبل توبته عَلَى قولين:

- لا تقبـل، ويقتلـه السـلطان: ولا يُصلَّـى عليـه، ولا يُدعـى لـه بالرحمـة، ويُدفَـن فـي محـلّ بعيـدٍ عـن قبـور المسـلمين، ولـو قَـالَ إنَّـه تـاب؛ لأنَّ هـذِه ردَّةٌ أمرهـا عظيـمٌ وكبيـرٌ لا تنفـع فيهـا التوبـة.

- تُقبل بشروط:

[١] أن نعلم صدق توبته.

[٢] أن يُثني عَلَى الله.

[٣] وأن يتبرأ مِمَّا قَالَ.

لكـن سـابُّ النَّبِـيّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ تُقبـل توبته ويجـب عَلَى السُّـلطان قتلـه لحقِّـه صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، فـإذا قتـل غسـلناه وكفناه وصلينـا عليـه ودفنـاه مع المسـلمين.

وَقَـوْلُ اللَّهِ تَعَالَـى: ﴿ وَلَـئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبـة: ٦٥] الآية.

وَعَـنِ ابْـنِ عُمَـرَ وَمُحَمَّـدِ بْـنِ كَعْبٍ وَزَيْـدِ بْـنِ أَسْـلَمَ وَقَتَـادَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُـمْ -دَخَـلَ حَدِيـثُ بَعْضِهِمْ فِـي بَعْضٍ-: أَنَّهُ قَـالَ رَجُلٌ فِـي غَزْوَةِ تَبُـوكَ: مَـا رَأَيْنَا مِثْـلَ قُرَّائِنَا هَـؤُلَاءِ؛ أَرْغَـبَ بُطُونًـا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُـنًا، وَلَا

أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ-، فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ اِرْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيقِ.

قَالَ اِبْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ.

- من فوائد الحديث:

١- بيان علم الله بما سيكون، فالله عالمٌ ما كان وما سيكون.

٢- النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكم بما أنزل الله إليه.

٣- الاستهزاء بالله وآياته ورسوله من أعظم الكفر.

٤- أنَّ المستهزئ بالله يكفر.

٥- استعمال الغلظة في مَحلِّها.

٦- قبول توبة المستهزئ بشروطها.

* **تنبيهات:**

(١) الَّـذِي يحضر السَّـبَّ مثـل الَّذِي يسُـبُّ، إِلَّا إذا أنكر أو انصرف، قَـالَ تَعَالَـى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النسـاء: ١٤٠].

(٢) إِيَّـاك وذكـر القـرآن أو الحديـث ليضحـك النَّاس، وكـن خائفًا عنـد ذكرهما.

(٣) إذا كان الـكلام محتمـلًا للسَّـبِّ نبِّـه قائلـه، فإن تـاب وَإِلَّا فهو مستهزئ.

(٤) الحـذر مـن العجـب والغـرور؛ لأنَّ الحسـنة قد تدخـل الجَنَّة، وَالسَّـيِّئَة قـد تدخـل النَّـار، فَهـذَا الرجل خـرج مـع النَّبِيّ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تبوك ثُمَّ حصل منه ما حصل.

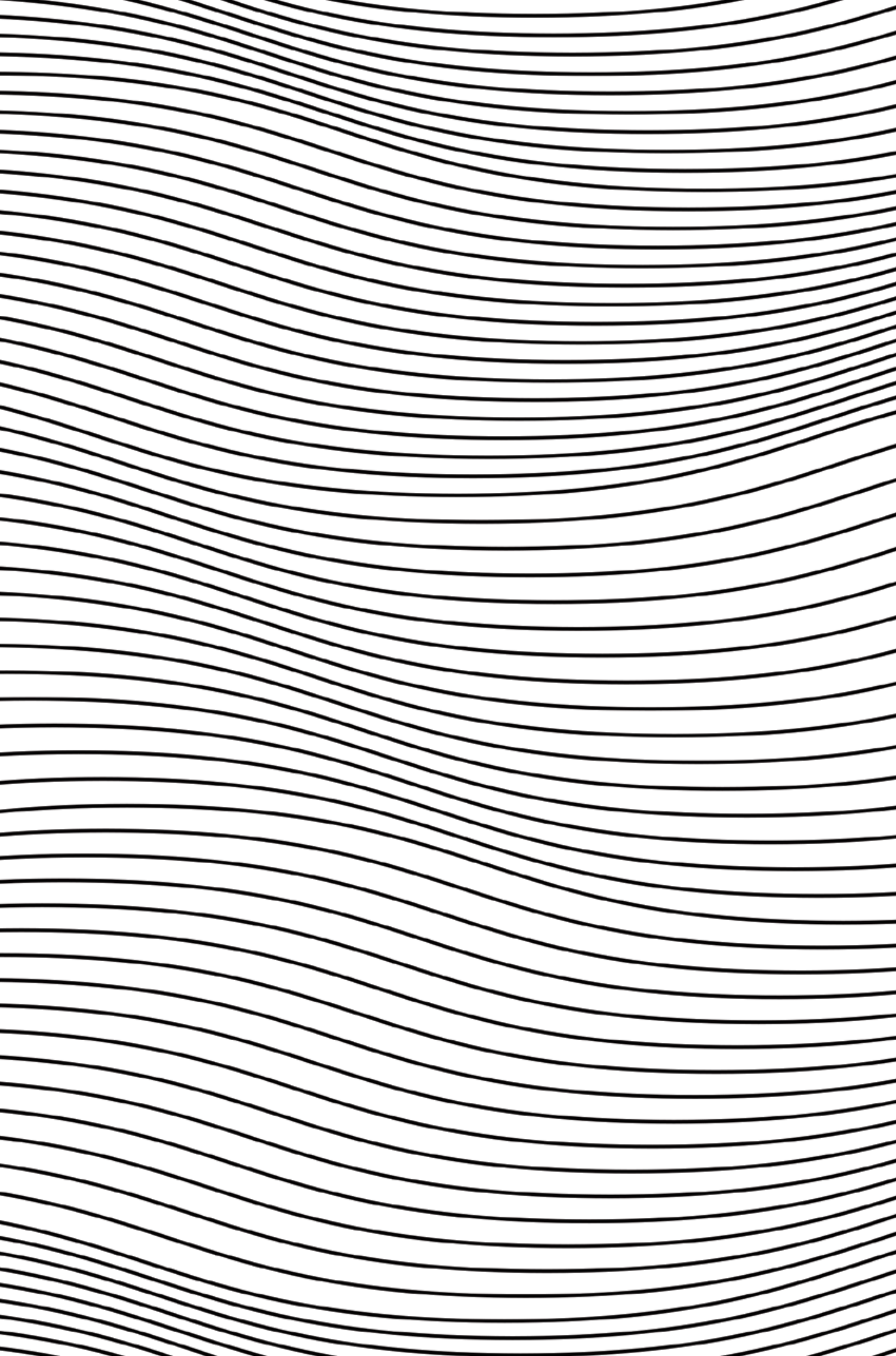

بَابُ مَا جاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ الآية.

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي».

وَقَوْلُهُ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨].

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ». وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ»، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وجلدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المالِ أحبُّ إليكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ الْبَقَرُ» -شَكَّ إِسْحَاقُ- «فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارِكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شيءٍ أحبُّ إليكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ

شَـعْرًا حَسَـنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَـالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَـالَ: الْبَقَرُ أَوْ الْإِبِـلُ، فَأُعْطِيَ بَقَـرَةً حَامِـلاً، قَالَ: بَـارِكَ اللَّهُ لَـكَ فِيهَا.

فَأَتَـى الْأَعْمَـى، فَقَـالَ: أَيُّ شَـيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَـالَ: أَنْ يَـرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَـرِي فَأُبْصِـرُ بِهِ النَّـاسَ، فَمَسَـحَهُ فَرَدَّ اللَّـهُ إِلَيْهِ بَصَـرَهُ، قَالَ: فَـأَيُّ الْمَالِ أَحَـبُّ إِلَيْـكَ؟ قَـالَ: الْغَنَـمُ، فَأُعْطِيَ شَـاةً وَالِـدًا؛ فَأُنْتِجَ هَـذَانِ وَوَلَّـدَ هَذَا، فَـكَانَ لِهَـذَا وَادٍ مِـنَ الْإِبِـلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِـنَ الْبَقَـرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِـنَ الْغَنَمِ.

قَـالَ: ثُمَّ إِنَّـهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِـهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْـكِينٌ، قـد انقطعـت بـي الحبالُ في سَـفَرِي؛ فَلَا بَـلَاغَ لِيَ الْيَـوْمَ إِلَّا بِاللَّـهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْـأَلُكَ بِالَّـذِي أَعْطَـاكَ اللَّـوْنَ الْحَسَـنَ وَالْجِلْـدَ الْحَسَـنَ وَالْمَـالَ: بَعِيـرًا أَتَبَلَّـغُ بِـهِ فِـي سَـفَرِي، فَقَـالَ: الْحُقُـوقُ كَثِيـرَةٌ. فَقَـالَ لَـهُ: كَأَنِّـي أَعْرِفُكَ! أَلَـمْ تَكُـنْ أَبْرَصَ يَقْـذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيـرًا، فَأَعْطَـاكَ اللَّهُ المالَ؟! فَقَـالَ: إِنَّمَا وَرِثْـتُ هَـذَا الْمَالَ كَابِـرًا عَنْ كَابِـرٍ! فَقَالَ: إِنْ كُنْـتَ كاذِبًا فَصَيَّـركَ اللَّهُ إِلَى مَـا كُنْتَ.

قَـالَ: وَأَتَـى الْأَقْـرَعَ فِـي صُورَتِـهِ، فَقَـالَ لَـهُ مِثْـلَ مَا قَـالَ لِهَـذَا، وَرَدَّ عَلَيْـهِ مثـل مَـا رَدَّ عَلَيْـهِ هَـذَا، فَقَـالَ: إِنْ كُنْـتَ كَاذِبًـا؛ فَصَيَّـرَكَ اللَّـهُ إِلَى مَا كُنْتَ .

قَـالَ: وَأَتَـى الْأَعْمَى فِي صُورَتِـهِ وهَيْئَتِـهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْـكِينٌ وَابْنُ سَـبِيلٍ، قَـدْ اِنْقَطَعَـتْ بِـيَ الْحِبَالُ فِي سَـفَرِي؛ فَـلَا بَلَاغَ لِـيَ الْيَـوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُـمَّ بِـكَ، أَسْـأَلُكَ بالَّـذِي رَدَّ عَلَيْـكَ بَصَـرَكَ؛ شَـاةً أَتَبَلَّـغُ بِهَـا فِي سَـفَرِي، فَقَـالَ: قَـدْ كُنْـتُ أَعْمَـى فَـرَدَّ اللَّـهُ إِلَـيَّ بَصَـرِي، فَخُـذْ مَـا شِـئْتَ، وَدَعْ مَا

شِـئْتَ، فَوَاللَّـهِ لَا أَجْهَـدُكَ الْيَـوْمَ بشـيءٍ أخذته للهِ، فَقَـالَ: أَمْسِـكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَـا ابْتُلِيتُـمْ؛ فَقَد رَضِيَ اللَّـهُ عَنْكَ، وَسَـخِطَ عَلَى صَاحِبَيْـكَ». أَخْرجَاهُ.

*** الإفادات:**

بَـابُ مَا جـاءَ فِي قَـوْلِ اللَّـهِ تَعَالَـى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ الْآيَـةِ.

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لبيـان الواجب عَلَـى الموحِّـد قبل حلـول النعمة وبعـد وجودها.

قَـالَ مُجَاهِـدٌ: «هَـذَا بِعَمَلِـي وَأَنَـا مَحْقُـوقٌ بِـهِ». وَقَـالَ اِبْـنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيـدُ مِـنْ عِنْدِي».

أنَّ الإنسـان إذا أضـاف النعمـة إِلَـى عملـه وكسـبه ففيـه نـوعٌ مـن الإشـراك فـي الرُّبوبيَّـة، وإذا أضافهـا إِلَـى اللـه لكنَّـه زعـم أنـه مسـتحقٌّ لذلـك، وأنَّ مـا أعطـاه الله ليس محـض تَفَضُّلٍ لكـن لأنَّه أهـلٌ؛ ففيه نوعٌ مـن التَّعلِّـي والتَّرفُّـع فـي جانـب العبودية.

وَقَوْلُهُ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨].

قَـالَ قَتَـادَةُ: «عَلَـى عِلْـمٍ مِنِّـي بِوُجُـوهِ الْمَكَاسِـبِ». وَقَالَ آخَـرُونَ: «عَلَـى عِلْـمٍ مِـنَ اللَّـهِ أَنِّي لَـهُ أَهْـلٌ»، وَهَـذَا مَعْنَـى قَـوْلِ مُجَاهِـدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَـرَفٍ».

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الفوائد:

والعِبَر شيءٌ كثيرٌ جدًّا، منها:

- القصص تأتي في الكتاب وَالسُّنَّة لأجل الاعتبار والاتّعاظ.

- بيان قدرة الله بإبراء الأبرص والأقرع والأعمى بمجرَّد مسح المَلَك لهم.

- أنَّ الملائكة يتشكلون حَتَّى يكونوا عَلَى صورة البشر، لكن بأمر الله لهم.

- أنَّ الملائكة أجسامٌ وليسوا أرواحًا أو معاني أو قوًى فَقَطْ.

- حرص الرُّواة عَلَى نقل الحديث بلفظه.

- أنَّ الإنسان لا يلزمه الرِّضا بالمَقضيّ، ويجب عليه الرِّضا بالقضاء الَّذِي هو فعل الله، ففرقٌ بين فعل الله والمَقضيّ، والمَقضيُّ ينقسم إِلَى مصائب لا يلزم الرضا بها، وَإِلَى أحكامٍ شرعيَّة يجب الرِّضا بها.

- جواز الْدُّعَاء المُعلَّق.

- جواز التَّنزُّل مع الخصم فيما لا يُقرُّ به المُتنزِّل لأجل إفحام الخصم.

- أنَّ بركة الله لا نهاية لها، ولهذا كان لهذا وادٍ من الإبل.

- بيان أنَّ شرك كلّ نعمةٍ بحسبها.

- جواز أن يتمثَّل الإنسان بحالٍ ليس هو عليها في الحقيقة.

- أنَّ الابتلاء قد يكون عامًّا وظاهرًا، وقصتهم مشهورة.

- فضيلة الورع والزهد، وأنه قد يجرُّ صاحبه إِلَى ما تُحمد

عقبـاه، كالأعمـى.

- ثبوت الإرث في الأمم السابقة.

- أنَّ مـن صفـات اللـه الرِّضـا والسَّـخط والإرادة، فنثبتهـا للـه عَلَى الوجـه اللائـق به.

- أنَّ الصُّحبـة تُطلـق عَلَى المُشـاكلة في شـيءٍ من الأشـياء ولا يلزم منها المقارنة.

- اختبار الله للنَّاسِ بما أنعم عليهم به.

- أنَّ التذكير قد يكون بالأقوال أو الأفعال أو الهيئات.

- شكر النعمة له ثلاث أركان:

[١] الاعتراف بها في القلب.

[٢] الثناء عَلَى الله باللسان.

[٣] العمل بالجوارح بما يرضي المنعم.

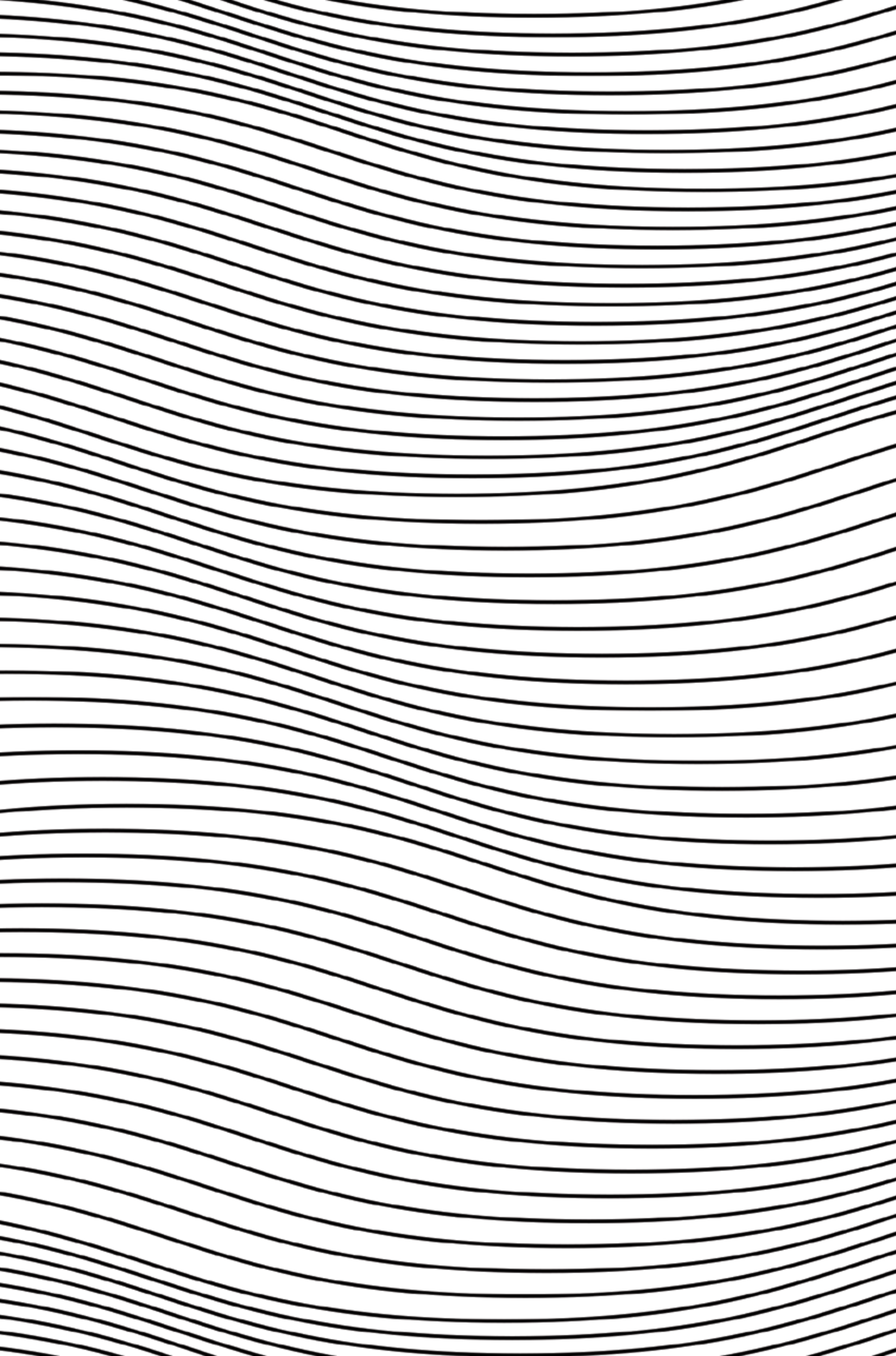

بَابُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ اَلآيَةَ.

قَـالَ اِبْـنُ حَـزْمٍ: «اِتَّفَقُوا عَلَـى تَحْرِيمِ كُلِّ اِسْـمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللـهِ؛ كَعَبْدِ عَمْـرٍو وَعَبْدِ الكَعْبَةِ، وَمَا أَشْـبَهَ ذَلِكَ، حاشَـا: عَبْـدَ المُطَّلِبِ».

وَعَـنِ ابـنِ عَبَّـاسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا -فِـي الآيَةِ قَـالَ: «لِمَا تَغَشَّـاهَا آدَمُ؛ حَمَلَـتْ، فَأَتَاهُمَـا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّـي صَاحِبُكُمَا اَلَّـذِي أَخْرَجَكُمَا مِنَ اَلْجَنَّـةِ، لَتُطِيعُنِّـي، أَوْ لَأَجْعَلَـنَّ لَـهُ قَرْنَـيْ أَيِّلٍ، فَيَخْـرُجُ مِنْ بَطْنِكِ، فَيَشُـقُّهُ، وَلَأَفْعَلَـنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا-، سَـمِّيَاهُ: عَبْـدَ اَلْحَارِثِ، فَأَبَيَـا أَنْ يُطِيْعَاهُ، فَخَـرَجَ مَيِّتًـا، ثُـمَّ حَمَلَـتْ فَأَتَاهُمَـا، فَذَكَـرَ لَهُمَـا، فَأَدْرَكَهُمَـا حُـبُّ اَلْوَلَدِ، فَسَـمَّيَاهُ: عَبْـدَ اَلْحَـارِثِ؛ فَذَلِـكَ قَوْلُـهُ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾» رَوَاهُ اِبْـنُ أَبِـي حَاتِمٍ.

وَلَـهُ بِسَـنَدٍ صَحِيْـحٍ عَـنْ مُجَاهِـدٍ فِـي قولِـهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾، قَـالَ: «أَشْـفَقَا أَلَّا يَكُـونَ إِنْسَـانًا»، وَذَكَـرَ مَعْنَـاهُ عَـنْ اَلْحَسَـنِ وَسَـعِيدٍ وَغَيْرِهِمَـا.

* الإفادات:

بَابُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] **الآية.**

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لبيان حـال المُوحِّـد عند حلـول النِّعـم، وتحريم كلِّ اسـمٍ مُعبَّدٍ لغيـر الله.

- نوع الشِّرْك المقصود في الآية:

- شـركٌ أكبـر: يعتقـد أنَّ الَّـذِي أتـى بهـذا الولد هـو الولـيُّ الفلانيُّ ونحـوه؛ لأنَّهمـا أضافـا الخلـق إِلَى غيـر الله.

- شـركٌ أصغـر: يضيـف سـلامة المولـود ووقايتـه إِلَـى الأطبـاء ونحوهـم؛ لأنَّـه أضـاف النعمـة إِلَـى السـبب ونسـي المسـبِّب.

- شـركٌ أصغـر: فـي العبوديـة بـأن يقـدِّم محبتـه عَلَـى محبـة اللـه ويلهيـه عـن طاعتـه، فكيـف نجعـل هـذَا الولـد نـدًّا للـه فـي المحبَّـة.

قَـالَ ابْـنُ حَـزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَـى تَحْرِيمِ كُلِّ اِسْـمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللـهِ؛ كَعَبْدِ عَمْـرٍو وَعَبْدِ الكَعْبَةِ، وَمَا أَشْـبَهَ ذَلِكَ، حاشَـا: عَبْـدَ المُطَّلِبِ».

- لا يجـوز التعبيـد لغيـر اللـه، ومـن اسـتدلَّ بقوله صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «أنـا ابـن عبـد المُطَّلِب» نـرد عليه:

[١] هـذَا مـن الأحاديـث المتشـابهة، وعندنـا نصوصٌ بيِّنـةٌ محكمةٌ تـردُّ هذَا.

[٢] هـذَا الحديـث مـن بـاب الإخبـار، وليـس مـن بـاب الإنشـاء والإقـرار.

[٣] النَّبـيّ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ لـم يُسـمِّ بـه أحـدًا، ولـم يـأذن لأحـدٍ مـن صحابتـه بذلـك أو يقـرَّ بـه.

[٤] هـذَا الاسـم عُرف بـه النَّبـيّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، ولـو قَالَ: «ابـن عبـد الله» مـا عرفـه النَّاس.

[٥] الرَّسـول صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يتكلَّم عن شـيءٍ وقـع وانتهى ومضـى، وقـد مات عبـد المطلب.

[٦] عبـد المُطلـب ليـس اسـمًا، بـل هـو لقـبٌ، وَإِنَّمَا اسـمه شـيبة الحمـد، وأبـوه هاشـم، أرسـله صغيـرًا إِلَـى المدينـة عنـد أخوالـه بنـي النَّجَّـار ليتعلَّـم ويترعـرع، فلمَّا قـدم عمُّه المُطلـب المدينة أخذ معه شـيبة الحمـد، فلمَّـا وصـل به مكَّـة تغيَّـر لونه مـن طـول السـفر، فَقَـالَ النَّاس: مـن هـذَا العبـد؟ فقالوا: عبـد المُطلب -وعبوديـة الرق لا إشـكال فيها-، فأُلصـق بـه اللقـب، وبهـذا يزول الإشـكال.

وَعَـنِ ابـنِ عَبَّاسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا -فِي الآيَـةِ- قَالَ: «لِمَا تَغَشَّـاهَا آدَمُ؛ حَمَلَـتْ، فَأَتَاهُمَـا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّـي صَاحِبُكُمَا اَلَّـذِي أَخْرَجَكُمَا مِنَ اَلْجَنَّـةِ، لَتُطِيعُنِّـي، أَوْ لَأَجْعَلَـنَّ لَـهُ قَرْنَـيْ أَيِّلٍ، فَيَخْـرُجُ مِنْ بَطْنِكِ، فَيَشُـقُّهُ، وَلَأَفْعَلَـنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا-، سَـمِّيَاهُ: عَبْـدَ اَلْحَارِثِ، فَأَبَيَـا أَنْ يُطِيْعَاهُ، فَخَـرَجَ مَيِّتًـا، ثُـمَّ حَمَلَـتْ فَأَتَاهُمَـا، فَذَكَـرَ لَهُمَـا، فَأَدْرَكَهُمَـا حُـبُّ اَلْوَلَدِ، فَسَـمَّيَاهُ: عَبْـدَ اَلْحَـارِثِ؛ فَذَلِـكَ قَوْلُـهُ: ﴿ **جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا** ﴾» رَوَاهُ اِبْـنُ أَبِـي حَاتِمٍ.

وَلَـهُ بِسَـنَدٍ صَحِيْـحٍ عَـنْ مُجَاهِـدٍ فِـي قولِـهِ: ﴿ **لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا** ﴾، قَـالَ: «أَشْـفَقَا أَلَّا يَكُـونَ إِنْسَـانًا»، وَذَكَـرَ مَعْنَـاهُ عَـنْ اَلْحَسَـنِ وَسَـعِيدٍ وَغَيْرِهِمَـا.

هذِه القصة باطلةٌ من وجوه:

(١) ليس في ذلك خبرٌ صحيحٌ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ابن حزم رحمه الله: «إنها مكذوبة موضوعة».

(٢) يمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله الخطيئة ولا يذكر توبتهما.

(٣) الأنبياء معصومون من الشِّرْك باتِّفاق العلماء.

(٤) أنَّ النَّاس يأتون آدم يوم القيامة فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصيةٌ، ولو وقع الشِّرْك؛ لكان اعتذاره به أقوى وأولى وأحرى.

(٥) قَالَ لهما الشيطان: «إنِّي صَاحبكما»، وَهذَا لا يقوله من يريد الإغواء.

(٦) لا يمكن أن يصدِّقها أنَّ الشيطان يجعل له قرني أيِّل، فَهذَا شركٌ في الربوبية.

(٧) في الآية (يشركون) بضمير الجمع، ولو كان آدم وحوَّاء لقال يُشركان.

(٨) وعَلَى هذَا يكون تفسير الآية عائدًا إِلَى جنس بني آدم الَّذِينَ أشركوا شركًا حقيقيًّا، فإنَّ منهم مشركًا ومنهم موحِّدًا.

بابُ قولِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ الآية.

ذَكَـرَ ابْنُ أَبِـي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا: ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠] «يُشْرِكُونَ».

وَعَنْهُ: «سَمُّوا اَللَّاتَ مِنَ الإله، والعُزَّى مِنَ العَزِيزِ».

وعن الأعمش: «يدخلون فيها ما ليس منها».

*** الإفادات:**

بابُ قولِ اللهِ تعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ الآية.

فـي هذَا البـاب ردٌّ عَلَى من قَالَ: كتـاب التوحيد لا يحتـوي إلَّا عَلَى توحيـد الألوهيـة، وقد أتى بـه الْمُصَنِّف لتحذيـر الموحِّد مـن الإلحاد في أسـماء اللـه وصفاتـه، ومـن أجل بيـان وجـوب إثبات أسـماء اللـه تعَالَى وصفاتـه، ومن أجل أن التوسـل المشـروع والتوسـل الممنوع.

ذَكَـرَ ابْنُ أَبِـي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا: ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ «يُشْرِكُونَ».

وَعَنْهُ: «سَمُّوا اَللَّاتَ مِنَ الإله، والعُزَّى مِنَ العَزِيزِ».

وعن الأعمش: «يدخلون فيها ما ليس منها».

﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ دعاء الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه له معنيان:

- دعاء عبادة: بأن تتعبد لله بما تقتضيه تلك الأسماء، فمثلًا: البصير يقتضي أن تتعبَّد لله بمقتضى ذلك البصر، بحيث لا يرى منك فعلًا يكرهه منك.

- دعاء مسألة: بأن تُقدِّمها بين يدي سؤالك متوسِّلًا بها إِلَى الله، كقول: «فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني؛ إنَّك أنت الغفور الرحيم».

- الإلحاد: الميل بها عمَّا يجب اعتقاده فيها، وينقسم الإلحاد إِلَى:

- إلحادٌ في الأسماء والصفات، وهو أنواع:

[١] ينكر الأسماء كلّها أو بعضها كالجهمية.

[٢] يثبت الاسم وينكر الصفة، كقولهم: سميعٌ بلا سمعٍ.

[٣] يجعلها دالَّةٌ عَلَى التشبيه؛ كالممثلة.

[٤] يشتقُّ من أسماء الله أسماء للأصنام، كالعُزَّى من العزيز.

[٥] يسمِّي الله بما لم يُسمِّ به نفسه، كمن قَالَ: إنَّ الله ثالث ثلاثة، أو أنَّه القادر عَلَى الاختراع.

- إلحادٌ في الآيات: سواء كانت الآيات:

(١) شرعيَّة: كمن قَالَ بأنَّ القرآن مخلوق.

(٢) كونيَّة: كمن قَالَ بأنَّ الطبيعة تخلق الأشياء.

توحيد الأسماء والصفات هو: إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بما يثبت له من الصفات عَلَى وجه الحقيقة بلا تكييف ولا تعطيل.

آيات الله تنقسم إِلَى:

- آيات كونيَّة: كل المخلوقات من السَّموات والأرض... والإلحاد فيه إِمَّا:

- اعتقاد أن أحدًا سوى الله منفرد بها أو ببعضها.

- اعتقاد أنَّ أحدًا مشارك لله.

- اعتقاد أنَّ لله فيها معينًا.

- آيات شرعيَّة: ما جاء به الرسل والإلحاد فيه إِمَّا:

- تكذيبها فيما يتعلَّق بالأخبار.

- مخالفتها فيما يتعلَّق بالأحكام.

- التحريف في الأخبار والأحكام.

- التوسّل نوعان:

- توسُّل ممنوع: وهو التوسُّل بجاه المخلوق، أو بحق المخلوق ومنزلته، أو بذاته وهو إما شركٌ، وإما بدعة ووسيلة إلى الشرك.

- التوسّل المشروع: وهو الذي جاء في الكتاب والسنّة ذِكره والأمر به، ومن ذلك: الآية الكريمة في هذا الباب ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ

﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾، فالتوسّـل بأسـماء اللـه وصفاته هو المشـروع فتقول: «يـا رحمـن ارحمني»، «يا غفـور اغفر لي»، «يـا تواب تُب علـيّ» وهكذا.

- وكذلـك مـن التوسّـل المشـروع: التوسّـل إلـى اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ بدعـاء الصالحيـن، فـإذا كان هنـاك رجـلٌ صالـح حـيّ موجود تأتـي إليه وتقـول: «ادعُ اللـه لـي أن يغفر لـي، أن يرزقنـي، أن يشـفيني» أو إذا قحط النـاس طلبـوا من الصالحيـن أن يدعـوا إلى اللـه تعالى لهـم بالغيث فهذا مشـروع، ولـو باشـروا الدعاء بأنفسـهم لأنفسـهم لـكان خيـرًا لهم.

ومـن التوسّـل المشـروع أيضـاً: التوسـل بالأعمـال الصالحـة إلـى اللـه، فيجـوز مثلاً التوسـل إلى اللـه بالإيمان، قـال تَعَالَـى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

بَابُ لَا يُقَالُ: اَلسَّلَامُ عَلَى اللهِ

فِي «اَلصَّحِيحِ» عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اَلصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: اَلسَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلامُ عَلَى فُلَانٍ، فَقَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا: اَلسَّلَام عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ اَلسَّلَامُ».

*** الإفادات:**

بَابٌ لَا يُقَالُ: اَلسَّلَامُ عَلَى اللهِ

أتى به الْمُصَنِّف لتحذير المُوحِّد من الألفاظ الَّتِي تنافي الأدب مع الله، فمعنى السلام: الْدُّعَاء للمُسلَّم عليه بالسلامة من الآفات، فلا يُقال السلام عَلَى الله، لماذا؟

[١] لأَنَّه مخالفٌ للحقيقة، فالله يُدعى ولا يُدعى له، فهو غنيٌّ عنَا، لكن يُثنى عليه بصفات الكمال.

[٢] لأنَّ مثل هذَا الْدُّعَاء يوهم النقص في حقِّه، إذ لا يُدعى لشيءٍ بالسلام إِلَّا إذا كان قابلًا أن يتصف به، والله مُنزَّهٌ عن النقص.

فِي «اَلصَّحِيحِ» عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اَلصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: اَلسَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلامُ عَلَى فُلَانٍ، فَقَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا

تَقُولُـوا: اَلسَّـلَام عَلَـى اللـهِ، فَإِنَّ اللـهَ هُوَ اَلسَّـلَامُ».

السَّلّامُ:

- اسمٌ ثبوتيٌّ سلبيٌّ.

- اسـمٌ سـلبيٌّ بمعنـى أنَّـه يُـراد به نفـي كلِّ نقـصٍ أو عيـبٍ يتصوَّره الذِّهـن أو يتخيَّلـه العقل.

فـلا يلحقـه نقصٌ فـي ذاته أو صفاتـه أو أفعالـه أو أحكامـه، وثُبوتيٌّ بمعنـى أنَّـه يُـراد بـه ثبوت هـذَا الاسـم لـه، والصِّفـة الَّتـي تضمنهـا وهي السَّـلامة، والسَّـلام له عـدَّة معانٍ:

- التَّحيَّة؛ كما يُقال: سلِّم عَلَى فلانٍ.

- السَّلامة من النَّقص والآفات؛ كقولنا: السَّلام عليك أَيُّهَا النَّبِيّ.

- السَّلام اسمٌ من أسماء الله.

بَابُ قَوْلُ اللهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِـي اَلصَّحِيـحِ عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «لَا يَقُولَـنَّ أَحَدُكُـمْ: اللهُـمَّ اِغْفِـرْ لِـي إِنْ شِـئْتَ، اللهُـمَّ اِرْحَمْنِـي إِنْ شِـئْتَ، لِيَعْـزِمِ اَلْمَسْـأَلَةَ؛ فَـإِنَّ اللـهَ لَا مُكْـرِهَ لَهُ».

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ اَلرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

❊ الإفادات:

بَابٌ قَوْلُ اللهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لتحذيـر المُوحِّـد مـن الاسـتثناء فـي دعائـه، واستشـعاره لقـدرة اللـه، فَهـذَا البـاب يُبيِّن كمـالَ سُـلطانِ الله عَـزَّ وَجَلَّ وجـودِه وفضلِـه، والمَحضـور فـي هـذَا التَّعليـق:

- أنها تُشعر بأنَّ الله له مُكرِهٌ، والأمر ليس كذلك.

- أنهـا تشـعر بـأنَّ هـذَا أمـرٌ عظيـمٌ عَلَـى الله قـد يثقل عليـه ويعجز عنـه، وليـس كذلك.

- أنَّهـا تُشـعر باسـتغناء الإنسـان عـن اللـه، وَهـذَا غير لائـقٍ وليس مـن الأدب.

فِـي اَلصَّحِيـحِ عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُلـنَّ أَحَدُكُمْ: اللهُـمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِـئْتَ، اللهُمَّ

اِرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ اَلْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ».

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمْ اَلرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

- إذا علّق العبد الدعاء بالمشيئة فإن ذلك يتضمن أمريْن:

- الأول: أن هذا يدل على فُتوره في طلب الدعاء من الله تعالى وكأنه غنيٌّ عن الله، ولا شك أن العبد مفتقرٌ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ في كل أحواله ولو كان من أكثر الناس مالاً وأولاداً وملكاً.

- الثاني: كأنه يرى بأن الله جلّ وعلا قد يجيب الدعاء وهو كاره، فـ «إن شئت»، معناه: أنا لستُ مُكرهاً لك، أخشى أن يشقّ عليك، وهذا لا يليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنه تنقص له، وفيه يتنقص التوحيد، ويدل على هذا المعنى قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الحديث: «فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ».

بَابُ لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ. وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي».

*** الإفادات:**

بَابُ لَا يَقُولُ عَبْدِي وَأَمَتِي

أتى به الْمُصَنِّف لينبِّه الموحِّد عَلَى حسن استعمال الألفاظ، فقد عقد هذَا الباب من أجل سدِّ الطرق الَّتِي تقضي إِلَى الشِّرْك وحماية جناب التوحيد، فإن العباد كلهم عبيد لله.

- حكم قول: عبدي أو أمتي:

- أن يضيفه إِلَى نفسه: هذَا له صورتان:

- أن يكون بصيغة الخبر: كقول: «أطعمت عبدي» أو «أعتقت عبدي»، وَهذَا فيه تفصيل:

- إذا قاله في غيبة العبد أو الأُمَّة فهو جائزٌ.

- إذا قاله في حضرة العبد أو الأُمَّة ننظر هل يترتب عليه مفسدةٌ تتعلَّق بالعبد أو بِالسَّيِّدِ، فإن وجدت المفسدة مُنع وَإِلَّا فهو جائزٌ.

- أن يكون بصيغة النداء: كقول «يا عبدي»، فَهذَا منهيٌّ عنه.

- أن يضيفه إِلَى غيره: مثل أن يقول: «عبد فلانٍ» أو «أمة فلانٍ»، فَهذَا جائزٌ.

فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ. وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي».

الولاية:

- ولاية مطلقة: وَهذِه لا تصلح لغيره، وهي:

- عامة: الشاملة لكل أحد لقوله: «ثُمَّ ردوا لمولاهم الحق».

- خاصة بالمؤمنين «ذلك بأَنَّ الله مولى الَّذِينَ آمنوا وإن الكافرين لا مولى لهم».

- ولاية مقيدة مضافة: فَهذِه تكون لغير الله، ولها فِي اللُّغَة معاني كثيرة.

بَابٌ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهَ

عَـنِ ابْـنِ عُمَـرَ رَضِـيَ اللـهُ عَنْهُمَـا قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «مَـنْ اسْـتَعَاذَ بِاللـهِ؛ فَأَعِيـذُوهُ، وَمَـنِ سَـأَلَ بِاللـهِ؛ فَأَعْطُوهُ، وَمَـنْ دَعَاكُـمْ فَأَجِيبُـوهُ، وَمَـنْ صَنَـعَ إِلَيْكُـمْ مَعْرُوفًـا فَكَافِئُـوهُ، فَـإِنْ لَـمْ تَجِـدُوا مَـا تُكَافِئُونَـهُ؛ فَادْعُـوا لَهُ حَتَّى تَـرَوْا أَنَّكُـمْ قَـدْ كَافَأْتُمُـوهُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَـائِيُّ بِسَـنَدٍ صَحِيـحٍ.

❋ الإفادات:

بَابٌ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهَ

أتـى بـه الْمُصَنِّـف ليبيِّـن حـال الموحِّـد إذا سُئل باللـه أنـه يجيـب تعظيمًـا لله.

- أقسام السؤال بالله:

- السؤال بالله بالصيغة: مثل أن يقول: أسألك بالله.

- السـؤال بشـرع اللـه: أي: يسـأل سـؤالا يبيحـه الشـرع؛ كسـؤال الفقيـر مـن الصَّدقـة.

- هل يجوز للإنسان أن يسأل بالله أم لا؟

- السـؤال مـن حيث هـو مكـروهٌ أو مُحـرَّمٌ إِلَّا لحاجـةٍ أو ضرورةٍ، ولهـذا بايـع صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ أصحابـه أن لا يسـألوا النَّاس شـيئًا،

وَأَمَّـا إجابـة السَّـائل؛ فـلا يخلو السَّـائل من أن يسـأل:

- سـؤالًا مجـردًا: كأن يقول: «يا فـلان أعطني»، فـإن كان مِمَّا أباحه الشرع أعطيته.

- باللـه: فَهـذَا تُجيبـه ولـو لـم يكـن مُسـتحِقًّا؛ لأنَّـه سـأل بعظيـمٍ فإجابتـه تعظيـمٌ لهـذا العظيـم، لكن إذا سـأل إثمًـا أو كانت إجابتـه ضررًا عَلَـى المسـؤول فـلا يُجاب.

عَـنِ اِبْـنِ عُمَـرَ رَضِـيَ اللـهُ عَنْهُمَـا قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «مَـنْ اسْـتَعَاذَ بِاللـهِ؛ فَأَعِيـذُوهُ، وَمَـنِ سَـأَلَ بِاللـهِ؛ فَأَعْطُوهُ، وَمَـنْ دَعَاكُـمْ فَأَجِيبُـوهُ، وَمَـنْ صَنَـعَ إِلَيْكُـمْ مَعْرُوفًـا فَكَافِئُـوهُ، فَـإِنْ لَـمْ تَجِـدُوا مَـا تُكَافِئُونَـهُ؛ فَادْعُـوا لَهُ حَتَّى تَـرَوْا أَنَّكُـمْ قَـدْ كَافَأْتُمُـوهُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَـائِيُّ بِسَـنَدٍ صَحِيـحٍ.

- هل إجابة الدعوة حقٌّ لله أو للآدمي؟

- حـقٌّ للآدمـيّ، ولهـذا لو طلبـت من الدَّاعـي أن يقيلـك فقبل؛ فلا إثـم عليـك، لكنَّها واجبـةٌ بأمر اللـه، ولكـن إذا أقالك حيـاءً منك وخجلًا مـن غير اقتنـاع؛ فإنَّـه لا ينبغي أن تـدع الإجابة.

المـراد بالدعـوة الَّتِـي للإكـرام لا النِّـداء، وجمهور أهـل العلم عَلَى أن إجابـة الدعوة مسـتحبَّةٌ إِلَّا في دعوة العُرس فهي واجبةٌ بشـروطٍ سـتَّةٍ:

[١] أن لا يكون الدَّاعي ممَّن لا يجب هجره أو يسنّ.

[٢] أن لا يكـون هنـاك مُنكـرٌ فـي مـكان الدَّعـوة، فـإن كان هنـاك

منكـرٌ، فـإن أمكنـه إزالته وجـب عليـه الحضـور؛ إجابـةً للدعـوة وتغييرًا للمنكر .

[٣] أن يكون الداعي مسلمًا، وَإِلَّا لم تجب الإجابة.

[٤] أن لا يكون كسبه حرامًا.

[٥] أن لا تتضمَّن الإجابة إسقاطًا لواجبٍ أو ما هو أوجب منها.

[٦] أن لا تتضمـن ضـررًا عَلَـى المجيـب، كسفرٍ أو مفارقـة أهلـه المحتاجيـن لـه.

- للمكافأة فائدتان:

(١) تشجيع ذوي المعروف عَلَى فعل المعروف.

(٢) أن الإنسـان يكسـر بهـا الـذُّلّ الَّذِي حصـل له بصنـع المعروف إليه .

قَـالَ شـيخ الإسـلام ابـن تَيْمِيَّـة فـي «قاعـدة جليلـة فـي التوسـل والوسـيلة»: سـؤال المخلـوق فيـه ثـلاث مفاسـد:

[١] افتقار إِلَى غير الله، وهي نوع من الشِّرْك.

[٢] إيذاء المسئول وهي نوع ظلم للخلق.

[٣] ذُلٌّ لغير الله وهو ظلم للنَّفْسِ.

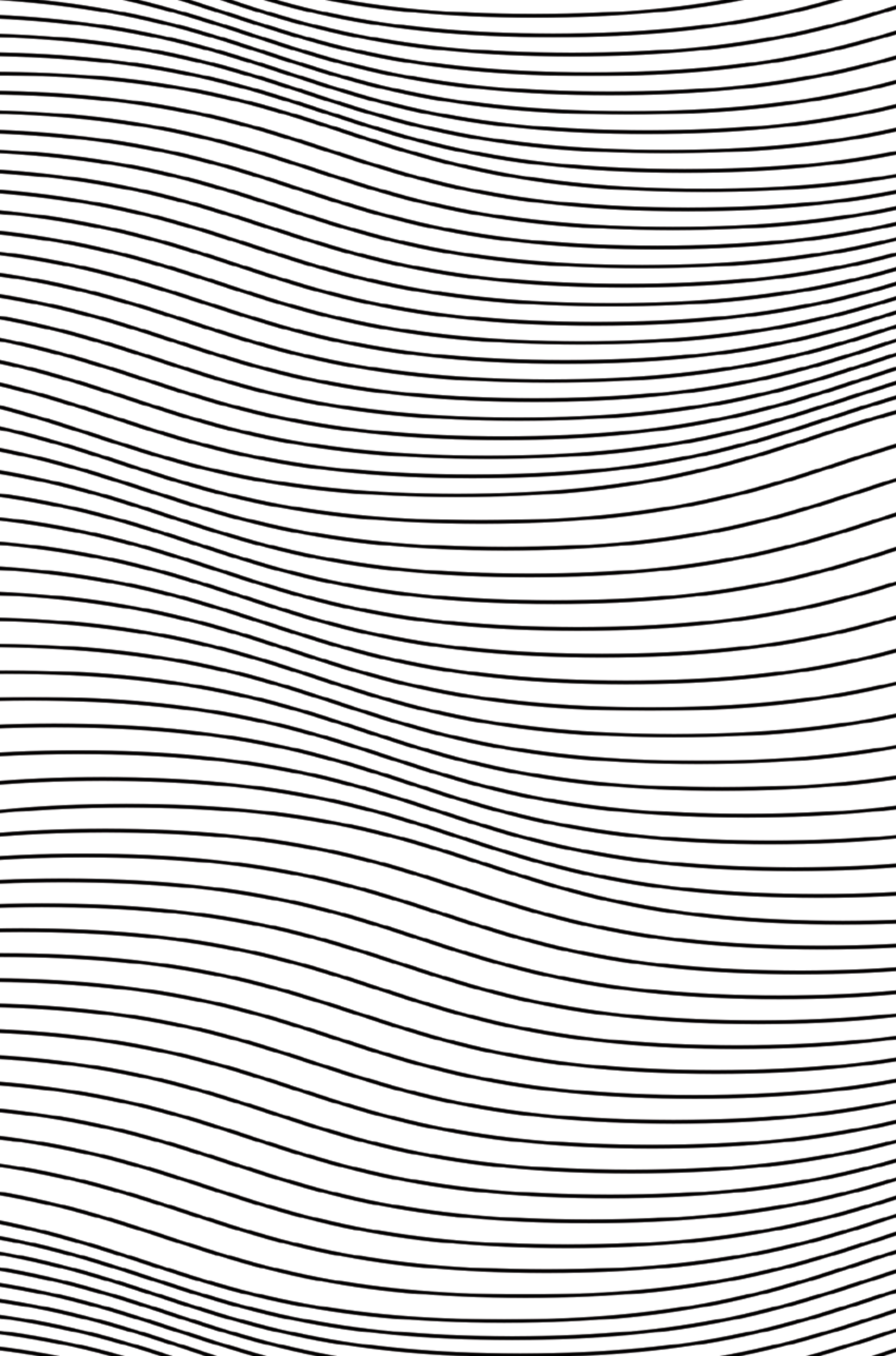

بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا اَلْجَنَّةُ

عَـنْ جَابِـرٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «لَا يُسْـأَلُ بِوَجْـهِ اللـهِ إِلَّا اَلْجَنَّـةُ». رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ.

❁ الإفادات:

بَابٌ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا اَلْجَنَّةُ

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لبيـان حـال الموحِّـد مـن تعظيـم اللـه تَعَالَـى، وكمـال الأدب معـه تَعَالَـى، فمعنـى ترجمـة البـاب:

أي: لا تسـأل أحدًا مـن المخلوقين بوجـه الله، والخلـق لا يقدرون عَلَى إعطـاء الجَنَّة.

أو: إذا سـألت بوجـه اللـه فاسـأل الجَنَّـة، ولا تسـأل شـيئًا مـن أمور الدنيا.

عَـنْ جَابِـرٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «لَا يُسْـأَلُ بِوَجْـهِ اللـهِ إِلَّا اَلْجَنَّـةُ». رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ.

الحديـث فيـه إثبـات الوجـه للـه، وهـو ثابـتٌ بالقـرآن وَالسُّـنَّة والإجمـاع، وجـهٌ حقيقـيٌّ لا يُماثـل وجـوه المخلوقيـن.

- حكم دعاء الصفة:

لا يجـوز دعـاء الصفـة كقولهم: يـا رحمة الله، يـا وجه اللـه، يا عزَّة اللـه، فَهـذَا دعـاءٌ مُحدَثٌ لا يُعـرف في النُّصـوص، ولم يرد عن السَّـلف، وقال شـيخ الإسـلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّـه كُفرٌ».

بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّوِّ

وَقَـوْلُ اللـهِ تَعَالَـى: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمـران: ١٥٤] الآيـة.

وَقَوْلُـــهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمـــران:١٦٨] الآيـــة.

وَفِـي اَلصَّحِيـحِ عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ أَنَّ رسـولَ اللهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «اِحْرِصْ مَـا يَنْفَعُكَ، وَاسْـتَعِنْ بِاللـهِ، وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَـكَ شَـيْءٌ؛ فـلا تقُـلْ: لـو أنِّـي فعلـتُ، لـكانَ كـذا وكـذا، وَلَكِنْ قُـلْ: قَـدَّرَ اللهُ وما شـاءَ فَعَـلَ؛ فإنَّ لَـوْ تَفْتَـحُ عَمَلَ الشَّـيْطانِ».

❋ الإفادات:

بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّوِّ.

أتـى به الْمُصَنِّـف لبيان أدب الموحِّد في اسـتعمال الكلام الحسـن، وعـدم الاعتراض عَلَى الشَّـرع والقدر.

أقسام استعمال لفظ «لو» مع الحكم:

– مُحـرَّمٌ، وقـد يصـل إِلَى الكفـر: أن تُسـتعمل في الاعتـراض عَلَى الشرع.

– مُحرَّمٌ: أن تُستعمل في الاعتراض عَلَى القدر.

- مُحرَّمٌ: أن تستعمل للندم والتَّحسُّر.

- مُحرَّمٌ: أن تُستعمل في الاحتجاج بالقدر عَلَى المعصية.

- إن كان خيرًا فهي خيرٌ، وإن كان شرًّا فهي شر: أن تستعمل في التَّمَنِّي.

- جائز: أن تُستعمل في الخبر المَحْض.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية.

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨] الآية.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اِحْرِصْ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فلا تقُلْ: لو أنِّي فعلتُ، لكانَ كذا وكذا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ».

هذَا الحديث فيه:

١) الحرص عَلَى ما ينفع وترك ما يضر.

٢) الاستعانة بالله.

٣) المُضيُّ في الأمر والاستمرار فيه وعدم التعاجز، هذِه المراتب إليك.

٤) إذا حصل خلاف المقصود؛ فَهذَا ليس إليك، وَإِنَّمَا بقدر

الله، ففوِّض الأمر لله.

*** إشكال:**

أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه في حجة الوداع: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولأحللتُ معكم وجعلتها عمرة»، أليس هذا فيه استعمال «لو» ألا يتعارض مع قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا وكذا؟ ».

*** الجواب:**

لا تعارض؛ لأن «لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا» هذا من باب الجزع على شيءٍ حصل وانتهى.

أما «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت»، فهو إخبار عن المستقبل لا عن الماضي، وأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو تبيّن له فضل العُمرة والتمتع بها إلى الحج لتمتع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما ساق الهدي، فهو إخبار عمّا يفعله في المستقبل. وأيضاً هو يتمنّى عمل طاعة وعمل قُربة إلى الله سبحانه وتعالى، وليس يتجزّع على شيءٍ فات أو شيءٍ مضى، فلا تعارُض بين هذا وهذا.

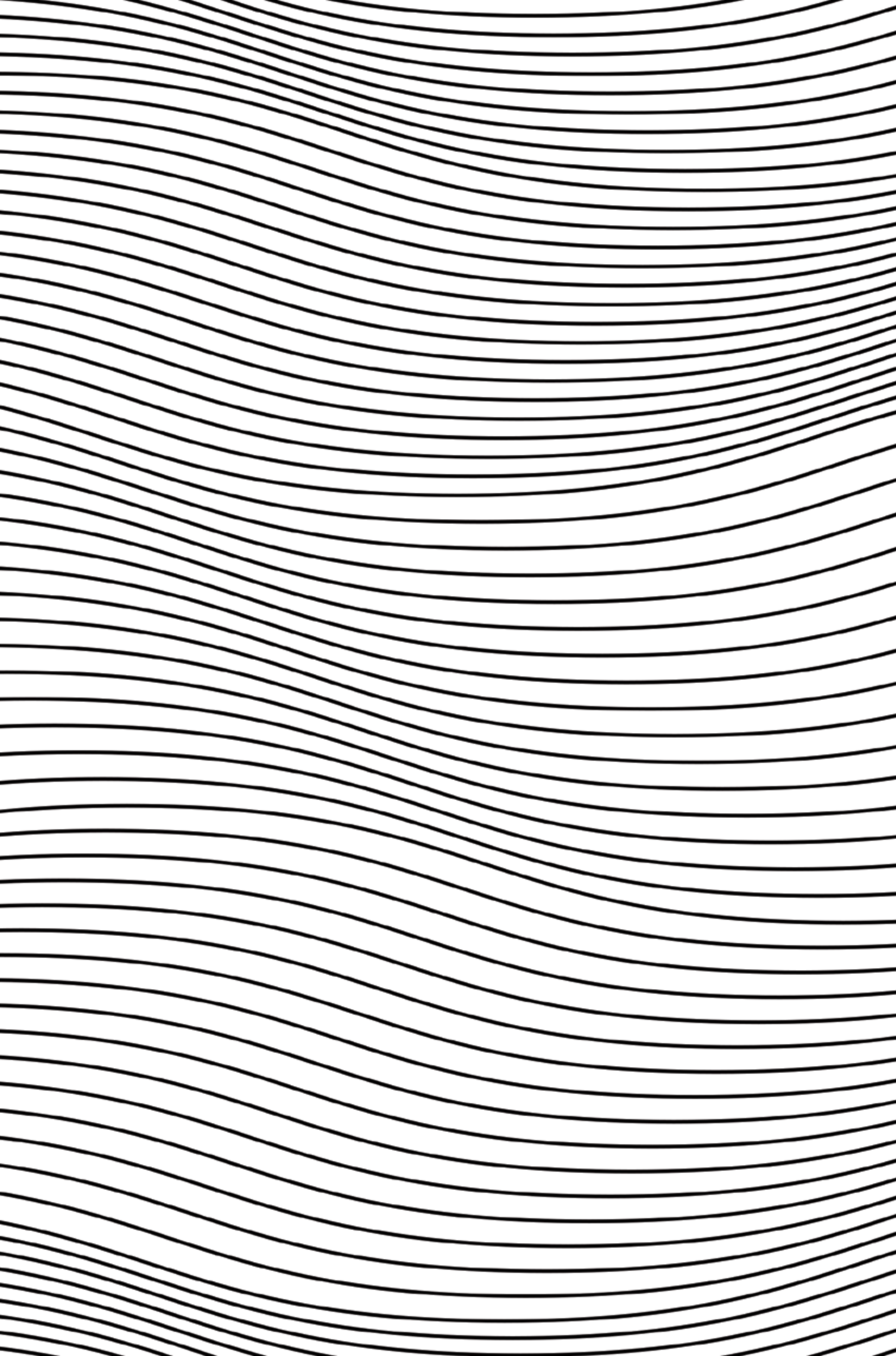

بَابُ اَلنَّهْيُ عَنْ سَبِّ اَلرِّيحِ

عَـنْ أُبَـيِّ بْـنِ كَعْبٍ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ أَنَّ رَسُـولَ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «لَا تَسُـبُّوا اَلرِّيـحَ؛ فَإِذَا رَأَيْتُـمْ مَا تَكْرَهُـونَ؛ فَقُولُـوا: اللهُمَّ إِنَّا نَسْـأَلُكَ مِـنْ خَيْـرِ هَـذِهِ اَلرِّيحِ، وَخَيْـرِ مَا فِيهَـا، وَخَيْرِ مَـا أُمِرَتْ بِـهِ، وَنَعُوذُ بِـكَ مِـنْ شَـرِّ هَـذِهِ اَلرِّيـحِ، وَشَـرِّ مَـا فِيهَا، وَشَـرِّ مَـا أُمِـرَتْ بِـهِ». صَحَّحَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ.

❊ الإفادات:

بَابُ اَلنَّهْيُ عَنْ سَبِّ اَلرِّيحِ

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لإرشـاد الموحِّـد إِلَـى الـكلام النافـع إذا رأى ما يكره.

عَـنْ أُبَـيِّ بْـنِ كَعْبٍ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ أَنَّ رَسُـولَ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «لَا تَسُـبُّوا اَلرِّيـحَ؛ فَإِذَا رَأَيْتُـمْ مَا تَكْرَهُـونَ؛ فَقُولُـوا: اللهُمَّ إِنَّا نَسْـأَلُكَ مِـنْ خَيْـرِ هَـذِهِ اَلرِّيحِ، وَخَيْـرِ مَا فِيهَـا، وَخَيْرِ مَـا أُمِرَتْ بِـهِ، وَنَعُوذُ بِـكَ مِـنْ شَـرِّ هَـذِهِ اَلرِّيـحِ، وَشَـرِّ مَـا فِيهَا، وَشَـرِّ مَـا أُمِـرَتْ بِـهِ». صَحَّحَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ.

- سـبُّ الريـح عَلَـى التفصيـل الَّـذي تقدَّم في سـبِّ الدهـر، وأفرده الْمُصَنِّـف هنـا لكثرة وقوعه، وقـد ورد النَّهي عـن اللعن وَالسَّـبِّ عمومًا،

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس المؤمن بالطَّعَّان ولا اللَّعَّان ولا الفاحش ولا البذيء»، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يكون اللَّعَّانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة».

- وفي سب المسلم قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبابُ المسلم فسوقٌ، وقتاله كفرٌ».

- وفي سبِّ الأموات قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تسبُّوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إِلَى ما قدَّموا».

- وفي سبِّ الدَّوابِّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تصاحبنا ناقةٌ عليها لعنةٌ».

- وفي سبِّ الحُمَّى قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَسُبُّوا الحُمَّى».

بَابُ قَوْلُ الله تَعَالَى:

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ الآيـة.

وَقَوْلُـهُ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتـح: ٦] الآية.

قَـالَ اِبْـنُ اَلْقَيِّـمِ فِـي اَلْآيَـةِ اَلْأُولَـى: «فُسِّـرَ هَـذَا اَلظَّـنُّ بِأَنَّهُ سُـبْحَانَهُ لَا يَنْصُـرُ رَسُـولَهُ، وَأَنَّ أَمْـرَهُ سَـيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّـرَ بِـأَنَّ مَـا أَصَابَهُ بِاللَّـهِ يَكُنْ بِقَـدَرِ اللـه وحكمته، ففُسِّـر بإنكار الحكمـة، وإنكار القدرِ، وإنـكار أن يُتِمَّ أمـر رسـولِهِ، وَأَنْ يُظْهِـرَهُ عَلَـى الدِّيـن كلـه، وَهـذَا هـو ظـنُّ السَّـوءِ اَلَّذِي ظَنَّـهُ اَلْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْـرِكُونَ فِي سُـورَةِ اَلْفَتْـحِ. وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ اَلسُّـوءَ لِأَنَّـهُ ظـنَّ غيـر ما يليـق بـه سُـبْحَانَهُ، وَمَـا يَلِيـقُ بِحِكْمَتِـهِ وَحَمْـدِهِ وَوَعْدِهِ اَلصَّادِقِ.

فَمَـنْ ظَـنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ اَلْبَاطِـلَ عَلَى اَلْحَـقِّ إِدَالَةً مُسْـتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا اَلْحَـقُّ، أَوْ أَنْكَـرَ أَنَّ يكون مَا جَرَى بِقَضَائِـهِ وَقَدَرِه، أَوْ أَنْكَـرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ لِحِكْمَـةٍ بَالِغَـةٍ يَسْـتَحِقُّ عَلَيْهَـا اَلْحَمْدَ، بَـلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِـكَ لِمَشِـيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ؛ فَـ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وَأَكْثَـرُ اَلنَّـاسِ يَظُنُّـونَ بِاللـهِ ظَـنَّ اَلسَّـوْءِ فِيمَـا يَخْتَـصُّ بِهِـمْ، وَفِيمَا

يَفْعَلُـهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْـلَمُ مِـنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَـرَفَ اللهَ وَأَسْـمَاءَه وَصِفَاتِهِ، وَمُوجَـبَ حِكْمَتِـهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَـنِ اَللَّبِيـبُ اَلنَّاصِحُ لِنَفْسِـهِ بِهَـذَا، وَلْيَتُبْ إِلَـى اللهِ، وَلْيَسْـتَغْفِرْهُ مِـنْ ظَنِّـهِ بِرَبِّـهِ ظَـنَّ اَلسَّـوْءِ. وَلَـوْ فَتَّشْـتَ مَـنْ فَتَّشْـتَّ لَرَأَيْـتُ عِنْـدَهُ تَعَنُّتًـا عَلَـى اَلْقَـدَرِ وَمَلَامَـةً لَـهُ، وَأَنَّـهُ كَانَ يَنْبَغِـي أَنْ يَكُـونَ كَـذَا وَكَذَا؛ فَمُسْـتَقِلٌّ وَمُسْـتَكْثِرٌ، وَفَتِّـشْ نَفْسَـكَ هَـلْ أَنْتَ سَـالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّـــي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

*** الإفادات:**

بَابُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ الآية.

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لتحذيـر الموحِّـد مـن سـوء الظَّـنِّ باللـه كما هو ظـنُّ الجاهليَّـة، والظَّـنُّ باللـهِ عَلَـى نوعين:

[١] أن يظنَّ بالله خيرًا، وله متعلَّقان:

(أ) مُتعلَّـقٌ بمـا يفعله فـي هذَا الكـون؛ فَهذَا يجب عليك أن تحسـن الظَّـنَّ بالله فيه.

(ب) مُتعلَّـقٌ بالنسـبة لمـا يفعلـه بـك؛ يجـب أن تظـنَّ بالله أحسـن الظَّـنِّ، بشـرط أن يوجـد لديك مـا يوجب الظنَّ الحسـن وهـو الإخلاص والمتابعة.

[٢] أن يظـنَّ باللـه سـوءًا: مثـل أن يظـنَّ فـي فعلـه سـفهًا أو ظلمًـا

أو نحـو ذلـك، فإنَّـه مـن أعظـم المُحرَّمـات وأقبـح الذنـوب، كمـا ظـنَّ المنافقـون وغيرهـم غيـر الحـق.

وَقَوْلُـهُ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتـح: ٦] الآية.

قَـالَ ابْـنُ الْقَيِّـم فِـي الْآيَـةِ الْأُولَـى: «فُسِّـرَ هَـذَا الظَّـنُّ بِأَنَّهُ سُـبْحَانَهُ لَا يَنْصُـرُ رَسُـولَهُ، وَأَنَّ أَمْـرَهُ سَـيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّـرَ بِـأَنَّ مَـا أَصَابَهُ بِاللَّـهِ يَكُنْ بِقَـدَرِ اللـه وحكمته، ففُسِّـر بإنكار الحكمـة، وإنكار القدرِ، وإنـكار أن يُتِمَّ أمـر رسـولِهِ، وَأَنْ يُظْهِـرَهُ عَلَـى الدِّيـن كلـه، وَهـذَا هـو ظـنُّ السَّـوءِ الَّذِي ظَنَّـهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْـرِكُونَ فِي سُـورَةِ الْفَتْـحِ. وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السُّـوءَ لِأَنَّـهُ ظـنَّ غيـر ما يليـق بـه سُـبْحَانَهُ، وَمَـا يَلِيـقُ بِحِكْمَتِـهِ وَحَمْـدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ.

فَمَـنْ ظَـنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِـلَ عَلَى الْحَـقِّ إِدَالَةً مُسْـتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَـقُّ، أَوْ أَنْكَـرَ أَنَّ يكون مَا جَرَى بِقَضَائِـهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَـرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ لِحِكْمَـةٍ بَالِغَـةٍ يَسْـتَحِقُّ عَلَيْهَـا الْحَمْدَ، بَـلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِـكَ لِمَشِـيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ؛ فَـ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وَأَكْثَـرُ النَّـاسِ يَظُنُّـونَ بِاللـهِ ظَـنَّ السَّـوْءِ فِيمَـا يَخْتَـصُّ بِهِـمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُـهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْـلَمُ مِـنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَـرَفَ اللهَ وَأَسْـمَاءَه وَصِفَاتِهِ، وَمُوجَـبَ حِكْمَتِـهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَـنِ اللَّبِيـبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِـهِ بِهَـذَا، وَلْيَتُبْ إِلَـى اللهِ، وَلْيَسْـتَغْفِرْهُ مِـنْ ظَنِّـهِ بِرَبِّـهِ ظَـنَّ السَّـوْءِ. وَلَـوْ فَتَّشْـتَ مَـنْ فَتَّشْـتَّ لَرَأَيْـتُ عِنْدَهُ تَعَنُّتًـا

عَلَى اَلْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا؛ فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا   فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ

خلاصة ما تم ذكره في ظنِّ السُّوء:

[١] أن يظنَّ أنَّ الله يديل الباطل عَلَى الحقِّ إدالةً مستقرَّةً، يضمحلُّ معها الحقُّ.

[٢] أن ينكر كون ما جرى بقضاء الله وقدره؛ وكيف يكون في ملكه ما لا يريد.

[٣] أن ينكر أن يكون قدره لحكمةٍ بالغةٍ يستحقُّ عليه الحمد.

- وخلاصة العلاج من ظنِّ السُّوء:

(١) معرفة الأسماء والصفات معرفة حق لا معرفة تحريف وتأويل.

(٢) اهتمام العاقل بهذا حَتَّى يظن بالله ظن الحق، لا ظن السُّوء وظنَّ الجاهلية.

(٣) الرُّجوع إِلَى الله بالتوبة من المعصية إِلَى الطاعة والاستغفار.

(٤) أن تظنَّ بنفسك السُّوء، فالإنسان محلُّ النَّقص والسُّوء.

بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ

وَقَالَ اِبْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَالَّذِي نَفْسُ اِبْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ».

ثُمَّ اِسْتَدَلَّ بِقَوْلِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَلْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ اَلصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ! إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ اَلْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ اَلْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ! وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ اَلسَّاعَةُ».

يَا بُنَيَّ! سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي».

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى اَلْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: لَهُ اُكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«فَمَـنْ لَـمْ يُؤْمِـنْ بِالْقَـدَرِ خَيْرِهِ وَشَـرِّهِ أَحْرَقَـهُ اللـهُ بِالنَّارِ»».

وَفِـي «اَلْمُسْـنَدِ» و«اَلسُّـنَنِ» عَـنِ ابْـنِ الدَّيْلَمِـيِّ؛ قَـالَ: «أَتَيْـتُ أُبَـيَّ بْـنِ كَعْـبٍ فَقُلْتُ: فِي نَفْسِـي شَـيْءٌ مِـنَ اَلْقَـدَرِ؛ فَحَدِّثْنِي بِشَـيْءٍ لَعَـلَّ الله يذهبـه مـن قلبـي، فَقَـالَ: لَـوْ أَنْفَقْـتَ مِثْـلَ أُحُـدٍ ذَهَبًا، مَـا قَبِلَـهُ اللـهُ مِنْكَ حَتَّـى تُؤْمِـنَ بِالْقَـدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَـا أَصَابَكَ لَمْ يَكُـنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَـا أَخْطَأَكَ لَـمْ يَكُـنْ لِيُصِيبَـكَ وَلَـوْ مِتَّ عَلَـى غَيْـرِ هَـذَا لَكُنْتَ مِـنْ أَهْـلِ اَلنَّارِ».

قَـالَ: فَأَتَيْـتُ عَبْـدَ اللـهِ بْـنَ مَسْـعُودٍ وَحُذَيْفَـةَ بْـنَ اَلْيَمَـانِ وَزَيْـدَ بْنَ ثَابِـتٍ، فَكُلُّهُـمْ حَدَّثَنِـي بِمِثْـلِ ذَلِـكَ عَـنْ اَلنَّبِـيِّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ».

حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ اَلْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ».

*** الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ

أتى به الْمُصَنِّف لبيان حال إيمان الموحِّد بالقضاء والقدر.

القـدر: هـو سـرُّ الله فـي خلقـه، ولا نعلمـه إِلَّا بعد وقوعـه، ويتعلَّق بتوحيـد الربوبيـة خصوصًـا، ولـه تعلُّـقٌ بتوحيـد الأسـماء والصفـات، وَالنَّـاس فـي القـدر ثـلاث طوائف:

[١] الطائفـة الجبريَّـة: أثبتـوا القـدر وغَلـوا فيـه، حَتَّـى سـلبوا العبد اختيـاره وقدرتـه، وقالـوا: ليـس للإنسـان اختيـارٌ ولا قدرةٌ.

[٢] الطَّائفـة القدريَّـة المعتزلـة: أثبتـوا للعبـد اختيـارًا وقـدرةً فـي عملـه، وغَلـوا فـي ذلـك حَتَّـى نفـوا أن يكـون للـه تَعَالَـى في عمـل العبد

مشـيئةٌ أو خلـقٌ.

[٣] الطَّائفـة الثَّالثـة هـي أهـل السُّـنَّة وَالْجَمَاعَة: جمعـوا بين الأدلة وسـلكوا فـي طريقهم خيـر ملةٍ، فآمنـوا بقضاء اللـه وقدره، وأثبتـوا للعبد مشـيئةً مربوطةً بمشـيئة الله.

- للإيمان بالقضاء والقدر فوائد عظيمةٌ منها:

(١) أنَّه من تمام توحيد الربوبية.

(٢) أنه يوجب صدق الاعتماد عَلَى الله.

(٣) أنـه يوجـب للقلـب الطُّمأنينـة، إذا علمـت أنَّ مـا أصابـك لـم يكـن ليخطئـك، ومـا أخطـأك لـم يكـن ليصيبـك؛ اطمأننت بمـا يصيبك بعـد فعـل الأسـباب النافعة.

(٤) منـع إعجـاب المرء بعمله إذا عمل عملًا يُشـكر عليـه؛ لأنَّ الله هـو الَّذِي مـنَّ عليه.

(٥) عـدم حزنـه عَلَـى ما أصابـه؛ لأنَّه من ربِّـه عَزَّ وَجَـلَّ، فهو صادرٌ عن رحمـةٍ وحِكمةٍ.

(٦) أنَّ الإنسـان يفعـل الأسـباب؛ لأنَّـه يؤمـن بحكمة اللـه، وأنَّه لا يقـدِّر الأشـياء إلَّا مربوطةً بأسـبابها.

وَقَـالَ اِبْـنُ عُمَـرَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا: «وَالَّـذِي نَفْسُ اِبْـنِ عُمَـرَ بِيَدِهِ، لَـوْ كَانَ لِأَحَدِهِـمْ مِثْـلُ أُحُـدٍ ذَهَبًـا، ثُـمَّ أَنْفَقَـهُ فِي سَـبِيلِ اللـهِ مَا قَبِلَـهُ اللهُ مِنْـهُ، حَتَّـى يُؤْمِـنَ بِالْقَدَرِ».

ثُـمَّ اِسْـتَدَلَّ بِقَـوْلِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «اَلْإِيمَـانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللـهِ، وَمَلَائِكَتِـهِ، وَكُتُبِـهِ، وَرُسُـلِهِ، وَالْيَـوْمِ اَلْآخِـرِ، وَتُؤْمِـنَ بِالْقَـدَرِ خَيْرِهِ وَشَـرِّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الإيمـان: قـولٌ باللسـان، واعتقـادٌ بالقلـب، وعمـلٌ بالجـوارح والأركان، يزيـد بالطاعـة وينقـص بالمعصيـة، ولـه سـتَّة أركان:

-باللـه -وملائكتـه -وكتبـه -ورسـله -واليـوم الآخـر -وبالقـدر خيره وشـره.

والإيمان بالله يستلزم أربعة أمور:

-الإيمان بوجوده، ويكون بـ:

العقل: فلا يتصوَّر وجود مخلوق بلا خالق.

الحس: تكـون في كـربٍ وشـدةٍ، ثُـمَّ تدعـو تجدهـا تنفـرج بدعاء الله.

الفطـرة: قَـالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «كل مولودٍ يولـد عَلَى الفطرة، فأبـواه يهوِّدانه أو ينصرانه.. ».

الشـرع: ذَكَـرَ ابـن القيـم رَحِمَهُ اللَّـهُ أنه ما من آيـةٍ في كتـاب الله إِلَّا وفيهـا دليلٌ عَلَـى التوحيد.

- توحيد الربوبية.

- توحيد الألوهية.

- توحيد الأسماء والصفات.

الملائكـة: عالـمٌ غيبـي، خلقهـم اللـه مـن نـور، يطيعـون اللـه ولا يعصونـه لهـم أرواح وأجسـاد وعقـول وقلوب، نؤمـن بهم، وبمـا أعلمنا اللـه مـن أسـمائهم وصفاتهـم وأعمالهـم، والأخبـار الَّتِي جـاءت عنهم.

«وكتبـه» يجـب أن نؤمـن بأنهـا ككلام اللـه حقيقـةً لا مجـازًا، وأنها مُنزَّلـةٌ لا مخلوقـة، وأنَّ اللـه أنـزل مـع كلِّ رسـولٍ كتابًـا، نؤمـن بهـا وبما أخبرنـا اللـه مـن أسـمائها وأخبارهـا وأحكامهـا إجمـالًا وتفصيـلًا، مـا لـم تُنسـخ، ونؤمـن أنَّ القـرآن ناسـخٌ لجميـع مـا قبله مـن الكتـب وهي: التـوراة، والإنجيـل، والزبـور، صحـف إبراهيم وموسـى عَلَيْهِمُ السَّـلَامُ.

«ورسـله» يجـب أن نؤمـن بأنَّهـم بشـرٌ ليس لهـم مـن خصائـص الربوبية شـيء، وأنهـم عبيدٌ لا يُعبـدون، وأن الله أرسـلهم وأوحى إليهم، وأيدهـم بالآيـات، وأنهـم أدوا الأمانـة ونصحـوا الأُمَّة وبلغـوا، وجاهدوا في اللـه حـق جهـاده، نؤمـن بهـم، وبمـا أعلمنـا اللـه مـن أسـمائهم وصفاتهـم وأخبارهـم، وأنَّ أول الأنبيـاء آدم عَلَيْـهِ السَّـلَامُ، وأول الرسـل نـوح عَلَيْـهِ السَّـلَامُ، وخاتـم الأنبيـاء مُحَمَّد صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، وأنَّ الشـرائع كلهـا منسـوخةٌ بشـريعة مُحَمَّـدٍ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ.

«واليـوم الآخـر»: يتضمـن الإيمـان بـكل مـا أخبـر بـه النَّبِيّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مِمَّـا يكـون بعـد المـوت، مثـل: فتنـة القبـر، النَّفـخ في الصُّـور، وقيام النَّـاس من قبورهـم، والموازيـن، والصحـف، والصراط، والحـوض، والشـفاعة، وَالجَنَّـة، وَالنَّـار، ورؤيـة المؤمنيـن لربهـم يـوم القيامـة وفـي الجنـة، وغيرهـا مـن الأمـور الغيبية.

«وتؤمن بالقدر» الإيمان بالقدر له أربع مراتب:

- العلم: الإيمان بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِمَ كلَّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا.

- الكتابة: الإيمانُ بأنَّ الله قد كتب مقادير كل شيء إِلَى أن تقوم الساعة.

- المشيئة: الإيمان بأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ للعبد مشيئة داخلة تحت مشيئة الله.

- الخلق: فما من شيءٍ إِلَّا الله خالقه ومدبره وذو سلطانه، حَتَّى فعل المخلوق.

وَفي حديث عُبَادَةَ بنِ اَلصَّامِتِ رضي الله عنه ومما يليه من فوائد:

وَفِي «اَلْمُسْنَدِ» و«اَلسُّنَنِ» عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ؛ قَالَ: «أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنِ كَعْبٍ فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ اَلْقَدَرِ؛ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ الله يذهبه من قلبي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ»، قَالَ فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ اَلْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنْ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ اَلْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ».

«يَا بُنيَّ» فيه ملاطفة الأبناء بالموعظة، وأنَّه ينبغي أن يُلقَّن الأبناء

الأحكام بأدلّتها:

(١) لتُعوِّد ابنك عَلَى اتّباع الأدلة.

(٢) ولتُربّيه عَلَى محبة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«القلم» فيها روايتان بالضَّمِّ والفتح:

- بالضَّمِّ: يكون المعنى أنَّ أوَّل ما خلق الله هو القلم بالنسبة لما نشاهده فَقَطْ من المخلوقات، كالسموات والأرض، فهي أوَّليَّة نسبيَّةٌ.

- بالنصب: فيكون المعنى أنَّ الله أمر القلم أن يكتب عند أوَّل خلقه له.

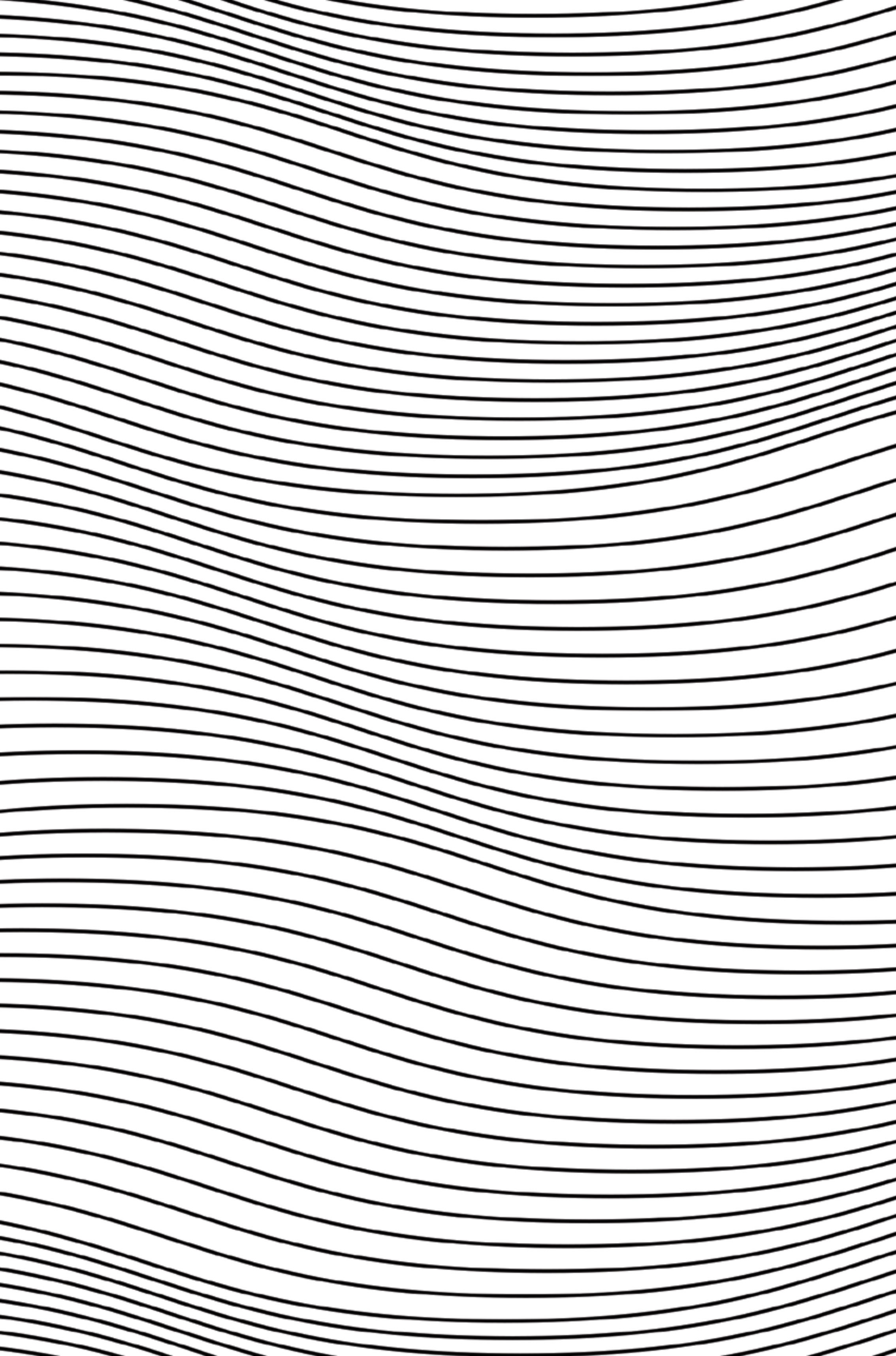

بابُ مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِينَ

عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «قَالَ اللـهُ تَعَالَى: وَمَـنْ أَظْلَمُ مِمَّـنْ ذَهَبَ يَخْلُـقُ كَخَلْقِي؟! فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً! أَوْ لِيَخْلُقُـوا حَبَّـةً! أَوْ لِيَخْلُقُـوا شَـعِيْرَةً»! أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَـا عَـنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «أَشَـدُّ النَّـاسِ عَذَابًـا يَـوْمَ القِيَامَـةِ: الَّذِيـنَ يُضَاهِئُـونَ بِخَلْـقِ اللَّهِ».

وَلَهُمَـا عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللـه صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يَقُـولُ: «كُلُّ مُصَـوِّرٍ فِـي النَّـارِ، يُجْعَـلُ لَـهُ بِـكُلِّ صُـورَةٍ صَوَّرَهَـا نَفْسٌ يُعَـذَّبُ بِهَـا فِـي جَهَنَّـمَ».

وَلَهُمَـا عَنْـهُ مَرْفُوعًـا: «مَـنْ صَـوَّرَ صُورَةً فِـي الدُّنْيَـا؛ كُلِّـفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَـا الـرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِـخٍ». وَلِمُسْـلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّـاجِ قَالَ: قَـالَ لِي عَلِيٌّ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ: «أَلَا أَبْعَثُـكَ عَلَى مَـا بَعَثَنِـي عَلَيْهِ رَسُـولُ اللَّهِ صَلَـى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ؟ أَلَّا تَدَعَ صُـورَةً إِلَّا طَمَسْـتَهَا وَلَا قَبْرًا مُشْـرِفًا؛ إِلَّا سَـوَّيْتَه».

*** الإفادات:**

بابُ مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِين

أتـى بـه الْمُصَنِّـف لينبِّـه الموحِّـد عَلَـى خطـر التَّعـدِّي عَلَـى جَناب

الرُّبوبيَّة.

[١] في التَّصوير خلقٌ وإبداعٌ يكون به المصوِّر مشاركًا لله في ذلك الخلق والإبداع.

[٢] أوَّل شركٍ وقع في الأرض في قوم نوحٍ كان سببه التَّصاوير والتَّماثيل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟! فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً! أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً! أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً»! أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ».

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ». وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا؛ إِلَّا سَوَّيْتَه».

عقوبة المصوِّر:

(١) أنَّه أشدُّ النَّاس عذابًا أو من أشدّهم عذابًا.

(٢) أنَّه ملعونٌ.

(٣) أنَّ الله يجعل له في كلِّ صورةٍ نفسًا يُعذِّب بها في نار جهنَّم.

(٤) أنه في النَّار.

(٥) أنه يُكلِّف أن ينفخ فيها الرُّوح وليس بنافخٍ.

[٦] لا أحد أظلم منه في هذَا الباب، أو أنَّه في قمَّة الظُّلم.

- أنواع التصوير:

١/ المتجه لنصوص الوعيد هو تصوير ذوات الأرواح بالنحت على هيئة تماثيل ومجسمات .

٢/ التصوير الفوتوغرافي وفيه نزاع بين أهل العلم من مانع ومجيز.

٣/ تصوير الفيديو وهو نقل حي لا يدخل في مفهوم التصوير الممنوع.

أقسام اقتناء الصُّور:

١- لتعظيم المصوَّر؛ فَهذَا حرامٌ بِلَا شَكَّ؛ لأنَّ تعظيم ذوي السُّلطة باقتناء صورهم ثَلْمٌ في الرُّبوبيَّة، وتعظيم ذوي العبادة باقتناء صورهم ثلمٌ في جانب الألوهيَّة.

٢- للتمتع بالنظر إليها أو التَّلَذُّذ بها؛ فَهذَا حرامٌ لما فيه من الفتنة.

٣- للذكرى حنانًا أو تلطفًا كالذين يصورون صغار أولادهم، وأهل العلم بين مانعٍ ومجيز.

٤- أن يُلجأ إِلَى اقتنائها إلجاءً؛ كالصور الَّتِي في النقود والبطاقات الشخصية، فَهذَا لا إثم فيه؛ لأَنَّه لا يمكن التحرز منه.

٥- لكونها تبعًا لغيرها لا رغبةً فيها إطلاقًا: كالصور الَّتِي في الصحف، فَهذَا لا بأس به لكن إن أمكن طمسها بلا حرجٍ ولا مشقَّةٍ فهو أولى.

٦- أن تكون مُهانة ملقاةً في المزابل أو مفترشةً أو موطوءةً فلا بأس به، ولا يُلحق بذلك اللباس الَّذِي فيه الصور.

تصوير ما لا روح فيه:

- لما يصنع الإنسان؛ جائز.

- ما لا يصنعه الإنسان:

نوع غير نام يجوز بالاتفاق.

نوع نام اختلف فيه، والجمهور مع الجواز.

- تسوية القبر له معنيان:

- تسويته بما حوله من القبور.

- جعله مسنما عَلَى ما تقتضيه الشريعة.

- إشراف القبر:

- يكون مشرفًا لكبر الأعلام الَّتِي توضع عليه.

- أن يبنى عليه وَهذَا من كبائر الذنوب.
- أن تشرف بالتلوين، يوضع عَلَى أعلامها ألوانًا مزخرفة.
- أن يرفع تراب القبر عَلَى ما حوله.

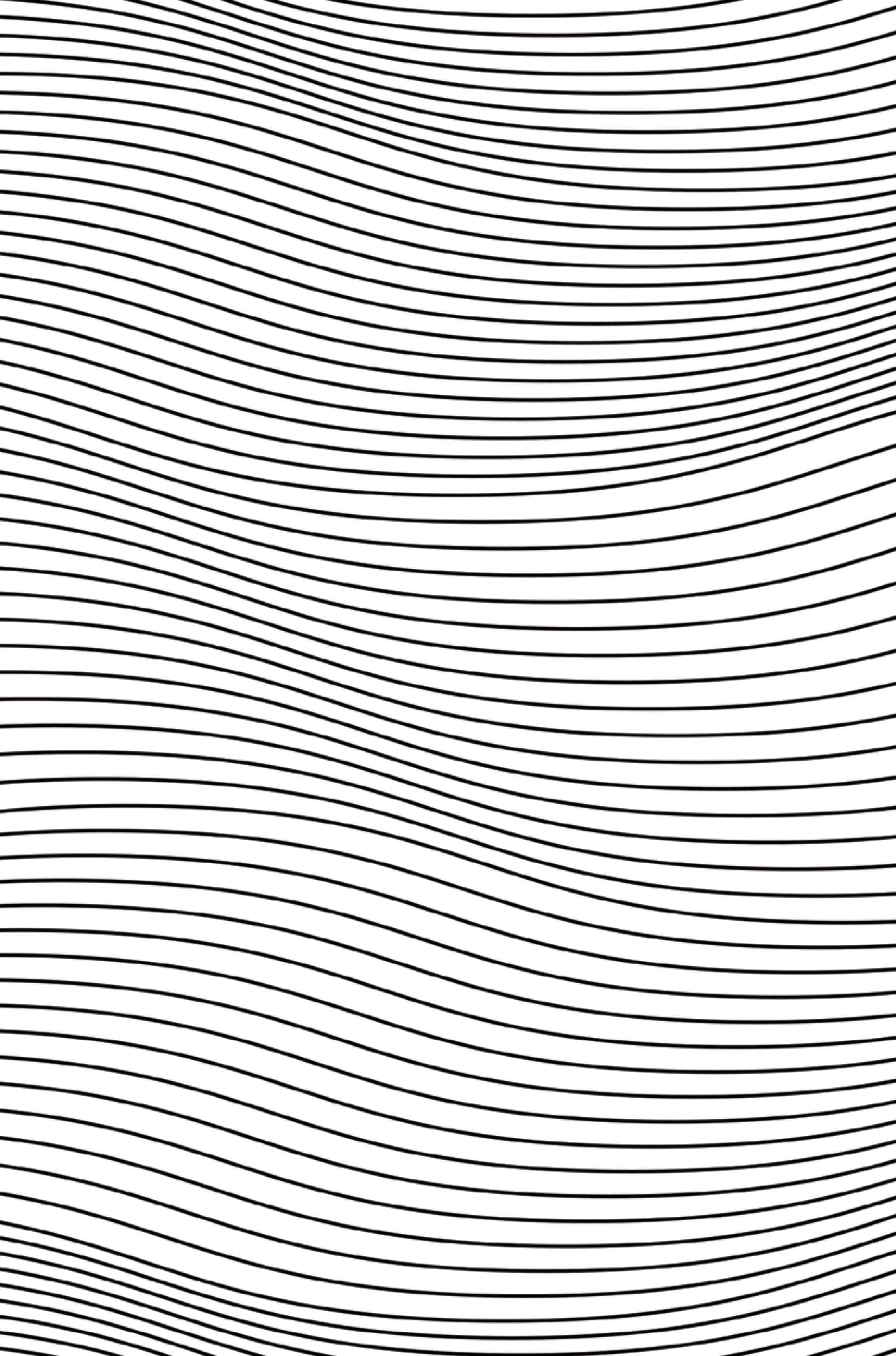

بَابُ مَا جاءَ فِي كَثْرَةِ اَلْحَلِفِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اَلْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ» أَخْرَجَاهُ.

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ» رَوَاهُ اَلطَّبَرَانِيُّ بسندٍ صحيحٍ.

وَفِي «اَلصَّحِيحِ» عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي: قَرْنِي، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، ويخونون وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ اَلسِّمَنُ».

وَفِيهِ عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ اَلنَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ اَلنَّاسِ: قَرْنِي، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى اَلشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ».

*** الإفادات:**

بَابٌ مَا جاءَ فِي كَثْرَةِ اَلْحَلِفِ

أتى به الْمُصَنِّف ليوصي الموحِّد بحفظ الإيمان، وتعظيم الله عند التَّعامُل مع النَّاس.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَاحْفَظُوٓا أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

- مراتب حفظ اليمين:
- حفظها ابتداءً: بعدم كثرة الحلف.
- حفظها وسطًا: بعدم الحنث فيها، إِلَّا ما استثني.
- حفظها انتهاءً: بإخراج الكفَّارة بعد الحنث.
- بأن لا يحلف بغير الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اَلْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ» أَخْرَجَاهُ.

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ» رَوَاهُ اَلطَّبَرَانِيُّ بسندٍ صحيحٍ.

وَفِي «اَلصَّحِيحِ» عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خَيْرُ أُمَّتِي: قَرْنِي، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ

ثَلَاثًـا؟ «ثُـمَّ إِنَّ بَعْدَكُـمْ قَوْمًـا يَشْـهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْـهَدُونَ، ويخونـون وَلَا يُؤْتَمَنُـونَ، وَيَنْـذِرُونَ وَلَا يُوفُـونَ، وَيَظْهَـرُ فِيهِمْ اَلسِّـمَنُ».

وَفِيـهِ عَـنِ اِبْـنِ مَسْـعُودٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ أَنَّ اَلنَّبِـيَّ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «خَيْـرُ اَلنَّـاسِ: قَرْنِي، ثُـمَّ اَلَّذِيـنَ يَلُونَهُمْ، ثُـمَّ اَلَّذِيـنَ يَلُونَهُمْ، ثُـمَّ يَجِـيءُ قَـوْمٌ تَسْـبِقُ شَـهَادَةُ أَحَدِهِـمْ يَمِينَـهُ، وَيَمِينُهُ شَـهَادَتَهُ».

قَـالَ إِبْرَاهِيـمُ: «كَانُـوا يَضْرِبُونَنَـا عَلَـى اَلشَّـهَادَةِ وَالْعَهْـدِ وَنَحْـنُ صِغَـارٌ».

«تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»:

[١] لقلَّة الثِّقة بهم لا يشهدون إلَّا باليمين.

[٢] أو أنَّه كنايةٌ عن كون هؤلاء لا يُبالون بالشَّهادة ولا باليمين.

- الحلف بغير الله:

- إذا اقترن به التعظيم للمحلوف؛ شرك.

- إذا لم يصاحبه ذلك؛ شرك أصغر.

- يُشترط لجواز ضرب الصَّغير:

- أن يكـون الصَّغيـر قابـلًا للتَّأديـب؛ فـلا يُضْـرب مـن لا يعـرف المـراد بالضـرب.

- أن يكون التأديب ممَّن له ولايةٌ عليه.

- أن لا يسـرف فـي ذلـك كمِّيَّـة أو كيفيَّـة أو نوعًا أو موضعًـا أو غير ذلك.

- أن يقع من الصغير ما يستحقّ التأديب عليه.
- أن يقصد تأديبه لا الانتقام لنفسه، وَإِلَّا كان منتصرًا لنفسه.

بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ.

وَقَوْلُـهُ تَعَالَـى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١] الآيـة.

عَـنْ بُرَيْـدَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَـالَ: كَانَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ إِذَا أَمَّـرَ أَمِيـرًا عَلَـى جَيْشٍ أَوْ سَـرِيَّةٍ أَوْصَـاهُ بِتَقْـوَى اللهِ وَمَـنْ مَعَهُ مِـنَ اَلْمُسْـلِمِينَ خَيْـرًا. فَقَـالَ: «اُغْـزُوَا بِسْـمِ اللـهِ، فِـي سَـبِيلِ اللـهِ، قَاتِلُوا مَـنْ كَفَـرَ بِاللـهِ، اُغْـزُوَا وَلَا تَغُلُّـوا وَلَا تَغْـدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُـوا، وَلَا تَقْتُلُـوا وَلِيـدًا، وَإِذَا لَقِيـتَ عَـدُوَّكَ مِـنَ اَلْمُشْـرِكِينَ، فَادْعُهُـمْ إِلَـى ثَـلَاثِ خِصَالٍ» أو «خـلال، فَأَيتهُـنَّ مَـا أَجَابُوكَ، فَاقْبَـلْ مِنْهُمْ، وَكُـفَّ عَنْهُمْ ثُـمَّ اُدْعُهُمْ إِلَى اَلْإِسْـلَامِ، فَـإِنْ أَجَابُـوكَ، فَاقْبَـلْ مِنْهُـمْ، ثُمَّ اُدْعُهُـمْ إِلَى التَّحوُّل مـن دَارِهِمْ إِلَـى دَارِ اَلْمُهَاجِرِيـنَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُـمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَـا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِـمْ مَـا عَلَى اَلْمُهَاجِرِيـنَ، فَإِنْ أَبَـوْا أَنْ يَتَحَوَّلُـوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُـمْ أَنَّهُمْ يَكُونُـونَ كَأَعْـرَابِ اَلْمُسْـلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِـمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَـى، وَلا يكونُ لهـمْ فِي الغَنيمَـةِ وَالْفَـيءِ شَـيءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَـعَ اَلْمُسْـلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَـوْا، فَاسْـأَلْهُمْ اَلْجِزْيَـةَ، فَإِنْ هُـمْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَـلْ مِنْهُمْ، وَكَـفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُـمْ أَبَـوْا، فَاسْـتَعِنْ بِاللـهِ وَقَاتِلْهُـمْ. وَإِذَا حَاصَـرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَـأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَـلَ لَهُـمْ ذِمَّـةَ اللـهِ وَذِمَّـةَ نَبِيِّهِ، فَـلَا تَجْعَـلْ لَهُمْ ذِمَّـةَ اللهِ وَذِمَّـةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِـنِ اِجْعَـلْ لَهُـمْ ذِمَّتَـكَ وَذِمَّـةَ أَصْحَابِـكَ، فَإِنَّكُـمْ إِنْ تَخْفِـرُوا ذِمَمَكُـمْ

وَذِمَّـةَ أَصْحَابِكُـمْ أَهْـوَنُ مِـنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّـةَ اللهِ وَذِمَّـةَ نَبِيِّهِ.

وَإِذَا حاصرت أهـل حصـن فـأرادوك أَنْ تُنْزِلَهُـمْ عَلَـى حُكْـمِ اللهِ، فَـلَا تُنْزِلْهُـمْ عَلَـى حُكْمِ اللـهِ وَلَكِـنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَـى حُكْمِكَ فَإِنَّـكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيـبُ فِيهِـمْ حُكْمَ اللـهِ أَمْ لَا» رَوَاهُ مُسْـلِمٌ.

*** الإفادات:**

بَابٌ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ.

أتـى بـه الْمُصَنِّـف ليُعظِّـم المُوحِّـد ذمَّـة اللـه وذمَّة نبيّـه صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فـي حـال السَّـرَّاء والضَّرَّاء.

عـدم الوفـاء بعهـد اللـه تَنَقُّصٌ لـه، وَهـذَا مُخِـلٌ بالتَّوحيـد، فتعظيم اللـه يجـب أن يكـون فـي التعامل مـع النَّـاس ولـو كانـوا كُفَّـارًا، ولو في أعصـب الحـالات، وهو الجهاد في سـبيل اللـه، فيحكِّم الشـريعة ويُعظِّم ذمَّـة الله وذمَّـة نبيـه صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ.

وَقَوْلُـهُ تَعَالَـى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾ [النحـل: ٩١] الآيـة.

وفي حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الفوائد عند قول:

«اغزوا في سبيل الله»:

١] مستعينين بالله.

٢] افتتحوا الغزو باسم الله.

«في سبيل الله» تشمل النِّيَّة والعمل.

الكفر مداره عَلَى أمرين:

الجحود.

الاستكبار.

- «ولا تغُلُّوا»: أن يكتم شيئًا من الغنيمة فيختصُّ به، وهو من الكبائر.

- «والفيء» ما يُصرف لبيت المال، كخُمس خُمس الغنيمة والخراج والجزية.

- الجزية: هي مالٌ مدفوعٌ من غير المسلم عوضًا عن حمايته وإقامته بدار المسلمين، وفيه جواز أخذ الجزية من غير اليهود والنصارى والمجوس.

- ما نفعله مع المعاهدين:

- يجب الوفاء بالعهد إذا استقاموا هم عليه: ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٧].

- إذا نقضوا العهد يسقط العهد ويحلُّ قتالهم: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾ [التوبة: ١٢].

- إذا تردَّدنا في العهد نردُّه عليهم: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨].

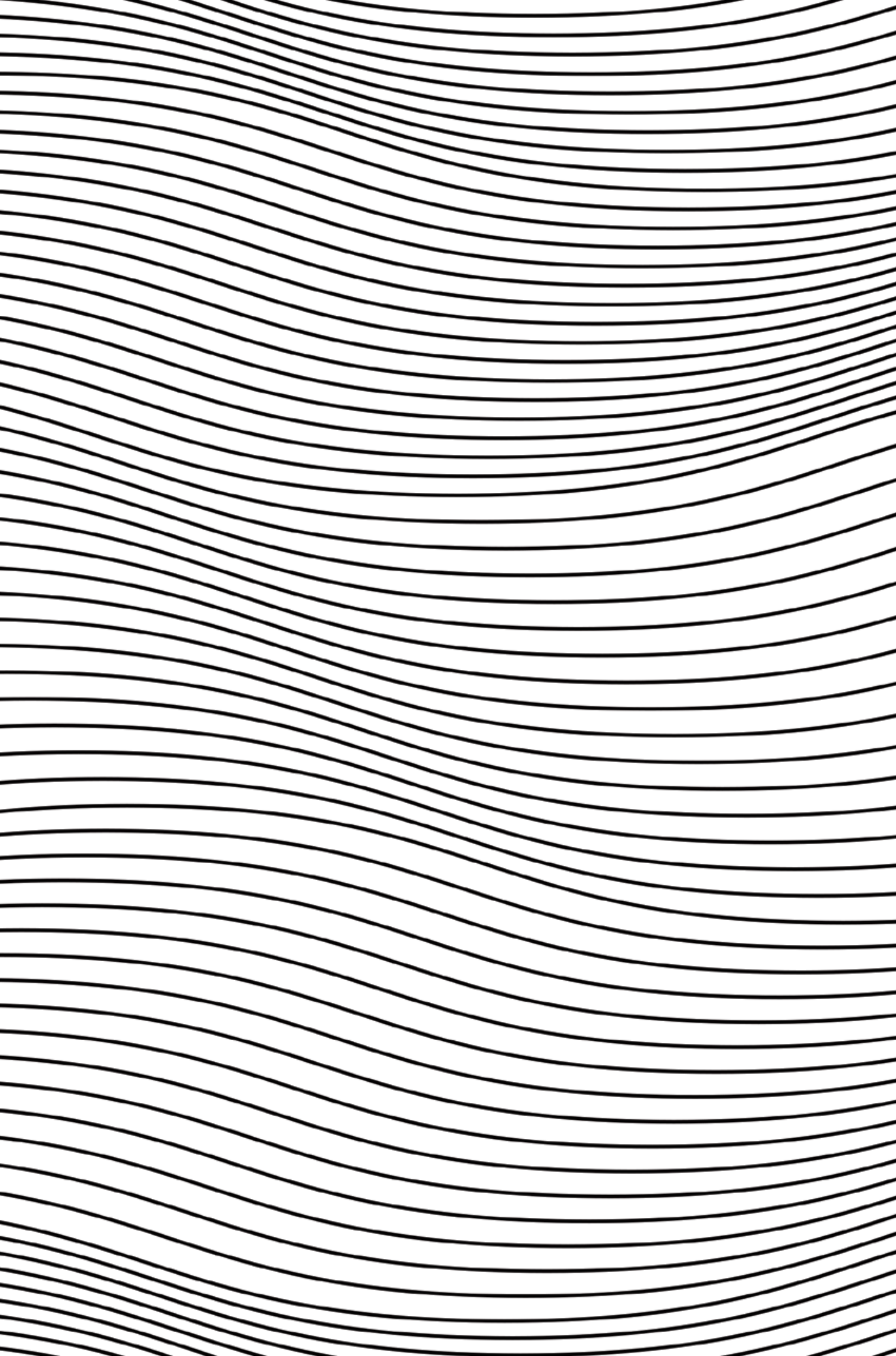

بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ».

*** الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

أتى به المُصَنِّف ليحذِّر المُوحِّد من التَّعدِّي عَلَى جناب الرُّبوبيَّة بإغلاق باب الرَّحمة عن العباد، فمن تألَّى عَلَى الله فقد أساء الأدب معه وتحجَّر فضله وأساء الظَّنَّ به، وكلُّ هذا ينافي كمال التوحيد، وربما نافى أصل التوحيد.

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِـي حَدِيـثِ أَبِـي هُرَيْـرَةَ: أَنَّ القَائِـلَ رَجُـلٌ عَابِدٌ، قَـالَ أَبُـو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّـمَ بِكَلِمَـةٍ، أَوْبَقَـتْ دُنْيَـاهُ وَآخِرَتَهُ».

الإقسام عَلَى الله هو: الحلف عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، ويُقسم إِلَى:

- جائـزٌ: أن يقسم بمـا أخبـر الله به ورسـوله مـن نفي وإثبـات، فيه دليـلٌ عَلَـى يقينه، (واللـه؛ ليشـفِّعنَّ الله نبيَّه فـي الخلق يـوم القيامة).

- جائـز: أن يقسـم عَلَـى ربِّـه لقـوَّة رجائه وحسـن ظنِّه بربه، بشـرط أن يكـون لـه عمـلٌ صالحٌ؛ كمـا في قصة أنـس بن النضـر رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ.

- مُحـرَّمٌ ويوشـك ان يحبـط العمـل: أن يكـون الحامـل لـه هـو الإعجـاب بِالنَّفْـسِ، وتحجُّـر فضـل اللـه وسـوء الظَّـنِّ بـه تَعَالَـى.

بَابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! نُهِكَتِ اَلْأَنْفُسُ، وَجَاعَ اَلْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ اَلْأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللهِ! فَقَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ! ».

فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ! أتدري ما اللهُ؟! إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ» وَذَكَرَ اَلْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

*** الإفادات:**

بَابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ

أتى به الْمُصَنِّف ليحذِّر الموحِّد من جعل رُتبة المَخلوق أعلى من الخالق، فالاستشفاع بالله عَلَى خلقه تنقُّصُ لله؛ لأنَّه جعل لمرتبته أدنى من مرتبة المشفوع إليه.

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! نُهِكَتِ اَلْأَنْفُسُ، وَجَاعَ اَلْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ اَلْأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ،

وَبِكَ عَلَى اللهِ! فَقَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ! ».

فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ! أتدري ما اللهُ؟! إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ» وَذَكَرَ اَلْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

«نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ» أي: نجعله واسطةً بيننا وبينك لتدعو الله لنا، وَهذَا يقتضي أنه جعل مرتبة الله أدنى من مرتبة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهذَا منكرٌ.

«سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ! »: استعظامًا لهذا القول، وإنكارًا له، وتنزيهًا لله عَزَّ وَجَلَّ.

«وَيْحَكَ» أترحَّم لك وأحنُّ عليك.

بَابُ مَا جَاءَ فِي حماية النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ اَلشِّرْكِ

عَـنْ عَبْـدِ اللـهِ بْنِ الشِّـخِّيرِ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَـالَ: اِنْطَلَقْتُ فِـي وَفْدِ بَنِـي عَامِـرٍ إِلَـى رَسُـولِ اللـهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فَقُلْنَـا أَنْتَ سَـيِّدُنَا، فَقَـالَ: «اَلسَّـيِّدُ اللـهُ تَبَـارَكَ وَتَعَالَى».

قُلْنَـا: وَأَفْضَلُنَـا فَضْـلاً، وَأَعْظَمُنَـا طَـولاً، فَقَـالَ: «قُولُـوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْـضِ قَوْلِكُـمْ، وَلَا يَسْـتَجْرِيَنَّكُمْ اَلشَّـيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ بِسَـنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَـنْ أنَـسٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًـا قَالُوا: يَا رَسُـولَ اللهِ! يَـا خَيْرَنَا وَابْـنَ خَيْرِنَا، وَسَـيِّدَنَا وَابْنَ سَـيِّدِنَا! فَقَالَ: «يَـا أَيُّهَا اَلنَّاسُ! قُولُـوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْـتَهْوِيَنَّكُمْ اَلشَّـيْطَانُ، أَنَـا مُحَمَّـدٌ، عبـدُ اللـهِ ورَسُـولُهُ، مَـا أُحِـبُّ أَنْ تَرْفَعُونِـي فَـوْقَ مَنْزِلَتِـي اَلَّتِـي أَنْزَلَنِي اللهُ عَـزَّ وَجَلَّ». رَوَاهُ النَّسَـائِيُّ بِسَـنَدٍ جَيِّدٍ .

❊ الإفادات:

بَابُ مَا جَاءَ فِي حماية النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ اَلشِّرْكِ

أتى به الْمُصَنِّف ليجتنب المُوحِّد كلَّ قولٍ يؤدِّي إِلَى الشِّرْك.

- مـا الفـرق بين هـذَا الباب، وبـاب «ما جـاء في حمايـة المصطفى

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد، وسدِّه كل طريق يوصل إِلَى الشِّرْك»:

- أن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أراد في الباب الذي فيه حماية جناب التوحيد أراد أن يبيّن حماية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتوحيد نفسه من أن يقع فيه شرك.

- وهنا في هذا الباب أراد أن يبين أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى ما حول التوحيد، بعد حمايته التوحيد، وهذا من باب العناية التامّة بشأن التوحيد.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اِنْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «اَلسَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَولاً، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا! فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، عبدُ اللهِ ورَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي اَلَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

- قد يقول قائل جاءت أحاديث فيها إطلاق السيد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى غيره، فمثلاً صحّ عن النبي صَلَّى اللهُ

عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ أنـه قال: «أنا سيّد ولـد آدم ولا فخـر»، وقال في الحسـن بن علـي رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ: «إن ابني هذا سـيد، وسـيصلح الله به بيـن طائفتيْن عظيمتيْـن من المسـلمين»، وقال: «الحسـن والحسـين سـيّدا شـباب أهل الجَنَّـة»، ولمـا جـيء بمعـاذٍ بـن جبل رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُ عـام الخنـدق، قال صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ للأنصـار: «قومـوا إلـى سـيّدكم»، فمـا الجواب علـى ذلك؟

- للعلماء ثلاثة أقوال:

- الأول: أن المنهـي عنـه إطـلاق لفـظ «السَّـيِّد» وأجابـوا عـن الأحاديـث المخالفـة بأنهـا أحاديـث متقدّمـة، وحديـث «السـيد اللـه» متأخـر، فيكـون ناسـخاً لهـا.

- الثانـي: جواز إطلاق السَّـيِّد على المخلـوق، وأجابوا عن حديث المنع بأنـه محمولٌ على كراهـة التنزيه، فيكـون النهي للتنزيه.

- الثالـث: الجـواز مطلقـاً بـلا كراهـة، إلا إذا خيف من الغلـوّ، فإن النبـي صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ خـاف عليهم مـن الغلوّ.

- وهنـاك قـولٌ رابـع ألْمَـحَ إليـه بعض الشـراح وهـو: أنّـه لا يجوز إطـلاق السـيد على الشـخص فـي حضـوره ومواجهتـه، ويجـوز إطلاقه عليـه وهـو غائب، لأن النبـيّ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ إنما اسـتنكر هذا لمّا واجهـوه بـه صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فيُمنع مواجهة الإنسـان بقـول: (أنتَ السـيد)، (أنتَ سـيدنا) أو ما أشـبه ذلك خوفـاً عليه من الإعجاب بنفسـه، كمـا نهـى النبي صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ عن مدح الإنسـان حـال حضوره،

وفـي ذلـك حمايـة حِمـى التوحيد وسـدّ الطرق التـي تُفضي إلى الشّـرك.

بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ الآية.

عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ اَلْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ اَلسَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ اَلْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: «أَنَا اَلْمَلِكُ»، فَضَحِكَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ اَلْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: «أَنَا المَلِكُ، أَنَا اللهُ»».

وَفِي رِوَايَةٍ للبُخَارِيِّ: «يَجْعَلُ اَلسَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرِ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ».

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -مَرْفُوعًا-: يَطْوِي اللهُ اَلسَّمَاوَاتِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اَلْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا اَلْمَلِكُ أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟»، ثُمَّ يَطْوِي اَلْأَرَضِينَ اَلسَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا اَلْمَلِكُ، أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ

اَلْمُتَكَبِّـرُونَ؟».

وَرُوِيَ عَـنْ اِبْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا قَـالَ: «مَـا اَلسَّـمَاوَاتُ اَلسَّـبْعُ فِـي اَلْكُرْسِـيِّ إِلَّا كَدَرَاهِـمَ سَـبْعَةٍ أُلْقِيَـتْ فِـي تُـرْسٍ».

وَقَـالَ ابْـنُ جَرِيـرٍ: حَدَّثَنِـي يُونُـسُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْـبٍ قَالَ: قَـالَ ابْنُ زَيْـدٍ: حَدَّثَنِـي أَبِـي قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللـه صَلَّـى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «مَا السَّـمَوَاتُ السَّـبْعُ فِـي الكُرْسـي إِلَّا كَدَرَاهِـمَ سَـبْعَةٍ أُلْقِيَـتْ فِـي تُرْسٍ».

قَـالَ: وَقَـالَ أَبـو ذرٍّ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَـمِعْتَ رَسُـولَ اللـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يَقُولُ: «مَا اَلْكُرْسِـيِّ فِي اَلْعَـرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيـدٍ أُلْقِيَتْ بَيْـنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِـنَ اَلْأَرْضِ».

وَعَـنْ اِبْـنِ مَسْـعُودٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، قَـالَ: «بَيْـنَ اَلسَّـمَاءِ اَلدُّنْيَـا وَالَّتِـي تَلِيهَـا خَمْسُـمِائَةِ عَـامٍ، وَبَيْـنَ كُلِّ سَـمَاءٍ وَسَـمَاءٍ خَمْسُـمِائَةِ عَـامٍ، وَبَيْـنَ اَلسَّـمَاءِ اَلسَّـابِعَةِ وَالْكُرْسِـيِّ خَمْسُـمِائَةِ عَامٍ، وَبيْـنَ اَلْكُرْسِـيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُـمِائَةِ عَـامٍ، وَالْعَرْشُ فَـوْقَ اَلْمَاءِ، وَاللهُ فَـوْقَ اَلْعَـرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَـيْءٌ مِـنْ أَعْمَالِكُمْ».

أخرجـه اِبْـنُ مَهْـدِيٍّ عَـنْ حَمَّـادِ بْنِ سَـلَمَةَ عَـنْ عَاصِـمٍ عَـنْ زِرٍّ عَنْ عبـد اللـهِ، وَرَوَاهُ بِنَحْـوِهِ اَلْمَسْـعُودِيُّ عَـنْ عَاصِـمٍ عَنْ أَبِـي وَائِلٍ عَـنْ عَبْدِ اللـهِ، قَالَـهُ اَلْحَافِـظُ اَلذَّهَبِـيُّ رَحِمَهُ اللـهُ تَعَالَى قَـالَ: (وَلَـهُ طُرُقٌ).

وَعَـنْ اَلْعَبَّـاسِ بْـنِ عَبْـدِ اَلْمُطَّلِـبِ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّـهِ صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «هَلْ تَـدْرُونَ كَـمْ بَيْـنَ اَلسَّـمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قُلْنَـا: اللـهُ وَرَسُـولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

*** الإفادات:**

بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية.

ختم الْمُصَنِّف بهذا الباب -واللهُ أَعْلَمُ-:

[١] حَتَّى لا نكون كالمشركين الَّذِينَ لم يُعظِّموا الخالق.

[٢] حَتَّى لا نغتر بعملنا، فَلَا بُدَّ من عمل المرء من تقصيرٍ، فيتذلَّل العبد لله ويخضع له.

[٣] اقتداءً بالإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في ختمه بحديث: «ثقيلتان في الميزان»؛ فكأنَّه يدعو الله أن يثقِّل موازينه بهذا الكتاب كما ثقُلت هذِه المخلوقات، ويستغفر من الزَّلل.

والضمير في الآية يعود عَلَى المشركين ما عظَّموا الله حقَّ تعظيمه حيث أشركوا به ما كان من مخلوقاته، وهو مُنَزَّهٌ عن كلِّ

نقصٍ وعيبٍ، وَمِمَّا يُنزَّه عنه الأندادُ، ولو عظَّموه حقَّ تعظيمه لما عبدوا وأطاعوا غيره.

وفي حديث اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الفوائد عند قوله:

- «أين الجبَّارون؟» الاستفهام للتَّحدِّي، أي: أين الملوك الَّذِينَ كانوا في الدنيا لهم السُّلطة والتَّجبُّر عَلَى عباد الله؟ وهم في ذلك الوقت يُحشرون أمثال الذَّرِّ يَطؤهم النَّاس بأقدامهم.

- «بشماله» زيادة شاذَّة، وإذا قدّرنا أنها محفوظة فإنها تكون بمعنى اليد الأخرى، ولا تنافي «كلتا يديه يمين»، وليست كشمال المخلوق الَّتِي هي ناقصةٌ عن اليمين.

- «الكرسي» موضع قدمي الله عَزَّ وَجَلَّ.

- «تُرْس» شيءٌ من جلد أو خشب يُحمل عند القتال يُتَّقى به السيف والرُّمح ونحوهما.

- «العرش» المخلوق العظيم الَّذِي استوى عليه الرحمن، ولا يقدر قدره إِلَّا الله.

قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ يشمل كل من تنقّص الله تَعَالَى في أيِ من صفاته أو أسمائه فيكون ما قدر الله حقّ قدره ويدخل في ذلك من الطوائف الضالة:

- الدهريّة: وهم طائفة جاحدة معطّلة ينفون وجود الله تعالى الذين يقولون: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، وقد

ردّ الله عليهم بقوله: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾.

- كذلك المشركون: الذين أقرّوا أن الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر هو الله سبحانه وتعالى ولكنهم عبدوا غيره من المخلوقات من الأصنام والقبور والأشجار.

- كذلك الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية: هؤلاء الذين ألحدوا في أسماء الله وصفاته أو جحدوا بعضها فهؤلاء ما قدروا الله حقّ قدره ولا عظّموه حقّ تعظيمه.

- كذلك القدريّة: الذين نفوا القدَر وقالوا: «إن الأشياء توجد بدون قدَر الله وأنه أُنف، يعني: تحدث بغير قدر الله، وإنما العبد هو الذي يخلق فعل نفسه دون أن يكون لله قدرٌ سابق، وعلمٌ سابق بهذه الأشياء».

- كذلك كل من عصى الله وارتكب ما حرّم الله من المعاصي وترك ما أوجب عليه من الطاعات فهذا أيضاً ما قدر الله حقّ قدره.

- كذلك مَن حكم بغير ما أنزل الله، وجعل القوانين الوضعية بديلاً عن الأحكام التي شرعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فهذا ما قدر الله حقّ قدره.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -مَرْفُوعًا-: يَطْوِي اللهُ اَلسَّمَاوَاتِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اَلْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا اَلْمَلِكُ أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟ »، ثُمَّ يَطْوِي اَلْأَرْضِينَ اَلسَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا اَلْمَلِكُ، أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ

اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟ ».

وَرُوِيَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ فِي اَلْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ».

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسي إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ».

قَالَ: وَقَالَ أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا اَلْكُرْسِيِّ فِي اَلْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ اَلْأَرْضِ».

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «بَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلدُّنْيَا وَاَلَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ اَلْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ اَلْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ اَلْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ» أخرجه اِبْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عبد اللهِ، وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ اَلْمَسْعُودِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَهُ اَلْحَافِظُ اَلذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ: (وَلَهُ طُرُقٌ).

وَعَنْ اَلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ » قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ،

مَسِـيرَةُ خَمْسُـمِائَةِ سَـنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَـمَاءٍ وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّـابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْـرٌ بَيْـنَ أَسْـفَلِهِ وَأَعْـلَاهُ كَمَـا بَيْـنَ اَلسَّـمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللـهُ تَعَالَـى فَوْقَ ذَلِـكَ، وَلَيْـسَ يَخْفَـى عَلَيْـهِ شَـيْءٌ مِـنْ أَعْمَـالِ بَنِـي آدَمَ» أَخْرَجَهُ أَبُـو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

- «هل» استفهاميَّةٌ يُراد بها أمران:

(١) التَّشويق لما سيُذكر.

(٢) التَّنبيه إِلَى ما سيلقيه عليهم.

- «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ» تُقال في:

١) حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢) في الأمور الشَّرعيَّة الَّتِي علمها.

- يُستفاد من أحاديث الباب:

[١] تعظيم الله والحذر من مخالفته.

[٢] أنَّ الله لا يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدم.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

تمـت خلاصـة مـا جمعتـه لنفسـي، ولطلابـي فـي دروسـي معهـم لهـذا الكتـاب العظيـم، راجيا من اللـه جل وعـز أن يجعل فيـه البركة كما جعلهـا فـي أصله.

وتمت الإفادات

جمعا وكتابة في الرياض العامرة

وتمت مراجعة وتصويبا وزيادة

في حرم الله الآمن

في مكة المكرمة

في تمام الساعة ١١ و ١١ من يوم ١١/ ٩/ ١٤٤٠هـ

قيَّدها راجي عفو ربه الغني

محمد بن سرّار بن علي اليامي

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة
المقدمة	٥
تمهيد	١١
حد علم التوحيد	١٥
أسماء علم التوحيد	٢١
موضوع علم التوحيد	٣٣
حكم علم التوحيد	٣٧
استمداد علم التوحيد	٥٥
نسبة علم التوحيد	٦٣
واضع علم التوحيد	٦٥
غاية علم التوحيد	٦٩
مسائل علم التوحيد	٨٣
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	٨٥
كِتَابُ التَّوْحِيْدِ	٨٥
بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ	٩٥
بَابُ مَنْ حَقَّقَ اَلتَّوْحِيدَ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ	١٠١

بَابُ اَلْخَوْفِ مِنْ اَلشِّرْكِ ١٠٧
بَابُ اَلدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ١١٣
بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ١١٧
بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَة وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ ١٢١
بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ ١٢٥
بَابُ مَنْ تبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا ١٣١
بَابُ مَا جَاءَ فِي اَلذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ ١٣٥
بَاب لَا يُذْبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ ١٣٩
بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ اَلنَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ ١٤٣
بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ ١٤٥
بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ ١٤٧
بَابُ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ١٥١
بَابُ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ ﴾ ١٥٥
بَابُ اَلشَّفَاعَةِ ١٦١
بَابُ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ١٦٧
بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ ١٦٩
بَابُ مَا جَاءَ مِنْ اَلتَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ١٧٣

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اَلْغُلُوَّ فِي قُبُورِ اَلصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ١٧٩

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنَابَ اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى اَلشِّرْكِ. ١٨٣

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ يَعْبُدُ اَلْأَوْثَانَ ١٨٧

بَابُ مَا جَاءَ فِي اَلسِّحْرِ ١٩٥

بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ ٢٠١

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ........................ ٢٠٥

بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ................................ ٢٠٩

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ ٢١٣

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ................................ ٢٢١

بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ......................... ٢٢٥

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾......... ٢٢٩

بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ ٢٣٥

بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ٢٤١

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾ ٢٤٥

بَابٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ ٢٤٩

بَابٌ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ................................ ٢٥٥

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا................... ٢٦١

بَابٌ مَنْ أَطَاعَ اَلْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ؛ فَقَدْ اِتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ.......... ٢٦٧
بَابُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ ٢٧١
بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.......... ٢٧٧
بَابُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ ٢٨٥
بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ ٢٨٩
بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ.......... ٢٩٣
بَابٌ قَوْلُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ٢٩٥
بَابٌ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ ٢٩٩
بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ.......... ٣٠١
بَابُ اِحْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ ٣٠٣
بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ ٣٠٥
بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ ٣١١
بَابٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ ٣١٧
بابُ قولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.......... ٣٢١
بَابُ لَا يُقَالُ: اَلسَّلَامُ عَلَى اللهِ ٣٢٥
بَابُ قَوْلُ اللهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ٣٢٧
بَابٌ لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي.......... ٣٢٩
بَابٌ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهَ ٣٣١
بَابٌ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا اَلْجَنَّةُ.......... ٣٣٥

بَابٌ مَا جَاءَ فِي اللَّوِّ ٣٣٧
بَابُ اَلنَّهْيُ عَنْ سَبِّ اَلرِّيحِ ٣٤١
بَابٌ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ ٣٤٣
بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ ٣٤٧
بابُ مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِينَ ٣٥٥
بَابُ مَا جاءَ فِي كَثْرَةِ اَلْحَلِفِ ٣٦١
بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ. ٣٦٥
بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ ٣٦٩
بَابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ ٣٧١
بَابٌ مَا جَاءَ فِي حماية النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ اَلشِّرْكِ ٣٧٣
بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ٣٧٧
فهرس الموضوعات ٣٨٥

كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد هو منهج علمي وخارطة طريق للتجديد وقد بين فيه الإمام- رحمه الله- معنى التوحيد وكيفية تحقيقه وفضائله، ووجوب الخوف والحذر من ضده، ووجوب الدعوة إليه وأنه هو معنى مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

وبيّن جملاً من خصاله، وشعبه ومكملاته، ونبه على الشرك الأكبر الذي هو ضد التوحيد وينافي التوحيد بالكلية، ثم الشرك الأصغر الذي ينقص كمال التوحيد الواجب ويضعفه، ثم البدع التي تقدح في التوحيد، وتهون من شأنه، ثم كبائر الذنوب التي تضعف التوحيد وتصد عنه.

فتكلم الإمام -رحمه الله- عن خصال التوحيد التي هي أنواع العبادة بالتفصيل، ونبه على الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر الجلي منهما والخفي، وتكلم عن جمل من البدع وجمل من أمور الجاهلية، وذكر جملا من كبائر الذنوب، كل هذا بالتفصيل، وبالأدلة من المحكم من كلام الله جل وعز ومن السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن الأحاديث التي تدخل تحت الأصل العام، ومن مأثور كلام السلف الصالح -رحمهم الله-.

واستنبط من النصوص من الآيات والأحاديث وكلام السلف استنباطات دقيقة ومفيدة تدل على سعة فقهه وعن سلامة قصده وعن معرفته بأحوال أهل زمانه، ولذلك ذكر المسائل لينبه فيها على ما وقع من المخالفات وعلى دلالة المحكم من الآيات الأحاديث الصحيحة.

المكتب العلمي الخاص

نضيء الفكرة

daradahriah

daradahriah.com

daradahriah@gmail.com